

الحملة الفرنسية وآثار مصر العليا

د. إيناس فارس مشالي

يتناول النواحي الإيجابية والسلبية التي تعرضت لها آثار مصر العليا أثناء الحملة الفرنسية على مصر؛ حيث تعتبر منطقة مصر العليا من أهم المناطق التي تحوى عددًا كبيرًا من الآثار القديمة، ربما أكثر من تلك المناطق الموجودة بمصر الوسطى والسفلى.

والكتاب يلقي الضوء على جهود العلماء والرحّالة العرب تجاه الآثار، وكذلك دور العلماء والفنانين الذين اصطحبهم بونابرت أثناء الحملة لخبرتهم بكنوز مصر القديمة، حيث قاموا بدور كبير في الحفاظ على اكتشاف هذه الآثار والحفاظ على ملامحها.

والكتاب يوضح دور ما في تقديم آثار مصر القديمة إلى العالم الأوربي في ضوء موسوعة مصر بصورة حفزت العديد من الرحّالة القدوم إلى مصر ودراسة آثارها.

إسلام عمر

ISBN# 9789779101248

6 221149 035256

١٥ جنيهًا



الهيئة المصرية العامة للكتاب

الحملة الفرنسية وآثار مصر العليا

د. إيناس فارس مشالي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٦

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : الحملة الفرنسية وآثار مصر العليا

تأليف : د. إيناس فارس مشالى

الإخراج الفنى : عمر حماد

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب: ٢٣٥ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.gov.eg

e-mail: info@gebo.gov.eg

مشالى، إيناس فارس.
الحملة الفرنسية وآثار مصر العليا/ إيناس فارس مشالى. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦.
٢٦٤ص: ٢٤ سم.
تدمك ٩ ٠٨٧٥ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ مصر- تاريخ- الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ـ ١٨٠١م).
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ١٥١٤٨/ ٢٠١٦
I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0875 - 9

ديوى ٩٦٢,٠٢

إهـــداء

إلي والـدي الحـبـيب الـذي زرع بـداخـلي حب الوطن وعلمني كيف يكون المواطن.

مقدمة

تعد فترة الحملة الفرنسية علي مصر من أهم الفترات التاريخية. وهى أيضا من أكثر الفترات التي حظيت بالدراسة والتحليل من قِبل الباحثين، فتعددت الكتابات الحديثة التي تناولت تلك الفترة المهمة بالتحليل والدراسة.

وإن اختلف الباحثون في تقييم تلك الفترة المهمة؛ فبينما أشاد بعضهم بالتواجد الفرنسي بمصر، نبذه البعض الآخر. ولست هنا بصدد تمجيد الحملة الفرنسية على مصر أو إدانتها، ولكنني أردت عرض النواحي الإيجابية والنواحي السلبية التي تعرضت لها آثار مصر العليا خلال التواجد الفرنسي بمصر.

وقد تم اختيار الموضوع لأهميته لدارسي آثار مصر عامة، فقد كان الشائع أن الحملة الفرنسية أتت بمظاهر الحضارة لذا فهي أول من كشف النقاب عن آثار مصر. وهى صاحبة الفضل الأوحد في معرفة أسرار الحضارة القديمة. فقد أحضر بونابرت معه عددًا كبيرًا من العلماء والفنانين. مما جعلنا نطرح تساؤلا عن الأسباب التي حدت ببونابرت ليحضر هؤلاء العلماء معه.

وعلى الرغم من وجود مؤلفات عديدة تتناول التواجد الفرنسي بمصر وتأثيره على النواحي المختلفة بمصر، فإننا لا نجد في المكتبة مؤلَّفًا يتناول الحديث عن دور العلماء تجاه الآثار فيما عدا أسطر قليلة بين تلك المؤلفات؛ لذا فقد وجدت عناءً كبيرًا في جمع تلك المعلومات من بين أسطر المؤلفات التي تناولت الحديث عن تلك الحقبة من التاريخ المصري.

وعلى الرغم من ندرة المراجع التي تناولت جهود العلماء تجاه آثار مصر العليا، فإن المكتبة تحوى مصدرًا مهمًا ألا وهو موسوعة وصف مصر التي ساعدت الباحثة كثيرا خلال فترة البحث والدراسة، أيضا كتاب دينون الشهير رحلة لمصر العليا والسفلى، وصحف الحملة التي كانت عونا كبيرا وتعد ملفًا وثائقيًا من الدرجة الأولي حيث نشرت أبحاث العلماء التي تم إلقاؤها في المجمع العلمي للبحوث.

و قد اخترت آثار مصر العليا بالتحديد، ذلك لأن تلك المنطقة من مصر تحظى بأهمية كبيرة فقد كان الصعيد غنيا بالحبوب التي يعتمد عليها سكان الدلتا، جدير بالذكر أن العامة ينظرون إلى الصعيد على أنه كتلة جغرافية مهمشة، ولكنه على النقيض من ذلك فهو يحمل العديد من الخيرات التي تجعله كتلة ثقيلة جديرة بالدراسة، أما عن منطقة مصر العليا بالتحديد فهي تحوى عددًا كبيرًا من الآثار القديمة التي تسترعي اهتمام من يراها ربما أكثر من تلك الموجودة بمصر الوسطي والسفلى ، لذا فقد وجدت الباحثة متعة في تفحص واكتشاف تلك المناطق الأثرية.

وقسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

ـ الفصل الأول "آثار مصر العليا قُبيل الحملة الفرنسية "

قامت الباحثة بعرض نظرة عامة علي أحوال مصر العليا كافة قبيل الحملة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ذلك حتى تتمكن من معرفة الفكر الأثري لديهم إبان ذلك العصر لندرة المصادر التي تناولت تلك النقطة، ثم تعرضت للكتابات التي تناولت تلك الآثار وقسمت إلي:

١ ـ كتابات الرحالة والمؤرخين العرب؛

٢ ـ كتابات الرحالة الأجانب.

أما عن كتابات الرحالة والمؤرخين العرب؛ فقد اتسمت بالندرة وتعذَّر على الباحثة الوصول إلي مؤلف عربي سابق للحملة تناول الحديث عن تلك الآثار، لذا

تعرضت بنظرة سريعة إلى العرب السابقين الذين تناولوا الحديث عن تلك الآثار، أمثال المسعودى والمقريزى وأبي عبيد البكرى وياقوت الحموي، ومن الرحالة كل من ابن بطوطة وابن جبير وأخيرًا عبد اللطيف البغدادي.

أما عن كتابات الرحالة والمؤرخين الأجانب. فكانت غنية للغاية بالكتابات عن آثار تلك المنطقة بشكل يدعو للدهشة من كيفية وصول هؤلاء الرحالة لتلك المناطق من غير دليل مسبق. بل قدموا أيضا لوحات لتلك المناطق ومن أهم الكتابات: Vansleb. Pococke, Norden. Bruce. Lucas. Sicard, Savary Sinnoni. and Granger.

وكتابات هؤلاء الرحالة تجيب عن السؤال الذي سبق طرحه عن الأسباب التي حدت ببونابرت لأن يحضر العلماء معه. فلا بد أن مكتبته كانت عامرة بمؤلفات هؤلاء الرحالة لذا فقد كان علي دراية بكنوز مصر الأثرية.

وذكر الفصل أسباب قدوم هؤلاء الرحالة لمصر، وفي نهاية الفصل الحديث عن علاقة كُلٍّ من الحكام والمحكومين بآثار مصر العليا.

ـ الفصل الثاني" آثار مصر العليا بين القادة والجنود"

وتعرضت الباحثة فيه إلي أسباب الحملة علي مصر العليا وخط سير الحملة العسكري علي الصعيد؛ لأن تحركات العلماء كانت متبوعة بتحركات الجيش العسكرية. ثم تعرض الفصل لقادة الحملة ونظرتهم لآثار مصر العليا: فقد كان سبب تواجد العلماء في مصر العليا هو استكشاف معالم الصعيد الأثرية ولابد أن ذلك كان بتحريض قادة الحملة (بونابرت وكليبر ومينو).

فقد أرسل بونابرت لجنتَيْ كوستاز وفورييه لدراسة تلك المناطق الأثرية وموافاته بتقارير عنها وإذا كان بونابرت هو أول من وضع أساسًا لدراسة الآثار، فقد كان من الممكن أن ينقطع ذلك الاهتمام بعد رحيل بونابرت، ولكنه استمر بعد تعيين كليبر كقائد للحملة الفرنسية في مصر، حيث لقيت لجنة العلوم والفنون كل التشجيع من هذا القائد. أما عن مينو فاختلف عن سابقيه فلم يكن

سندا للعلماء مثل كليبر أو بونابرت. ثم تعرض الفصل لكشف حجر رشيد الذي تم اكتشافه بواسطة أحد جنود الحملة الفرنسية خلال التواجد الفرنسي بمصر، وجميع دارسي الآثار يعرفون قيمة ذلك الكشف، تعرض الفصل أيضا للمجمع العلمي الذي أُنشئ بأمر من بونابرت في ٢٢ أغسطس ١٧٩٨ ودوره تجاه الآثار المصرية.

تناول الفصل الحديث عن الفنان الفرنسي فيفيان دينون وعن رؤية جنود ديزيه لآثار مصر العليا وعن المهندسيْن جولوا وديفليه بالإضافة لعدد من العلماء الذين أسهموا في اكتشاف آثار مصر العليا، وذكر الفصل دور الصحف الفرنسية في نشر نتائج أبحاث العلماء المتعلقة بالآثار، وأخيرًا أشار إلى التوقيعات التي تركها الفرنسيون علي تلك الآثار والتي تعد مصدرًا وثائقيًا مهمًا لأنها بخط الجنود والقادة أنفسهم.

. أما الفصل الثالث"استكشاف آثار مصر العليا بواسطة علماء الحملة"

فيتناول الحديث عن جهود علماء الحملة تجاه تلك الآثار، وقد قسمتها الباحثة إلي:

١ ـ جهود وصفية استكشافية؛

٢ ـ جهود تحليلية.

تلك الجهود التي قامت علي أكتاف مجموعة من العلماء أمثال، دينون وجولوا وديفليه وأعضاء لجَنْتي كوستاز وفورييه. فذكر الفصل أبحاثهم عن آثار أبيدوس وأخميم ودندرة وقوص وقفط وآثار الأقصر وإسنا وإدفو وكوم أمبو وأسوان وفيلة وأيضًا إلفنتين.

ووضح الفصل دور كل عالم من العلماء تجاه تلك الآثار. وأخيرًا أشار الفصل إلى مجموعة الآثار الكائنة بمصر العليا والتي ذكرت لأول مرة بواسطة علماء الحملة ولم يذكرها الرحالة السابقون.

- الفصل الرابع والأخير "آثار مصر العليا بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر"

وهذا الفصل يتناول وضع تلك الآثار بعد جلاء الحملة وعن علاقة محمد على بتلك الآثار ومدى اهتمامه بها كحاكم للشعب المصري، وعن وجود قراصنة للآثار خلال تلك الحقبة من التاريخ المصري ودورهم الإيجابي والسلبي تجاه تلك الآثار. وتناول الفصل المتاحف الخارجية والمعروضات المصرية التي خرجت من مصر خلال تلك الحقبة، وعن المسلة التي أهداها محمد على لفرنسا وتقف الآن بميدان الكونكورد بباريس.

وأشار الفصل إلى مدي اهتمام حكام مصر بآثار مصر العليا بعد جلاء الحملة وعن الوعي الأثري لدي المصريين إبان ذلك العصر. وعن الآثار الباقية بعد جلاء الحملة والتي تناولها بالحديث رحالة القرن التاسع عشر.

وقد استفدت كثيرًا أثناء فترة الدراسة من نصائح أستاذي الدكتور نبيل السيد الطوخي والذي ساعدني كثيرًا ولم يبخل عليَّ بوقته أو جهده فله مني خالص الشكر والتقدير.

وبعد، فقد حاولت أن أجتهد خلال فترة الدراسة والبحث. وأرجو من الله أن تسهم تلك الدراسة في إثراء المكتبة التاريخية والله الموفق.

الفصل الأول

آثار مصر العليا قبيل الحملة

تمهيد

عاشت مصر فترات مختلفة من الأحداث السياسية والأفكار الحضارية والمتغيرات الاقتصادية، وترك كل عصر بصمته على مصر إلى أن خضعت للدولة العثمانية بعد هزيمة المماليك في موقعة مرج دابق على يد السلطان الغوري وذلك في ١٥١٧م[١].

وكانت سياسة السلطان العثماني تنقسم لجزأين، الأول هو كيفية الحد من نشاط المماليك في مصر، والثاني هو كيفية الاستفادة منهم حيث إنهم قوة عسكرية لا يستهان بها، وأيضًا المماليك فانقسموا إلى جزأين أحدهما مُعادٍ للوجود العثماني في مصر، والآخر يميل إلى هذا الوجود[٢].

ولم يختلف الحكم العثماني في منهجه العام عن حكم المماليك السابق عليه إلا في استحداث أساليب وأدوات التبعية للسلطان العثماني، فمنذ البداية أقام السلطان العثماني (سليم الأول) ثلاث إمارات تحكم مصر، وهي:

(أ) الوالي.

(ب) الحامية العسكرية (الأوجاقات).

(ج) البكوات المماليك[٣].

---

(1) Young (G), Egypt, London, 1930, P.24

(٢) محمد محمد السيد، مصر فى القرن ١٦، القاهرة ١٩٩٧، ص ٨٤.

(٣) جلال يحيى، المجمل فى تاريخ مصر الحديثة، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٦٥.

ولقد ساعد هذا النظام على التحكم في شئون مصر الداخلية وعلى السيطرة التامة على الإقليم. وأتت الثقافة العثمانية وتقبلها الشعب المصري في البداية لأنهم مسلمون، وقد اختلف موقف الجبرتي تجاه العثمانيين فبينما يمتدحهم في كتابه مظهر التقديس يهاجمهم في كتابه عجائب الآثار، وربما يرجع اختلاف رأيه إلى إكثار الضرائب على المصريين من قبل السلطنة[1]. وتشير معظم المصادر الحديثة إلى أن العثمانيين قد حكموا مصر لصالحهم الخاص وأهملوا تطهير الترع وترميم الجسور، واهتموا فقط بإنشاء المساجد. ولقد كان العثمانيون بعيدين كل البعد عن المصريين ربما لاختلاف اللغة بينهم[2].

وانقسم المجتمع المصري بعد الفتح العثماني لمصر إلى فئتين متمايزتين تماماً: هما:

أولاً: الحكام:

(أ) الأرستقراطية التركية.

(ب) المماليك.

ثانياً: المحكومون:

(أ) المشايخ والعلماء.

(ب) التجار.

---

(١) أندريه ريمون. المصريون والفرنسيون فى القاهرة. ترجمة بشير السباعى. القاهرة. ٢٠٠١. ص٩.
- الجبرتى. مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس. الجزء الأول. تحقيق عبد الرازق عيسى وعماد أحمد هلال. القاهرة. ١٩٩٨. ص٤٥.
- على سلطان. تاريخ الدولة العثمانية. القاهرة. ١٩١٤. ص٨٦-٨٧.

(٢) توفيق حامد المرعشلى. صفحات فى تاريخ مصر. القاهرة. ١٩٢٩. ص٤٩.
- محمد سعيد العشماوى. مصر والحملة الفرنسية. القاهرة. ١٩٩٩. ص٢٧.
- محمد حسين. نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦. الإسكندرية. ١٩٧٠. ص٩.
- محمد عبد المنعم السيد الراقة. الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى. القاهرة. ١٩٧٢. ص٢٠٧.

(ج) الفلاحون.

(د) الحرفيون[1].

أولاً: الحكام:

(أ) الأتراك:

هي الطبقة الحاكمة والمتحكمة في شئون المصريين، ويرى ڤانسليب Vansleb، وهو رحالة بولندي زار مصر عام ١٦١٢ أن مصر كان يسكنها أتراك وفرنجة ومغاربة وغيرهم. وهذا يدل على تواجد هذه الطبقة بشكل لاحظه العديد من الرحالة أمثال تيفيه الذي قارن بين العنصر المصري والعنصر التركي وأشار أن المصري أفضل بكثير من التركي في أسلوب التعامل. واتفق رأيه مع ليو الأفريقي الذي وصف المصريين بأنهم ألطف من الأتراك الكسالى[2]. وكانت هذه الطبقة معزولة عن باقي الطبقات كما سبق الإشارة نتيجة لاختلاف اللغة، والتي جعلتهم يشعرون أنهم أفضل من المصريين في كل شيء وأدى ذلك إلى اتساع الفجوة بين كل من الأتراك والمصريين.

(ب) المماليك:

كان المماليك قوة عسكرية كبيرة. لذا فقد كان قرار سليم الأول في الاحتفاظ بهم قرارًا حكيمًا للغاية. ولقد كان الانتماء الأوحد للمماليك لسيدهم. ولقد كان المماليك أقرب لأفراد الشعب من العثمانيين. وعلى الرغم من كثرة الضرائب التي فرضوها على المصريين[3].

---

(١) عبد العزيز محمود عبد الدايم، مصر فى عصرى المماليك والعثمانيين، القاهرة، ١٩٦٦، ص٢١٢.
- Chadrol, Essai Sur La Moeurs de Habitans Modern's De le Egypt, P.6.
- محمد فهمى لهيطة. تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٤٤، ص١٩.
- جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٥.

(٢) محمد صلاح الدين حلمى. حياة الأتراك الاجتماعية فى مصر فى النصف الأول من القرن ١٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٧.
- إلهام محمد على ذهنى، مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، القاهرة، ١٩٩١، ص ١١٥.

(٣) عبد العزيز عبد الدايم، المرجع السابق، ص٢١٢.

ولقد كان أقوى أمراء المماليك هو محمد بك أبو الدهب (١٧٧٥)، وبعد وفاته خلص حكم مصر لكل من مراد بك وإبراهيم بك، وهما من مماليك أبي الدهب، وقد حكما مصر لمدة طويلة وفرضت في عهدهما الضرائب الباهظة وسادت الفتن وانتشرت الجرائم، وكانت شخصية مراد بك أسوأ من شخصية إبراهيم بك(١).

ولم يكن إبراهيم بك على وفاق مع مراد بك ولكنهما كانا على خلاف دائم حتى صالح العلماء بينهما، وكلاهما كان يعيش حياة مرفهة للغاية. فلقد كان لمراد بك عدة قصور فخمة(٢).

ثانيًا: المحكومون:

(أ) المشايخ والعلماء:

وهي الطبقة التي كان لها دور كبير في نفوس العامة، ولهم دور كبير في زعامة الأمة، وكان لهم فضل كبير في الوساطة بين المماليك بعضهم البعض وبين المماليك والوالي(٣).

ولقد شكل العلماء عالمًا واسعًا، وظهرت به تباينات عديدة في وضعهم وفي ظروفهم المادية أيضًا، وكانت دراستهم تحتم عليهم الاستقرار في القاهرة، وكان بوسع بعضهم جمع ثروات ضخمة عكس باقي الفئات من الشعب المصري التي لم تكن تملك غير قوت يومها بالكاد، وهذا جعل هذه الطبقة مختلفة عن غيرها(٤).

---

(١) محمود الشرقاوي، مصر في القرن الثامن عشر، القاهرة، ١٩٥٦.

- سليمان نوار وآخرون، وثائق تاريخ الحملة الفرنسية على مصر والشام، مشروع وثائق تاريخ العرب الحديث، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٤.

(2) Voleny. voyage en Egypte et en Syrie. paris. 1959. P.108.

- Afaf lutfi Alsayed. A short History of Modern Egypt. Cambridge.1985.. . P.40

(٣) حلمي محروس إسماعيل، دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن ١٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٩.

(٤) أندريه ريمون، المرجع السابق، ص٢٨.

لمزيد من المعلومات انظر: Hathaway. Egypt in the Seventeenth Century. in Cambridge History of Egypt. Vol II. Daly (ed). Cambridge. 1998. p. 58.

وانقسمت طبقة العلماء لفئتين: هما كبار العلماء وصغار العلماء. أما عن التجار فقد عُدُّوا من الأعيان أيضًا.

(ب) الفلاحون:

هم الغالبية العظمى من الشعب المصري، وكانوا يعيشون حياة صعبة للغاية، وخضع الفلاحون لنظام في الأراضي الزراعية عرف بنظام "الالتزام" حيث يزرع كل فلاح قطعة أرض ولكن لا يمتلكها ولا تكون له حرية التصرف فيها، أي لا يستطيع رهنها أو بيعها[1].

وإذا كانت الأرض هي مصدر الثراء للأمراء المماليك فقد كان الفلاح لا يحصل منها إلا على النَّزْر القليل الذي يكفي بالكاد قوت يومه، وذلك لكثرة الضرائب الواقعة على كاهله مثل ضريبة الكشوفية التي ترسل للمملوك المسئول عن المديرية وفائض الالتزام الذى يذهب لجيب الملتزم[2].

وبهذا فقد كان الفلاح بمثابة البقرة الحَلُوب التي تدر خيرًا كثيرًا للطبقة الحاكمة بجزءَيها من أتراك ومماليك.

وقد كان يجند الآلاف من الفلاحين لحفر الترع وتشييد القناطر وإقامة الجسور، وكانوا يخطفون من قراهم ومن أسرهم للعمل في المناطق النائية، وكان شيخ البلد يستطيع أن يجمع ثروة على حساب هؤلاء المظلومين[3].

(جـ) الحرفيون:

لم يكن حالهم يختلف كثيرًا عن الفلاحين ولكن كانت لهم بعض المميزات: حيث كان هؤلاء الحرفيون ينتمون إلى طوائف تشبه نقابات الصناع الحالية ولكل طائفة رئيس يسمى شيخ الطائفة ويكون له الحق في نظر شئون هذه الطائفة،

---

(١) عبد العزيز محمود عبد الدايم. المرجع السابق. ص٢٦١.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار. المرجع السابق. ص١٦٠.

(٣) عبد الرحمن الرافعي. تاريخ الحركة القومية وتطوير نظم الحكم في مصر. الجزء الأول. القاهرة. ١٩٦١. ص٤١.

ومما لا شك فيه أن هذه ميزة كبيرة لهذه الطائفة تساعدهم علي النظر في أمورهم وأحوالهم[1].

وكانت الطائفة المهنية عنصرًا أساسيًا في الحياة المدنية، فلقد كانت تمثل للسلطات الإطار العام الذي تشرف به على كل المهن. فمثلاً كان شيخ الطائفة له دور كبير في فض المنازعات التي كانت تقوم بين أفراد الطائفة[2].

الأوضاع العامة لصعيد مصر قبيل الحملة

اكتسب صعيد مصر أهمية خاصة منذ قديم الأزل، فقد كانت إحدى مدنه وهي الأقصر (طيبة) عاصمة لمصر في عهد الفراعنة، وترجع أهمية الصعيد لاحتوائه على عدد كبير من الخيرات المتمثلة في المحاصيل الزراعية وعدد كبير من الآثار القديمة التي خلفتها الحضارة الفرعونية.

والصعيد: هو المرتفَع من الأرض، وكما قال المقريزي هو الأرض المرتفعة عن الأرض المنخفضة، وقيل عالم يخالطه رمل، وقيل أيضًا الأرض الطيبة، وأيضًا كل تراب طيب وقد أسماها العرب كذلك لأنها مرتفعة عما سواها، ويسمى الصعيد أيضًا الوجه القبلي[3].

وينقسم الصعيد بدوره إلى ثلاثة أقسام: هي الصعيد الأسفل ويشمل الجيزة والفيوم وبنى سويف، والقسم الثاني الصعيد الأوسط المتمثل في المنيا وأسيوط، أما القسم الثالث فيشمل سوهاج وقنا وأسوان[4].

---

(١) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص٦٤.

- Chabrol, Op.cit., p. 321.

(٢) شوقي الجمل وعبدالله عبد الرازق، معالم تاريخ مصر الحديث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٥٨.

- محمد عبد المنعم السيد الراقة ، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، القاهرة، ، ص٣٢٨.

(٣) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الأول، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، ١٩٩٨، ص٥٣٢.

(٤) ممدوح عبد الرحمن الريطي، دور القبائل العربية فى صعيد مصر، القاهرة، ١٩٩٦، ص٩.

وينقسم صعيد مصر إلى عدد من الكاشفيات أو المديريات حيث وجد في مصر في العصر العثماني خمسة أقاليم إدارية كبرى، حملت كل منها اسمًا خاصًا بها؛ وهي الغربية وعاصمتها المحلة الكبرى، المنوفية وعاصمتها منوف، والشرقية وعاصمتها المنصورة، والجيزة وعاصمتها دمنهور، وأخيرًا جرجا وعاصمتها جرجا، ومعنى هذا أنه لم يكن بالصعيد سوى ولاية واحدة وهي جرجا[١]. وتعرف الولايات الكبرى باسم السَّنجقيات يحكمها عدد من السَّناجق الذين يختارهم الوالي العثماني، وتتعدد مهام هؤلاء الصناجق من المحافظة على الأمن وغيرها[٢].

ووجد بمصر العليا أربع عشرة كاشفية؛ هي أسيوط وأبوتيج وطما وطهطا وأخميم وفرشوط وبرديس وهو وبهجورة وقنا وقوص وإسنا وأبريم والواح[٣].

ويختص الكاشف بمهام مشابهة لمهام السَّنجق من حفظ الأمن والاهتمام بأمور الزراعة، والكشاف هم أتباع السناجق وينوبون عنهم في حكم الولايات عندما يكونون في القاهرة[٤].

جدير بالذكر أن الكشوفيات كانت كثيرة العدد وغير متناسقة في توزيعها خاصة جنوب منفلوط، وربما يكون الهدف من ذلك هو تفتيت وحدة الصعيد الإدارية التي قام بها العربان وفي مقدمتهم عربان هوارة[٥].

وغير الكشاف والسناجق يوجد مجموعة من مشايخ العربان وهي القبائل التي نزحت إلى مصر وأصبح لها نفوذ قوي، لذا وضعت السلطة العثمانية منصبًا يسمى مشيخة العرب[٦].

---

(١) ليلى عبد اللطيف، الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، القاهرة، ١٩٧٨، ص٣٨٠.

(٢) عراقى يوسف محمد، الوجود العثمانى فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر "دراسة وثائقية"، القاهرة ١٩٩٦ ص٢١٦.

(٣) ليلى عبد اللطيف، المرجع السابق، ص٣٨١.

(٤) عراقى يوسف محمد، المرجع السابق، ص٢١٨.

(٥) صلاح هريدى، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٩٠.

(٦) محمد محمد السيد، المرجع السابق، ص٢٦١، ٢٦٢.

هذا منصب مستقل عن الكشوفية وكانوا أصحاب سلطان فى اتخاذ القرارات، ولكن بعد صدور قانون نامه صودرت ومنحت لهم بطريقه الالتزام ما عدا ولاية الصعيد ظلت فى يد أبناء عمر.

ولم يكن بالصعيد سوى ولاية كبرى واحدة كانت مطمع الأمراء، ألا وهي ولاية جرجا. وكانت تشمل عددًا من الكشوفيات:

(أ) الواقعة غربي النيل: أبوتيج وطما وطهطا والعسيرات وجرجا وبرديس وفرشوط وبهجورة.

(ب) الواقعة شرقي النيل: أخميم وشرق المرج والخيام وشرق فاو وقوص وقنا[٢].

وكان كشاف هذه الكشوفيات لا يلجئون إلى ديوان الباشا بمصر بل يرجعون لحاكم الصعيد الأعلى الذي يتم تعيينه من قبل دار السلطنة.

وكان حاكم جرجا يلي في الأهمية شيخ البلد وزعيم المماليك في القاهرة، وكان يساعده في الحكم سدارة الفرق العسكرية السبع وقائمقام الأشراف وقاضي الإقليم وأعيان الولاية، وكانت مدة حكمه في الإقليم سنة واحدة وأحيانًا ثلاث سنوات تجدد له، مثال ذلك عندما جددت مدة حكم عبد الرحمن بك لمدة ثلاث سنوات متصلة نظير قيامه بالقضاء على تمرد الهوارة وتولى الحكم من عام ١١١٠هـ / ١١١٢هـ - ١٦٩٨م / ١٧٠١م، أما حاكم الولاية فكان يتقاضى راتبًا سنويًا يقنن بقرابة ٣٠٠.٠٠٠ بارة في القرن السابع عشر وهبط إلى ٤٠.٠٠٠ بارة بالإضافة إلى راتب عيني قدره ٣٦٠ إردبًا سنويًا في القرن الثامن عشر[٣].

وتتوسط جرجا المسافة بين المنيا وأسوان ومن ثم يسهل عليه الوصول سريعًا لمركز أي ثورة أو تمرد يقوم بها العرب شمال جرجا وجنوبها[٤].

---

(١) محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الجزء الرابع، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٥.

(٢) وكانت حدودها من الناحية الجنوبية بلاد النوبة ومن الشمال منفلوط، محمد بن محمد بن حامد المراغى الجرجاوى، تاريخ ولاية الصعيد فى العصرين المملوكى والعثمانى، القاهرة، ١٨٦٩، ص٥٦.

(٣) صلاح أحمد هريدى، دور الصعيد فى مصر العثمانية، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٢٦-١٢٧.

(٤) صلاح أحمد هريدى المرجع السابق، ص١٢٨.

وكانت كل كاشفية من جرجا يحكمها كاشف وجميعها تحت إمرة حاكم الولاية الكبرى جرجا، أما بعد توحيد هذه الكشوفيات ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م وجمعها تحت إمرة حاكم جرجا. فلم يبق بالصعيد كُشّاف بمعنى حكام إداريين وإنما بقى الكشاف في ولاية جرجا كمديرين لقرى الكشوفية فقط الخاصة بالباشا.

وكان النظام الإداري داخل ولاية جرجا مثل النظام الإداري في القاهرة عاصمة مصر، حيث كان لحاكم جرجا ديوان يعرف بديوان جرجا وكان يتكون من قاضي الإقليم ونقيب الأشراف والفرق السبع وقائمقام الحاكم وأعيان الإقليم[١].

وكانت ولاية جرجا مطمع البكوات المماليك وذلك لبُعدها عن مركز القيادة العليا في العاصمة، ولكن بعد إدخال نظام الالتزام إلى مصر في الربع الأول من القرن السابع عشر. وسيطرة الهوارة أقوى قبائل الصعيد على أراضي الصعيد عن طريق أخذها بالالتزام: فقد منصب بك جرجا أهميته بعودة السيطرة على الصعيد إلى الهوارة وانتقلت معظم سلطات حاكم جرجا إلى الملتزمين من الهوارة ورجال الإدارة المحلية. ولم يبق لحاكم جرجا سوى الإشراف على توزيع مياه الري[٢].

وجدير بالذكر أن حاكم جرجا أُطلق عليه سلطان الصعيد العالي وحاكم البر الوالي: وذلك لأنه يحكم إقليمًا مكونًا من ستة وعشرين مركزًا وسكان مصر جميعًا في حاجة إليه لأن موارد مصر الغذائية من الحبوب تأتي من الصعيد[٣].

---

(١) ليلى عبد اللطيف. المرجع السابق. ص٤٠٣.

(٢) نفسه. ص٤٠٥.

(٣) أوليا جلبي. سياحتنامه. ترجمة محمد على عوض. القاهرة. ٢٠٠٤. ص٦٢.

- ج. بير. دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة. ترجمة عبد الخالق لاشين. القاهرة. ١٩٧٦. ص٥٣-٥٤.

- Edward William Lane. Description of Egypt. Cairo. 2000. p. 274.

وكانت جرجا تحظى بأهمية كبيرة كأكبر ولاية للصعيد، ذكرت أهميتها في عديد من المصادر، أحدها تحدث عن أهميتها كقوة سياسية وآخر تحدث عن أهميتها للمحاصيل الزراعية وآخر تحدث عن أهميتها الأثرية.

وكان الجهاز الإداري في الريف مكونًا من عدة أشخاص:

(أ) الملتزم: هو الشخص الذي يُعين من قِبل حاكم الولاية حتى يستطيع جمع الأموال والخراج المحدد للقرية التي يقع التزامه عليها، والتي غالبًا ما يكون لها نفس اسم الملتزم. وكان الملتزم يزرع جزءًا من الأراضي لنفسه والباقي للفلاحين بخراج معين تعرف بأرض الأوسية، وكان الملتزم يعد المالك الحقيقي لتلك الأراضي حيث كان له الحق في رفع أو تخفيض الضريبة[١].

ولأن مساحات الأراضي تأثرت بالفيضانات في الوجه القبلي فقد كانت عملية توزيع الأراضي تتم طبقًا للمساحة بمعرفة مشايخ القرى والملتزمين وكانت تعرف باسم أرض المساحة[٢].

وكان فلاح مصر العليا أحسن حالاً من مصر السفلى لأن الملتزم لم يكن له حق إرغامه للبقاء في الأرض لزراعتها، وكان الفلاح ملزمًا بزراعتها لعام واحد فقط[٣].

وكانت الحكومة تفرض على الملتزم بعض القيود والواجبات؛ منها إيواء المسافرين والموظفين وحمايتهم وصيانة المدارس والمساجد والحمامات الموجودة بالناحية وتحمل جزءٍ من نفقاتها[٤].

وكان من ضمن اختصاصات الملتزم أيضًا منع الفلاح من مغادرة القرية ومعاقبة من يحاول الهرب من الفلاحين بالحبس أو الجلد.

---

(١) صلاح أحمد هريدى، المرجع السابق، ص١٣٩.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، القاهرة، ١٩٧٤، ص٧٦.

(٣) نبيل السيد الطوخى، صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨- ١٨٠١، القاهرة، ١٩٩٧، ص٤٥.

(٤) صلاح أحمد هريدى، المرجع السابق، ص١٤١.

(ب) **شيخ القرية:** وكان يعين من سكان القرية وإذا كان للقرية أكثر من ملتزم فلكل منهم شيخ يشرف على جهته الخاصة به. وكان يعد هذا الشيخ أهم شخص في قريته حيث يمارس سلطاته على جميع سكان قريته. وكان من اختصاصه إقرار الأمن وحماية القرية ومعاقبة المقصرين من الفلاحين ونقل أوامر الملتزم للفلاح وتنفيذ أحكام قاضى الشرع[١].

(جـ) **القائمقام:** كان هو الشخص المنفذ لكافة أحكام الملتزم والذي يحل محله وكان همه الأوحد هو حماية مصالح الملتزم وفض المنازعات التي قد تحدث بين الفلاحين[٢].

(د) **الصراف:** كان يوزع الضريبة على الفلاحين ويأخذ نصيبه منها[٣].

(هـ) **المباشر:** يباشر صلاحيات القائمقام.

(و) **المشد:** الذي ينفذ أوامر شيخ القرية.

(ز) **الخَفَر:** هم حراس القرية المسئولون عن حفظ الأمن بها.

(ح) **المسَّاح:** هو الشخص المكلف بإجراء مسح على الأراضي الزراعية وأراضي الالتزام وتحديد الأراضي غير الصالحة للزراعة.

(ط) **الشاهد:** هو المسئول عن تسجيل أراضي الأثر[٤].

هذا بالإضافة إلى عدد من المشرفين على أراضي الوسية التي تشغل عُشْر مساحة التزام: وهم:

(أ) **الوكيل:** الذي يحفظ غلال أرض الوسية ويحافظ على جميع الأدوات التي تتعلق بأرض الأوسية.

---

(١) نفسه، ص١٤٩.

(٢) إبراهيم المويلحى. الأرض والفلاح فى العصر العثماني فى " الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور". الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. القاهرة. ١٩٧٤، ص٢٣٨.

(٣) ليلى عبد اللطيف. المرجع السابق. ص ٤٠٨.

(٤) هى مساحة محدودة من الأراضى الزراعية تزرعها كل عائلة بمفردها وتورث من الأب للابن.

(ب) الخولي: المسئول عن عمليات الري الخاصة بالقرية ومنع النزاعات المتعلقة بهذا الموضوع[١].

(جـ) الكلاف: المسئول عن الماشية من حيث تسريحها وتوفير العلف المناسب لها، وكان يأخذ من أهل القرية المقيم بها عوائد بالإضافة لأجره الذي يحصل عليه من الملتزم.

(د) السقا: وطبعًا هو الشخص المسئول عن تعبئة الآنية الخاصة بالشرب[٢].

الأوضاع الاقتصادية لصعيد مصر قبيل الحملة

١- الزراعة

لم يهتم المماليك أو العثمانيون بالأراضي الزراعية بل تركوا هذا الأمر للفلاح، واكتفوا فقط بالحصول على الضرائب من الفلاحين، أما عمليات الري وغيرها من تحسين أحوال الأراضي الزراعية فقد كانت من اختصاص الفلاح، والمعروف أن هناك قبائل عربية نزحت على القرى واستولت على الأراضي الزراعية الواقعة بين قرية هو وقرية الشيخ سليم، وأصبح عرب هذه القبيلة المعروفون باسم الهوارة هم الملاك الأغنياء[٣].

وكانوا تحت إمرة شيخ كبير يحكم الصعيد ابتداءً من أسيوط إلى ما وراء أسوان ويدعى همام. وكان أهل الصعيد جميعًا يحبونه ويبجلون ذكره حتى بعد وفاته عام ١٧٦٩م، ومما لا شك فيه أن الصعيد بعد مماته أصبح ملجأ للبكوات المماليك[٤].

---

(١) ليلى عبد اللطيف، المرجع السابق، ص٤٠٨.

(٢) نفسه، ص٤٠٨

(٣) محمد فهمى لهيطة، المرجع السابق، ص١٩.

- محمد عبد المنعم السيد الراقة، المرجع السابق، ص٢٠٦.

(٤) صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت فى مصر "لاديكاد إيجيسين"، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢١٧.

ويزود الصعيد الوجه البحري بكميات كبيرة من الغلال والقطن والكتان والزيوت المختلفة والسكر، وكانت أموال الوجه القبلي تحصل إما نقدًا أو بغلال وغالبًا بغلال من الحَبِّ الذي يعرف قدره في كل سنة، لأن تحصيل خراجه يتم حسب المساحات التي تزرع في كل سنة(١).

وكان الصعيد مورد القمح الرئيسي في البلاد فكثيرًا ما أرسل السلطان بعض الأمراء لشراء القمح من الوجه القبلي، أيضًا زرع الفول بكميات كبيرة في الصعيد خاصة في جرجا وأسيوط؛ ومن هنا اكتسب الصعيد أهمية كبيرة رغم بعده عن الإدارة العليا بالقاهرة(٢).

وكانت الضريبة أهم موارد الدخل للعثمانيين، وكانت تفرض على الزراعات والصناعات وأيضًا على التجارة(٣).

وأكثر الضرائب قسوة على الفلاح هي ضريبة عرفت بضريبة الفرد، وهناك ضريبة حق الطريق التي كانت للشخص الذي يبعثه الملتزم للتحقيق في شكوى تقدم بها فلاح ضد آخر(٤).

وكان هناك نظام الأمانات بجانب نظام الالتزام، حيث يختص فيه الأمين مجموعة قرى تكون مستقلة إداريًا وماليًا، وفي موسم نَثْر البذور يسعى الأمين لزراعة كل الأراضي الصالحة للزراعة، وفي نهاية العام يقوم الأمين بتحصيل ما في حوزة الفلاحين من أموال ليسدد ما عليه من ديون(٥).

---

(١) حسين أفندي، ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، تحقيق محمد شفيق غربال، مصر عند مفترق الطرق، ١٧٩٨ - ١٨٠١، منشورة بكلية الآداب، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٣٢.

(٢) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص٨١.

- Daniel Crecelius, Egypt in The eighteenth Century, Cambridge History of Egypt, Vol II, P. 68.

(٣) محمد فهمي لهيطه، المرجع السابق، ص٤٨.

(٤) عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٥) محمد يوسف عراقي، الوجود العثماني في مصر في القرنين السادس والسابع عشر، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢١٨.

٢- الثروة الحيوانية:

اهتم الفلاح في صعيد مصر بالحيوانات التي تعينه في الزراعة، أي في عمليات الري ودرس الحبوب وذلك بواسطة الثيران. كما اهتم الفلاح بحيوانات النقل من الحمير والجمال التي كانت تقوم بنقل الحاصلات الزراعية، وخاصة الحمير التي كانت تحظى بمكانة كبيرة لدى الفلاح وذلك لصبرها ولنفعها الكبير للفلاح(١).

وهناك الحيوانات التي تزود الفلاح بالمواد الغذائية من ألبان وجبن، والتي كانت تحظى بمكانة لدى الفلاح.

واشتهرت أسوان خاصة بكثرة إنتاجها للأغنام والإبل والغزلان والبقر والماعز وتورد هذه الحيوانات لتباع في القاهرة، فقد كانت هذه الأنواع مهمة للفلاح(٢).

٣- الصناعة:

كانت الصناعات في صعيد مصر بدائية للغاية، فلقد كان الاعتماد الرئيسي في هذه الصناعات على القوى البدنية والماشية، وكان الغرض الأساسي منها هو إشباع حاجة السكان بالغذاء الأساسي الذي يتطلبونه(٣).

ومن أهم عوامل انتكاس الصناعة المصرية إبان ذلك الوقت، أن الإدارة العثمانية فرضت نوعًا من العزلة على مصر وأبعدتها عن المجتمع الخارجي(٤).

واشتهرت عدد من مدن الصعيد بتصنيع السكر من القصب، مثل فرشوط وأخميم التي اتسعت شهرتهما في هذا المجال(٥).

---

(١) نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص ٦٠.

- Girard, Memoire sur L' agriculture, l'industrie et l e Commerce Dc l' Egypte, P, 125.

(٢) صلاح أحمد هريدى، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٣) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٨١.

(٤) محمد عبد المنعم السيد الراقة، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(5) Girard, op. cit, p. 113

واشتهرت محافظة قنا بصناعة الفخار، وتصنع إسنا الأقمشة القطنية. وانتشرت الأسواق بصعيد مصر لبيع وتبادل هذه السلع وكان لكل مدينة سوق خاص بها أو مجموعة أسواق، ويعد السوق مركز تجمع ثقافي واقتصادي وأيضًا سياسي وذلك لوجود مجموعة كبيرة من الناس به، وأهم أسواق مصر العليا هي تلك المقامة في إسنا وقوص[١].

٤- التجارة:

ساهم الصعيد بدور كبير في تجارة مصر الداخلية والخارجية. أما عن التجارة الداخلية فقد كان يصدر الحبوب إلى الدلتا، علاوة على تبادل السلع الواحدة داخل البلد الواحد وذلك عن طريق الأسواق.

كذلك ساهم الصعيد في التجارة الخارجية لمصر، ولقد كان التجار يخزنون السلع المستوردة من إثيوبيا والتي تمر في طريقها إلى إسنا محملة بالعاج وريش النعام والصمغ وتعود محملة بالمنسوجات المصنوعة في أسيوط وقنا[٢].

واحتفظت أسوان بمكانة عظيمة بصفتها ميناء مهمًا على نهر النيل في كل العصور؛ أيضًا اشتهرت قوص بأنها كانت مركزًا للقوافل الواردة من عدن ومن البلاد السودانية[٣]، وكانت إسنا نهاية للقوافل القادمة من سنار، وأسيوط نهاية لقوافل دارفور[٤].

وكانت التجارة المصرية غير مستقرة ومذبذبة وخاصة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ومما لا شك فيه أن العزلة التي عاشت فيها مصر أثرت على

---

(١) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) صلاح الدين البستاني، المرجع السابق، ص ٢٢١.

- Girard, op. cit, p. 400.

(٣) صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص٢٧٨.

(٤) نبيل السيد الطوخي، المرجع السابق، ص ٦٧.

التجارة الخارجية: فلم يهتم العثمانيون بشئون الاستيراد أو التصدير ولكنها كانت عملية مقصورة على الأجانب فقط[١].

وكانت أهم القوافل التجارية هي قافلة دارفور وقافلة سنار[٢].

العادات والتقاليد في صعيد مصر

اكتسب الصعيد مميزات خاصة في عاداته وتقاليده وذلك في أفراحهم ومآتمهم وغيرها.

أولاً في الزواج، حيث انتشر زواج الأقارب في الصعيد، حيث كان اختيار العريس يتم غالبًا من بين أفراد العائلة الواحدة وهذه عادة مستمرة إلى الآن في بعض المناطق في الصعيد[٣].

واختلفت المهور من طبقة لأخرى حسب المستوى الاقتصادي.

أما عن الأدوات الخاصة بالمآتم، فقد جرت العادة عند أهالي الصعيد وخاصة النساء على الصراخ الشديد وتلطيخ الملابس بالطين وزيارة المقابر خاصة يوم الجمعة[٤].

ومن العادات الموروثة إلى الآن هي عادة الثأر، ومما سبق يتضح أن الصعيد لازال يحتفظ بمعظم عاداته وتقاليده إلى الآن.

الحياة الثقافية والعلمية في صعيد مصر

أما عن سياسة العثمانيين في مصر تجاه الحركة الفكرية، فقد كان هناك جمود تام ولم يحاول العثمانيون نقل تقدمهم الفكري للمصريين وتركوا هذا الأمر

---

(١) إلهام محمد ذهني، مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، القاهرة، ١٩٩١، ص٨٦

(٢) نبيل السيد الطوخي، المرجع السابق، ص٦٩- ٧٠.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص٢٤٢.

(٤) نبيل السيد الطوخي، المرجع السابق، ص ٨٧.

للمجهودات الفردية. ولكن المصري كان حريصًا على زيادة ثقافته على الرغم مما كان يحيط به من ظروف سيئة(١).

واضمحلت قيمة المؤسسات العلمية باستثناء الأزهر الذي علا شأنه(٢). وقد كان التعليم في مصر أوليًا، فلم يكن له برامجه المحددة وكان مرتبطًا بالكتاتيب فقط التي كان لها دور بسيط في نشر الثقافة بين المصريين، أدى ذلك إلى انتشار ما يسمى بالتثقيف الشعبي بين المصريين وبعضهم، فكل من لديه معلومة سواء صحيحة أم خاطئة ينقلها لغيره؛ مما أدى إلى تدهور الحياة الفكرية إبان ذلك العصر(٣).

أما عن الصعيد فلم يكن أسعد حظًا بل وكان التعليم به أوَّليًا واعتمد على الكتاتيب فقط وتعلم الطلبة فيها مبادئ العلوم الدينية وعلوم الرياضيات فقط، وكانت أشهر المؤسسات التعليمية هي المساجد فقط، فقد كان المسجد بمثابة أكبر معهد للدراسات الدينية في الصعيد(٤).

وظهر في الصعيد علماء كثيرون أمثال الشيخ علي الصعيدي والسيد عمر مكرم وكذلك ظهر نوع من الفن الشعبي، انتشر في صعيد مصر كلها(٥).

كما قام عدد من العلماء بزيارة الصعيد، الذين تركوا بصمة كبيرة على أبناء الصعيد حيث كان هؤلاء العلماء يلقون محاضرات في المدارس التي وجدت بالصعيد والتي كانت تعدهم لدراستهم العليا بالأزهر(٦).

---

(١) محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٨٠.
- حلمي نمنم، المصريون وحملة بونابرت، مطبوعات أخبار اليوم، ٢٠٠٠، ص ٢١.

(2) Nelly Hanna, Culture in Ottamn Egypt, in Cambridge Histo, Vol II, p.88.

(٣) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى عصر محمد على، القاهرة، ١٩٣٨، ص ١٨.
- محمد كامل فودة غزى، المؤسسات التعليمية فى مصر ابان العصر العثمانى ودورها فى الحياة السياسية والفكرية (١٥١٧- ١٧٩٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى، ١٩٩٥، ص ٢١١.

(٤) أحمد صلاح هريدى، المرجع السابق، ص ٢٧٠.

(٥) نفسه، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٦) نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص ٨٣.

وطغت العلوم الدينية على العلوم الدنيوية بالصعيد، هذا أدى إلى تفشي حالة من الجهل الفكري بين أبناء الصعيد على الرغم من وجود بعض الحالات البسيطة التي كانت تسعى إلى كسب المعرفة، وانعكست هذه الحالة الثقافية الرديئة على كل تصرفات الشعب وظهر عدد من الدجالين والمشعوذين.

ونما علماء الدين خاصة وكانت لهم قوة عليا ويد ممتدة لسلطات واسعة وهذا لثقة الشعب بهم، ويمكن القول أنهم هم أصحاب الكلمة العليا في مصر آنذاك وهذا هو المصري بطبيعته الذي يثق في رجال الدين منذ قديم الأزل[١].

واتفقت جميع المصادر أن أحوال مصر كانت سيئة للغاية قبيل الحملة سواء ثقافيًا أم اقتصاديًا أم اجتماعيًا[٢].

وانتشر أيضًا الفن الشعبي الذي يتغنى بأمجاد الماضي، وكان هناك منشد متخصص لهذا النوع من الفن الشعبي، وكان الفلاحون يطلبون من الشعراء أن ينظموا لهم المواويل التي تدل على الظلم الواقع عليهم[٣].

وهذه كانت نظرة عامة وسريعة على أوضاع الصعيد خاصة قبيل الحملة والتي ستساعد على إلقاء الضوء على أسباب الجهل بالآثار كما سنرى، فمما لا شك فيه أن سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية أثرت في فكر رجل الصعيد وخاصة الفلاح البسيط.

جهود الرحالة والمؤرخين في كشف آثار الصعيد

أولاً: جهود الرحالة والمؤرخين العرب

ثانيًا: جهود الرحالة الأجانب

---

(١) مايكل ونتر، المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى،ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٨٠.

(٢) عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسى والغزو البريطانى، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٧.

(٣) نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص ٨٤ ـ ٨٥.

أولاً: الرحالة والمؤرخون العرب

اتسمت المصادر العربية التي تحدثت عن آثار مصر عامة وآثار الصعيد خاصة بالندرة الشديدة، وعدم الدقة في الوصف في بعض الكتابات التي وصلت إلينا، وربما يرجع ذلك إلى الوازع الدينى لدى العرب والذي منعهم من التفكير في مثل هذه الأحجار الصماء.

فمثلاً معبد الكرنك في مدينة الأقصر، وهو معبد كبير وعلامة مهمة في العمارة المصرية القديمة لم يرد ذكره إلا في مصدر عربي واحد[1]، وسادت في مصر وخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر أزمة كبيرة بسبب الأوبئة والمجاعات، أوجدت نوعًا من التعصب الديني ضد الرموز القديمة مما جعل المتصوفين يقومون بهدم معبد أخميم[2].

وأطلق العرب على الآثار القديمة لفظ البرابي جمع بربا. وهذه كلمة مشتقة من الكلمة الفرعونية Pr B3 بمعنى بيت الروح، والبربا هي الدار التي كان يتلقى فيها المصري القديم العلوم المختلفة[3].

وتجاهل العرب المحدثون في كتاباتهم المختلفة آثار الصعيد. فلم تلفت تلك الآثار العظيمة أنظارهم، ربما لجهلهم بقيمة هذه الآثار أو الوازع الديني كما سبق الإشارة.

أما العرب الأوائل وبعض الرحالة العرب المشهورين، فقد ذكروا بعض آثار الصعيد وليس كلها أمثال ذلك كتابات المقريزي والمسعودي وياقوت الحموي وأبي عبيد البكري. أما الرحالة فهم ابن بطوطة وبن جبير وعبد اللطيف البغدادي.

---

(١) ذكر معبد الكرنك فى رحلة عبد اللطيف البغدادى، وصف مصر قرابة ١٢٠٠، القاهرة، ١٢٠٠، ص٤٠.

(٢) دونالد مالكوم ريد، فراعنة منْ، ترجمة رءوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٥٣.

(٣) محمد رمزى المرجع السابق، ص١٠٨.

وهذا هو كل ما وصلنا من كتابات العرب عن الآثار، أما في العصر العثماني أي في القرن الثامن عشر، فقد أغفلت معظم مصادره الحديث عن هذه الآثار.

(أ) المؤرخون العرب

كتب أحد الرحالة الكبار والمؤرخ الجليل أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى[١]، عن البرابي كثيرًا مثل كتاباته عن الأهرام ولكن في آثار الصعيد، فلم يكتب سوى عن بربا أخميم فقط حيث ذكر أن بها بربا فقط لكنه لم يتطرق إلى وصفها.

أما المقريزي، فعلى الرغم من أنه استمد بعض كتاباته عن البرابي من المسعودى فإن كتاباته جاءت أشمل وأكثر دقة وذكر العديد من البرابي، الغريب هو جدار ذكر في العديد من المصادر يعرف باسم جدار العجوز بين مصر العليا والسفلى ويقال أن الذي بنته ملكة باسم دلوكة[٢].

ويشير المقريزي بأن آثار الصعيد كانت أكثر من آثار الوجه البحري، وفي وجهة نظره لأنها كانت الحيز الخاص بالملك الذي يحكمها[٣].

والغريب أنه تحدث عن مدينة الأقصر ولكن لم يتحدث عن أي أثر بها على الرغم من احتوائها على عدد من الآثار، ولكنه تحدث عن بربا دندرة وأشار أن بها فتحات لدخول الشمس، وتحدث عن بربا أخميم بتوسع وأن هذه البربا مازالت قائمة إلى سنة ثمانية وسبعمائة إلى أن جاء رجل من أخميم يقال له الخطيب وسرق ما بها إلى أن خربت هذه البربا.

---

(١) المسعودى هو على بن الحسين بن على أبو الحسين من ذرية عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) صاحب النبى ﷺ .ولد ببغداد فى أواخر القرن التاسع الميلادى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق مفيد محمد قميحة، الجزء الأول، لبنان، ١٩٨٦، ص٣٦٥.

(٢) دلوكة هى ملكة وهمية، على ما يبدو أنه اسم متوارث بين أبناء الشعب: لأنه ذكر فى أكثر من مصدر من المصادر القديمة، المقريزى، المرجع السابق، الجزء الأول، ص٩٢.

(3) Ibid., P.646.

إن أهم ما كتبه المقريزي عن بربا أخميم إشارته إلى أن بها لوحة مكتوب عليها أسماء من يأتي من الملوك إلى آخر الدهر، وبالفعل يوجد قائمة بأسماء الملوك الذين حكموا مصر في عهد الفراعنة، فكيف عرف المقريزي بهذه القائمة على الرغم من عدم درايته باللغة المصرية القديمة؟!

أما عن ياقوت الحموي، فقد أشار إلى نفس الحائط الموجود في كتابات المقريزي والذي أشار أنه يحمي أهالي الصعيد من غارات النوبيين[1]. وتحدث عن بربا أخميم برسومه وكتاباته والتي أشار أنها لا يعلمها إلا الله. وأبوعبيد البكري، الذي تحدث عن بربا أخميم وعن مدينة قفط بالتمثال الذى تحويه[2].

(ب) الرحالة العرب

ابن بطوطة الذي تحدث عن بربا أخميم ووصفها وصفًا رائعًا، ولكنه لم يشر إلى غيرها[3]، أماا بن جبير فتحدث عن مدينة قوص وأشار أن بها آثارًا قديمة، وتحدث أيضًا عن حائط العجوز وتحدث أيضًا عن بربا أخميم ووصفهما، وذكر بربا دندرة وأشار أن بها هيكلاً عظيمًا[4].

أما عبد اللطيف البغدادي فأشار أن البرابي بالصعيد كانت كثيرة، وأشار إلى بعض البرابي وأهم ما أشار إليه هو معبد الكرنك بالأقصر[5].

وكما سبق الإشارة فقد أغفلت المصادر العربية آثار الصعيد، وهذا تعبير عن الثقافة السائدة إبان ذلك العصر: وذلك ربما لأن العلوم الدينية غلبت على العلوم الدنيوية، ولأن الدين لا يقتضي النظر إلى أحجار فى نظرهم لا قيمة لها.

---

(١) الشيخ الامام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، معجم البلدان، بيروت، الجزء الأول، ١٩٩٥، ص٢٠٩.

(٢) أبو عبيد البكرى، كتاب المسالك والممالك وحققه أدريان فان ليوفن وأندرى فيري، الجزء الثانى، تونس، ١٩٩٢، ص٥٤٨ -٥٥٠.

(٣) ابن بطوطة رحالة مشهور ولد فى طنجة ببلاد مراكش فى ١٧ من رجب ١٣٠٤ هـ، تحقق النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لبنان، ١٩٩١، ص٣٤.

(٤) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى ولد فى بلنسية، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، لبنان، ٥٨٢ هـ - ١١٨٦ م، ص٣٤.

(٥) عبد اللطيف البغدادى، المرجع السابق، ص٤١.

أيضًا لم نَرَ في المصادر العربية أن أيًا من حكام مصر وسلاطينها جذبت أنظارهم تلك الآثار. بل إن معظم مساجد القاهرة تحوي أعمدة مستمدة من معابد فرعونية قديمة وهذا يدل على جهلهم بقيمة هذه الآثار(١). ولكن لحسن الحظ أن الرحالة الأجانب اهتموا بالآثار وقدموا لها وصفًا دقيقًا وهذا يدل على اختلاف الثقافة والحضارة بين العرب والأجانب، وفيما يلي عرض لأهم كتابات الرحالة الأجانب عن الآثار قبيل الحملة.

ثانياً: الرحالة الأجانب

ظهرت قبل الحملة الفرنسية بقرابة قرن ونصف القرن مؤلفات عديدة عن رحالة زاروا مصر وكتبوا العديد عن آثارها. فتم نشر قرابة ٢٧ مجلداً عن رحالة فرنسيين بالإضافة لعدد من الرحالة البريطانيين والإيطاليين، ولكن إلى عام ١٦٦٨م لم يتوجه أيٌّ منهم إلى الصعيد، وكان (Sicard) سيكارد الذي سافر إلى مصر ما بين ١٧١٤-١٧٢٦ أول من توجه للصعيد وأول من كشف عن بقايا معبد الأقصر بطيبة وأول من زار معابد كوم أمبو والفنتين(٢).

وفي عام ١٧٣٧م، جاء إلى مصر رجلان من بروتستانت شمالي أوروبا هما (Norden) نوردن و(Pococke) بوكوك وأسهما في اكتشاف الصعيد. وبعد عام ١٧٥٠ سادت الصعيد حالة من الاضطرابات منعت الأوروبيين من زيارته ومع ذلك توقف اللورد الأسكتلندي بروك عند الكرنك ووادي الملوك في طريقه لإثيوبيا؛ ولكن الكتابات المشهورة لكل من سفاري وفولني لم تشر إلى الصعيد وآثاره(٣).

ولابد من ذكر الأب فانسلب الذي وصل لإسنا في رحلته للصعيد والذي كتب وصفًا لكل ما شاهده من معالم الصعيد الأثرية والتي استرعت انتباهه(٤).

---

(١) مسجد الناصر بن قلاوون بالقلعة كمثال يحوى عدداً من الأعمدة المختلفة التيجان وبعضها أخذ من معابد فرعونية.

(٢) دونالد مالكوم ريد. المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) نفسه، ص٢٧.

(4) Jean Marie Caree, Voyageurs et ecrivains Francais en Egypte, Tome quatrieme (1517-1840), 1932, P.32.

وكتابات الأب فانسلب الذي كانت رحلته للصعيد في عام ١٦٧٣م مهمة؛ لأنها أول ما أظهرت معالم معبد الكرنك في الصعيد(١).

ولكن بعد ذلك أظهرت كتابات سيكارد وصفا لمعبد الكرنك. وإن كان هناك كتابات في رحلات سابقة وغير مشهورة وهي رحلة كل من Baudelot de Darval في ١٦٩٩-١٧٠٣ ورحلة ثانية في ١٧٠٤-١٧٠٨م قام بها فورمونت ورحلة ثالثة في ١٧١٤-١٧١٧م والرحلات الثلاث كانت مهمة وقدمت أوصافا لبعض المعابد القديمة(٢).

ولقد كانت رحلة سيكارد مهمة للغاية حيث كشف عن عديد من آثار الصعيد التي لم يتم الكشف عنها؛ مثل وادي الملوك وأجزاء من معبد الكرنك وتمثالي ممنون المشهورين ومعبد الرامسيوم الخاص بالملك رمسيس الثاني، وكان أول فرنسي يكشف عن هذه الآثار(٣).

توجه سيكارد في ٢٩ يناير ١٧٢١ مع البعثة الإيطالية إلى أخميم ووصل إلى العرابة المدفونة في ٢٣ فبراير، وزار معبد أبيدوس (البربا) وزار بعدها مدينة الأقصر وذلك في ٥ مارس وكشف النقاب عن آثار جديدة كما سبق الإشارة لها، ووصل إلى أسوان وكتب عن آثارها(٤).

ولكن مما لا شك فيه أن عدم معرفه اللغة المصرية القديمة قد تسبب فى ظهور أخطاء عديدة خاصة بالمعابد وعصور إنشائها؛ ولكن وصفها من قبل هؤلاء الرحالة مما لا شك فيه له دور كبير فى الحفاظ على ملامح هذه المعابد(٥).

---

(1) Claude Traunecker, Jean Claude Golvin, Karnak Résurrection d'un site, Paris, 1984, P.58.

(2) Claude Traunecker, Op.cit., P.75.

- على الرغم أنه كان هناك عدد من اليونانيين زاروا هذه الآثار أمثال هيرودوت وديودورس الصقلى اللذين وصلا إلى إلفنتين ومعبد أبى سمبل وحفرا اسميهماعلى واجهة المعبد. لمزيد من المعلومات انظر:

- Grafton Milne, Greek and of Egyptian Archeology, Vol III, London, 1916, p.50 , Roman Tourists in Egypt, Journal

(3) Jean Marie Carée, op.cit., p.60.

(4) Ibid., p.52-54.

(5) Ibid., P.68.

وتميز رحالة القرن الثامن عشر بكتاباتهم الدقيقة عن هذه الآثار التى فى أبيدوس والأقصر والقرنة والشيخ عبادة وأرمنت وإسنا والتى أشار لوقا أن بها معبدًا استعمله الأتراك كإسطبل للخيول وأعمدته ملقاة على الأرض، وتعجب لوقا من استخدام أجمل هذه المعابد كإسطبل للخيل(١).

وبالنظر إلى آثار طيبة والتى لم يرد أى ذكر لها فى الكتابات العربية القديمة فقد تحدث عنها الرحالة الأجانب، وإن كانوا فى البداية وقبل عام ١٦٦٨م ينظرون إليها نظرة دينية حيث كانت المعابد ملجأ للاقباط لممارسة طقوس العبادة، ولكن بعد ذلك تم النظر إلى عظمة بناء هذه المعابد وذلك من خلال رحلة لكُلٍّ من الفرنسيين (Francois) فرنسوا وبورتس (Portous)(٢).

١- كتابات الأب Vansleb فانسلب

وذكر الأب فانسلب العديد من آثار مصر العليا. ففى مدينة الأقصر أشار إلى وجود ٧٨ عمودًا بمعبد الأقصر، وتحدث عن المسلتين. التى استقرت إحداهما فى ميدان الكونكورد بباريس، وقدم أيضًا وصفًا لتمثالين بجوار المسلتين. وتحدث أيضًا عن معبد الكرنك والذى أشار بأنه قصر كبير للملوك، وقدم وصفا لطريق الكباش لأول مرة فى الكتابات. وقدم وصفًا لمدينة هابو ووادى الملوك والذى أشار أن به مقابر تحوى مومياوات للملوك، وذكر أيضًا تمثالَىْ ممنون السابق الإشارة إليهما، وبهذا يكون أشار إلى غالبية آثار مدينة الأقصر باستثناء القليل منها(٣).

---

(١) إنما يدل هذا الفعل على عدم معرفة الأتراك بقيمة هذه المعابد.
- إلهام محمد على ذهنى، مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٥٩.

(2) Clément, Les Francaise d'Egypte aux XVII et XVIII Siecles, Cairo, 1960, p.101.

(3) Ibid, p. 102.

- وعن سيرة Vanslep انظر، المرجع السابق، ص ١٠٢.

وزاد ولع الأجانب وخاصة الفرنسيين بالآثار وبعلم المصريات، ويشير إدوارد براون وهو رحالة زار مصر عام ١٦٧٢م إلى آثار مصر العظيمة، ورغم أنه لم يتطرق لذكر آثار الصعيد فإنه تحدث عن الآثار عامة وعن عظمتها وعن الكتابات التى على الجدران وأكد على عدم درايته باللغة القديمة. كأمثاله من رحالة القرن السادس عشر وإن كانوا قد ذكروا بعض آثار الصعيد مثل معبد دندرة ومعبد الأقصر[1].

٢- كتابات Pococke بوكوك

زار مصر عام ١٧٣٧ / ١٧٣٨ وهو ليس رحالة فقط بل أيضًا مكتشف؛ حيث رسم ما رآه من معابد أثارت انتباهه فقد زار معبدى الأقصر والكرنك، وتحدث عن بربا أبيدوس. واستند على معرفة قصص هذه المعابد بكتابات ديودورس الصقلى وزار مدينة هابو ووادى الملوك، كما زار إسنا وإدفو ودندرة وتحدث عن الرسوم التى تزين مقابر وادى الملوك، ولكنه لم يستطع أن يرسم العلامات الهيروغليفية، وفشل فى التوصل لمعبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى، ولكن كان لرسومه دور كبير فى تقديم معابد مصر العليا[2].

وهذا يعكس الاعتقاد الخاطئ بأن أول من وضع رسومًا لمعابد مصر العليا هو الفنان دينون المصاحب للحملة الفرنسية؛ حيث ظهرت رسوم لهذه المعابد قبل الحملة بفترة كبيرة بل ربما استفاد منها علماء الحملة أنفسهم فى معرفة أماكن ووصف هذه المعابد.

والمهم أن كتابات بوكوك جاءت دقيقه للغاية وقدم وصفًا رائعًا للعديد من المعابد، وأشار إلى الكتابات التى كانت على قدم أحد تمثالى ممنون والتى كتبها اليونانيون[3].

---

(1) Edward Brown, Voyage en Egypte 1614-1673. IFAO, p.159.

- Le Venten Anonyme et.at., Voyages en Egypte, IFAO, 1971.p. 69,83.

(2) Richard Pococke, A Description of the East and Some other Countries, Vol.I. Observations on Egypt, London, MDCCXLIII (1743), p.97, 104, 110.

(٣) هناك قصة كتبها اليونانيون على قدم التمثال اليمنى تحكى عن قصة التمثال. وهو تمثال أمنحتب الثالث من الأسرة ١٨ والمعروف إلى الآن باسم تمثال ممنون واليونانيون هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم.

٣ ـ كتابات نوردن Norden

وفى نفس الوقت الذى كان فيه بوكوك يكتشف معابد مصر العليا كان الضابط نوردن يكتشف أيضًا آثار مصر العليا. واستفاد نوردن أيضًا من كتابات هيرودوت وديودورس عن هذه الآثار وزار تمثالَى ممنون[١].

واستعان بكتابات بوكوك عن دندرة ولكنه لم يقم بزيارته، وزار مدينة هابو ومعبد الكرنك وجزيرة فيلة وذكر آثارًا تجاهلها بوكوك مثل مدينة هابو، وكان نوردن أول أوروبى زار معبد أبي سمبل جنوب أسوان وتحدث عن الرسوم التى تحويه[٢]. ويوجد ملحق بكتابات نوردن يحوى رسومًا مبسطة لبعض معابد مصر العليا، وإن افتقدت عنصر الدقة فى الرسم.

لم يتجاهل نوردن أيضًا بربا أبيدوس وتحدث عنها حيث وصل إلى جرجا يوم الثلاثاء الخامس من ديسمبر لعام ١٧٣٧، ووصف هذه البربا وجاء وصفه مطابقًا لوصف من سبقوه فى وصف هذه المعابد[٣]، وتحدث عن العمارة فى مصر القديمة مستندًا إلى الوصف المعمارى الذى يشاهده من خلال زيارته لهذه المعابد. ولم يُشِرْ نوردن فى رحلته إلى أيه صعوبات واجهته خلال رحلته للصعيد أو لمصر العليا، لكن كان يبدو منبهرًا بهذه الآثار العظيمة التى أشار أنها لا يوجد مثيل لها فى أى مكان، وتعجب من كيفيه بقاء ملامح هذه المعابد على الرغم من مرور وقت كبير على هذه المعابد وأشار بأنه لابد من أن هؤلاء القوم الأوائل كانت لهم قدرة كبيرة على النحت والرسم والبناء العملاق، وهذا كان رأيًا سديدًا عن الفراعنة قبل كشف أى ملمح من ملامح الهيروغليفية[٤].

---

(1) John David Wortham, British Egyptology 1549-1906, London, 1971,p. 28.

(2) Ibid., p.29.

(3) Frederick Lewis Norden, Travels in Egypt and Nubia, London, Vol II, MDCCL VII, p.50.

(4) Ibid., p.132-134.

هناك أوروبى آخر يدعى تشارلز بري Charles Perry وهو طبيب زار مصر فى الفترة ما بين ١٧٣٩- ١٧٤٢م، وكانت رحلته مشابهة لتلك التى قام بها بوكوك ولكنه رسم تفاصيل أكثر خاصة فى معبد الكرنك حيث وصف تفاصيل معركة قادش الشهيرة والخاصة بالملك رمسيس الثانى والتى حفرت على جدران معبد الكرنك[١].

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتم ذكر تفاصيل نقوش معينة على جدران المعابد حيث كان الرحالة يقومون بشرح الموجود من عناصر فقط، ولكن تشارلز بري قام بشرح تفاصيل هذه المعركة الشهيرة.

٤- كتابات بروس Bruce

وهو أوروبى زار مصر عام ١٧٦٨ ووصل إلى أسوان، فزار فى رحلته بريا أخميم ومعبد دندرة ومعبد الأقصر والكرنك وإسنا وإدفو وأسوان ووصف عناصر العمارة فى هذه المعابد[٢].

الجديد الذى كان فى كتابات بروس هو اكتشافه لشىء مهم حيث أشار أن هناك ثلاث كتابات مختلفة للهيروغليفية (اللغة المصرية القديمة) أسمى إحداها بالهيروغليفية والثانية بشخصية المومياء والثالثة بالإثيوبية وبالطبع كان يقصد من هذا الإشارة للهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية وجدير بالذكر أن هذا اكتشاف مهم فى مرحلة مبكرة لم يكن فيها علم المصريات يستند إلى أى شىء[٣].

ومن أكثر المعابد التى استرعت انتباه بروس هما معبدا الأقصر والكرنك بمدينة الأقصر، وتحدث عن رسوم تشرح معركة قادش السابق الإشارة لها

---

(١) هى معركة شهيرة قام بها الملك رمسيس الثانى من الأسرة ١٩ ضد الحيثيين وتم النصر عليهم وعقدت معهم معاهدة سلام، لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة انظر:

- Jo Forty, Ancient Egyptian pharaohs, USA, 1998, p. 89-91.

(2) John David Wortham, Op. cit., p. 29.

(3) Ibid., p. 30 - 31.

والرائع أنه عند حديثه عن هذه المعركة، تحدث عن وصف أدوات الحرب المستعملة فى مصر القديمة والعجلات الحربية وخطط المعركة كاملة، وهذا يدل على أنه مكتشف بجانب أنه رحالة، وكان يميل إلى تحليل كل ما يراه من رسوم تزين جدران هذه المعابد[١].

ولابد من الإشارة أن بروس كان أول من دخل إلى مقبرة رمسيس الثانى ووصفها وصفًا دقيقًا؛ مع العلم أنه لم يكن يعرف أنها مقبرة رمسيس الثانى والتى تقع بوادى الملوك ولذا أسماها علماء الآثار حاليا مقبرة بروك[٢].

وليم جورج براون William George Brown طالب بجامعة أوكسفورد سافر فى رحله إلى مصر عام ١٧٩١م ونشر وصفًا لمعابد مصر العليا، ونجح هؤلاء المكتشفون فى نقل صورة واضحة عن معابد مصر العليا[٣] والتى اعتقد الباحثون أن الحملة الفرنسية هى أول من كشفت النقاب عن الآثار المصرية.

ولقد جاءت كتابات الرحالة الفرنسيين أشمل وأدق عما دونهم فى وصف آثار مصر العليا؛ ولكن كان لابد من الإشارة إلى باقى كتابات الرحالة التى استفدنا منها أيضًا استفادة كبيرة.

٥- كتابات لوقا Lucas

كانت له رحلة شهيرة في مصر في فبراير ١٧١٧م وتحدث عن عظمة الأعمدة التى تحويها معابد مصر العليا وعن روعة العلامات الهيروغليفية التى لا يعلم معناها. وتحدث عن رحلته لجرجا (عاصمه الصعيد) وزار بربا أبيدوس وأشار أن أكبر عدد من آثار القوم الأوائل يوجد في مدينة الأقصر[٤].

(1) Ibid., p. 31

(2) John David Woctham, Op.cit., p.34

(3) Ibid., p. 36

(4) Lucas. Voyage de Sieur Lucas, TomeIII, Paris, 1724, p.369.

وتوجه بزيارة إلى الأقصر وتحدث عن تمثالى ممنون وعن المسلات الرائعة التى تحويها معابد الأقصر وزار معبد أرمنت؛ وقد وصف وصفًا دقيقًا لمعبد دندرة. وقدم وصفًا لمعبد الكرنك وأعمدته وزار وادى الملوك والمقابر التى يحويها، وزار مدينة هابو وزار معبد إدفو[١].

وقدم لوقا العديد من الملاحظات عن اللغة الهيروغليفية مبنية على استنتاجات شخصية خالصة منه، وقدم أيضًا العديد من اللوحات التى تحوي رسومًا عن المعابد التى زارها فى مصر العليا وجاء وصفه مشابها لوصف نوردن وربما مطابقًا للوحاته أيضًا[٢].

٦- كتابات Sicard سيكارد

مع أن رحلات كل من لوقا وسيكارد كانت دينية بغرض تتبع الأقباط ولم تكن بغرض السياحة أو الاستكشاف؛ إلا أن كتاباتهم جاءت معبرة عما تحويه مناطق مصر العليا من مواد أثرية.

واستطرق سيكارد فى وصف ما دون طيبة (الأقصر) وما بعدها وخاصة معبد إيزيس الذى بنى فى جزيرة فيلة ووصف المقابر، التى قال عنها إنها مكونة من غرف وصالات وأعمدة، كما تحدث عن الألوان التى مازالت تحتفظ برونقها والتى تزين تلك المقابر المنحوتة فى جبل طيبة (يقصد وادى الملوك)، كما أشار إلى الكتابات الهيروغليفية وايحاءاتها المختلفه وقال إنها ربما تكون صورًا كاريكاتيرية توضيحية عن حياة المصرى القديم[٣].

أشار أيضًا أن معظم المنحوت على جدران المقابر إنما ينم عن ذكاء شديد للمصرى القديم الذى استخدم الأشكال الآدمية والحيوانية فى تصوير ما يريد ذكره أو ما يريد شرحه.

---

(1) Ibid., p. 153

(2) Clément, Op. Cit., p.111.

(3) Ibid., p. 116

٧- كتابات Savary سفاري

تحدث سفاري عن العديد من آثار مصر العليا فتحدث عن بربا أبيدوس وعن معبد دندرة وعن معبد الكرنك وقدم وصفا لجميع أجزاء هذه المعابد، وأشار أيضًا أن أكبر عدد من الآثار القديمة تحويها مدينة الأقصر التى تحوى أيضًا العديد من ملامح العمارة المصريه القديمة[١].

والمهم فى كتابات سفاري هو وصفه الدقيق للرسوم الهيروغليفية التى تحويها المعابد وعن قائمة الأبراج الفلكية التى يحتويها معبد دندرة: وإن كانت ليست المرة الأولى التى يوصف فيها هذا البرج وتحدث عن التقويم فى مصر القديمة وذلك من خلال النقوش التى على المعابد[٢].

٨-كتابات Granger جرانجر

وقد زار جرانجر مصر عام ١٧٣٠ ووصل إلى الصعيد عام ١٧٣١ وكانت زيارته بغرض ديني وهو محادثة الأقباط: ولكن في ١٥ فبراير من العام نفسه وصل إلى جرجا وشاهد المقابر المصرية وزار العرابة المدفونة والتي تعرف بمعبد أبيدوس، ووصف جرانجر المعبد وصفًا دقيقًا، وحدد أبعاده وتحدث عن عظمة الألوان الموجودة به والكتابات الهيروغليفية[٣].

كما زار جرانجر معبد دندرة وتحدث عن بهو الأعمدة العظيم الذي يوجد في المعبد وتحدث عن عظمة البناء للمعبد، ووصل بعدها إلى الأقصر وآثار طيبة القديمة وزار معبد الأقصر وتحدث عن المسلتين والتمثالين اللذين كانا في هذا المعبد، كما زار معبد الكرنك وتحدث عن طريق الكباش ووصف شكل الأعمدة التي يحويها المعبد وحدد أشكال الهيروغليفية التى وجدت[٤].

---

(1) Savary. Lettres sur - Egypte. Paris. 1798. P.91-100.

(2) Ibid.. P.130.

(3) Clement. Op.cit.. P. 158.

(4) Ibid.. P.136.

كما زار أيضًا وادي الملوك وتحدث عن المقابر التي وجدت به وعن مجموعة الرسوم التي تحويها هذه المقابر، وتحدث عن تمثالي ممنون الشهيرين ووصف مدينة هابو ووصل إلى إسنا وإلى إدفو وتحدث عن معبد إدفو.

وعلى الرغم من أن أغلب كتابات الرحالة الأجانب كانت عن الآثار الفرعونية فعلى ما يبدو أنها هي التي كانت تجذب أنظارهم، ولكن هذا لا يمنع الحديث عن ذكر بعض الأديرة. كما وصف جرانجر ديرين هما سانت أنتون وسانت باول اللذين بأخميم ووصفه لهذه الأديرة أيضًا جاء دقيقًا للغاية، ولكن معظم كتابات جرانجر كانت عن الآثار الفرعونية وعظمة آثار مصر العليا، وكان رحالة دقيقًا فقد تحدث تقريبًا عن معظم آثار الصعيد، فيبدو أنه كان على دراية بآثار الصعيد ممن سبقوه فلم يترك أثرًا إلا وذهب لرؤيته، إنما ينم هذا عن علمه بأماكن هذه الآثار.

٩- كتابات Brown براون

كانت زيارة براون لمصر قبيل الحملة بأعوام قليلة (١٧٩٠-١٧٩٢) وتوجه بزيارة إلى مصر العليا وزار معابدها وقدم وصفًا رائعًا لعدة معابد. وتحدث عن جرجا التي اجتمعت آراء الرحالة على أنها عاصمة الصعيد وزار معبد أخميم وتحدث عن معبد دندرة وعن الكتابات التي يحويها[١]. وتحدث أيضًا عن طيبة وآثار القرنة، وزار معبد الكرنك ومدينة هابو وتحدث بدوره عن تمثالي ممنون وزار وادي الملوك وتحدث عن معبد إسنا وإدفو وكوم أمبو[٢].

وتغلب على كتابات براون استعانته بما كتبه بوكوك، حيث كان يشير في أي حديث على أي معبد إلى ما كتبه بوكوك وما تحويه لوحاته، وهذا دليل على أن أي رحالة كان يأتي لمصر ربما كان يستعين بكتابات سابقيه ليكون على علم بهذه المناطق الأثرية ويتوجه لزيارتها.

---

(1) W.G.Browne, Nouveau Voyage dans La Haute et Basse Egypte, Syrie, Le Dar Four 1792- 1798, Tome Premier, Paris 1800, p.191.

(2) Ibid., P.208.

وفي حديث براون عن معبد دندرة، يشعر القارئ أنه داخل المعبد حيث يقول: (في البداية تواجه بوابة ضخمة تدخلك إلى بهو به أعمدة كثيرة تدفعك إلى ممر سقف مغطى بالكتابات الهيروغليفية.......)[1]. فيجعل من يقرأ بعده كأنه داخل المعبد وهذا يشير إلى دقة الوصف التي اتبعها براون في كتاباته.

ووصف براون معبدًا لم يذكر اسمه، فقط أشار أنهم استراحوا فيه ويحتوي هذا المعبد على عدد كبير من الأعمدة والدعامات وهو رائع، ومغطى بأشكال مختلفة على ما يبدو أنها إشارات هيروغليفية (أغلب الظن من باقي وصف لهذا المعبد أنه يتحدث عن معبد أبيدوس "البربا" حيث ذكر أنهم بعدها توجهوا لجرجا)[2].

وهناك رحلة Claude Louis Fourmont كلود لويس فورمونت، التى كانت مهمة في كشف النقاب عن أن الشيخ عبادة بها بقايا أعمدة ملقاة على الأرض مما يدل على وجود معبد فرعوني بها، وقد كانت رحلته لمصر عام ١٧٤٧ وكانت مركزة على الوجه البحري وخاصة القاهرة: ولكنه كتب أيضًا على الوجه القبلي وسماته ومميزاته وعدد أيضًا الآثار التي وجدت به[3].

١٠- كتابات سونيني Sonnini

وقد زار مصر عام ١٧٧٧م، وكان شديد الإعجاب بآثار مصر القديمة وخاصة آثار مصر العليا التي تدل على عظمة المصريين القدماء[4].

فزار معبد دندرة ووصف لوحات المعبد وصفًا دقيقًا. وأشار إلى كتابات كلٍّ من نوردن وبروك عن المعبد.

---

(1) Ibid., P.193.

(2) Ibid., P.189.

(3) Clement, Op.cit., P. 188.

(4) C.S. Sonnini. Voyage dans La Haute et Basse Egypte. Tome III. paris. An7. de La Republique. P.175.

وتحدث عن معبد صغير يوجد بمدينة قوص، بعدها تحدث عن آثار طيبة القديمة فقد أشار إلى معظم آثار الأقصر، فتحدث عن معبد الأقصر ومعبد الكرنك وعن الرسوم الهيروغليفية التي تحويها هذه المعابد، وتحدث عن مقابر الملوك بوادي الملوك وعن قرية القرنة وآثارها وعن تمثالي ممنون[١].

وتعجب من المصريين الذين لا يعرفون قيمة آثارهم وكيف أن معظم المعابد كانت بمثابة أماكن استراحات للمصريين، وأنهم يهملونها تمامًا، مع أنه كان على يقين بأهمية هذه المعابد.

تحدث سونيني أيضًا عن دقة النحت التي تميز بها المصري القديم في وصفه لمعبد أبيدوس والذي رأى أن هذا المعبد يحوي العديد من العناصر المميزة، وفي رأيه أن أغلب المعابد رغم اشتراك العناصر المعمارية بينها، إلا أن كلاً منها له صفة مستقلة بذاتها عن باقي المعابد[٢].

وهناك رأي يقول إن سفاري وسونيني لم يكونا مجرد سائحين وإنما رسلاً للحكومة الفرنسية.

ومما سبق يتضح أن آثار مصر العليا تدين بالكثير لرحالة القرن الثامن عشر الذين كشفوا النقاب عن هذه الآثار وقدموا وصفًا دقيقًا لها، وخاصة سيكارد الذي وصف طيبة وصفًا دقيقًا وواصل اكتشافاته حتى كوم أمبو وأسوان وفيلة.

وهناك رحالة عرب وأجانب زاروا مصر ولكن لم يتوجهوا لزيارة الصعيد ورؤية آثاره، ربما لعلمهم بصعوبة الرحلة إلى أعماق الصعيد مثل عبد الغني إسماعيل النابلسي الذي زار القاهرة وقدم لها وصفًا دقيقًا وزار مدن الدلتا ولم يتوجه لزيارة الصعيد[٣]؛ وأيضًا كارستن نيبور ألماني الجنسية الذي زار مصر في

---

(1) Ibid., P.176.

(2) Ibid., P.240.

(٣) عبد الغنى إسماعيل النابلسى، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم أحمد عبد المجيد هريدى، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٨٠.

القرن الثامن عشر ولكن لم يتوجه لزيارة الصعيد ربما أيضًا لعلمه بأحوال الصعيد السيئة[1].

والأمر المثير للغرابة هل كان هؤلاء الرحالة الذين لم يتوجهوا للصعيد لم يلتفتوا إلى كتابات سابقيهم عن آثار الصعيد الهائلة وكنوزه الرائعة التي يحويها!

هناك أيضًا الرحالة جون أنتيس (١٧٧٠-١٧٨٢) الذي تحدث عن أمور مصر العامة بشكل جيد ولكنه لم يتوجه بأي ذكر لأي أثر من آثار الصعيد[2].

وهناك فولني Voleny الذي تحدث عن العديد من شئون المصريين وعن خصائص المماليك وصفاتهم، فهو لم يدرس إلا طبيعة مصر المعاصرة دون أن يعير أي اهتمام لمصر الفرعونية[3].

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر زاد الاهتمام بمصر نتيجة للتوسع التجاري، ولقد كان وصول الرحالة بروك إلى مصر عام ١٧٦٨ فاتحة لقدوم الرحالة والمستكشفين للطريق البري بين بريطانيا والهند عبر مصر، وقد كان الطريق المعتاد الذي يسلكه الرحالة هو الوصول بحرًا إلى الإسكندرية أو رشيد أو دمياط ثم استخدام المراكب النيلية حتى ميناء القاهرة الأول وهو بولاق ومن القاهرة يلتقون بالقوافل المسافرة إلى السويس وبهذا زادت المعرفة عن مصر[4].

ولقد كانت أفضل الكتابات المفضلة لدى الأوروبيين عن مصر كتابات بوكوك ونوردن وفولني وسفاري، ووصف هؤلاء الرحالة سكان مصر في القرن الثامن

---

(١) كارستن ينبور، رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ ـ ١٧٦٧، الجزء الأول، رحلة إلى مصر. تقديم مصطفى ماهر. القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) سيد أحمد على الناصرى. مذكرات رحالة عن المصريين وعاداتهم وتقاليدهم فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون أنتيس (١٧٧٠ ـ ١٧٨٢)، القاهرة، ١٩٩٧.

(٣) ثروت عكاشة. مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء في القرن التاسع عشر. القاهرة، ١٩٨٤، ص٧٢.

(٤) سيد أحمد على الناصرى. المرجع السابق، ص١١.

عشر بأنهم يعيشون حالة من الانحطاط الفكري، ويُجْري أنتيس مقارنة بين المصريين المحدثين وأجدادهم الفراعنة عندما يقول "إن المصريين القدماء كانوا علماء حقيقيين في الفلك، أما معاصروهم فهم علماء في التنجيم والدجل"[1].

وأظهر الحكام الأجانب أيضًا اهتمامًا بالآثار: ففي عام ١٧٨٠ أظهرت ماري أنطوانيت ملكة فرنسا اهتمامًا كبيرًا بالآثار المصرية وكانت تأمر بإحضار القطع الأثرية من مصر لتضعها في قصرها الملكي. وكانت مغرمة خاصة بتماثيل أبي الهول والتي وجد منها في غرفة نومها بقصر فرساي[2].

وقد ظهرت مؤلفات ضخمة للرحالة. هذه المؤلفات كانت تتحدث عن آثار مصر العليا. ولسنا في حاجة إلى تقديم وصفهم الدقيق لكل أثر من آثار مصر العليا، ولكن كل ما يعنينا هو إبراز اهتمامهم بها وكشفهم لها وإظهارها للعالم قبل مجيء الحملة الفرنسية.

ومن المؤكد أن كتاباتهم هذه عن الآثار كانت أحد الأسباب التي دفعت بونابرت أن يأتي بعدد من الرسامين والفنانين معه في حملته لإبراز هذه الآثار التي كتب عنها هؤلاء الرحالة.

ويزيل التساؤل الذي يدفع بنا أحيانًا إلى أسباب مجيء علماء آثار ورسامين معه إلى مصر. فمن المؤكد أن مكتبته كانت تحوي كتب بروس وسفاري وغيرهم من الرحالة الذين استفاضوا في وصف آثار الصعيد بشكل يجعل القارئ متعطشًا لرؤية هذه الآثار.

وسنرى معًا أسباب مجيء هؤلاء الرحالة إلى مصر. فقد اختلف سبب كل رحالة عن الآخر فيما عدا سفاري وسونيني والتي أشارت المصادر أنهم رسل استكشافيون للحكومة الفرنسية.

---

(١) جون أنتيس. المرجع السابق. ص ١٢.

(٢) روبير سوليه. مصر ولع فرنسي، ترجمة لطيف فرج، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٣.

أسباب مجيء الرحالة إلى مصر

اختلفت أسباب مجيء الرحالة من رحالة لآخر، فقد كانت الرحلات إما من أجل الحج وتعرف بالسياحة الدينية، أو سفارات سياسية أو لطلب العلم وتعرف بالسياحة الثقافية، أو لمجرد المتعة والرغبة الشخصية وتعرف بالسياحة الترفيهية، أو لغرض التجارة وتعرف باسم سياحة رجال الأعمال[1].

ولكن السياحة بمعناها المعروف لم تظهر في فترة الحكم المملوكي أو العثماني، ولكن كان هناك تواجد أجنبي للأغراض السابقة.

وقد أقامت بمصر طائفة من التجار الأجانب ولكن عددهم كان محدودًا: فأكثرهم ليس لهم رءوس أموال ثابتة في مصر وإنما كانوا عملاء لبيوت تجارية في بلادهم، الجدير بالذكر أن هناك الكثير من الفرنسيين الذين زاروا مصر بناء على أوامر الملك لويس الرابع عشر[2].

ولابد أن هؤلاء الرحالة كما سبق الإشارة هم جواسيس للفرنسيين يكتبون التقارير المختلفة لأحوال مصر العامة والأثرية، كما أشرنا أن بونابرت كان على دراية بأحوال مصر مما كتبه الرحالة الفرنسيون وهذا ما حدا به إلى أن يأتي بمجموعة العلماء والرسامين.

فتقارير هؤلاء الرحالة كانت مهمة لوضع تصور عام عن حالة مصر قبل قدوم الحملة إليها. ولقد كان عدد الأجانب قليلاً وكان الغرض هو التجارة أو حب السفر في حد ذاته: لذا فإن السياحة بمعناها أيضًا لم ترد في صعيد مصر حتى حدود هذه التجارة لم تكن تتم في أعماق مدن الصعيد: بل كانت تتم في الدلتا بعد نقل البضائع من مصر العليا.

---

(١) جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب، آثار فرعونية، آثار اليونانية الرومانية، الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٤١.

(٢) صالح رمضان محمود، الجاليات الأجنبية في مصر في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢.

وكانت كتابات السابقين توجه عنايتهم إلى كنوز الصعيد وتدفع بهم إلى القدوم إليه ورؤية آثاره.

حتى طائفة هؤلاء التجار الأجانب الذين كانت لهم رءوس أموال ثابتة بمصر لم تكن لهم رءوس أموال بالصعيد ولكن أموالهم كانت بالدلتا[1].

(أ) حكام مصر وآثار الصعيد

لم يُشِرْ أي مصدر إلى اهتمام المماليك أو العثمانيين بالآثار سواء في الدلتا أم الوجه القبلي. لقد كانت اهتماماتهم تنصب على إنشاء المساجد، وكما أشرنا فقد كنت تستخدم في بناء بعض هذه المساجد أعمدة مأخوذة من المعابد القديمة، وكما أشار لوقا أن أحد المعابد في صعيد مصر كان يستخدم كإسطبل للخيل للأتراك وهذا يوضح فكرهم تجاه هذه الآثار.

بعض الصور التوضيحية تشير أن المماليك كانوا يتخذون من المعابد الفرعونية استراحات لهم، وهذا يدل على فكر المماليك أيضًا تجاه هذه الآثار.

فإن حكام مصر من المماليك والعثمانيين كانت اهتماماتهم محصورة في الأنشطة الاقتصادية دون غيرها، أما الآثار فلم تُثِرْ اهتمامهم.

(ب) المحكومون وآثار الصعيد

إذا كان الحكام الذين يحظون بحياة مرفهة، لم يشعروا بقيمة هذه الآثار، فما بال المحكومين، الذين كانوا يعيشون حياة جافة للغاية اتضحت لنا من خلال عرضنا لأحوال الصعيد العامة من الفلاح الذي أثقل كاهله بالضرائب والذي عاش حياة صعبة أقرب ما تكون للسخرة.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢.

بالإضافة إلى العزلة التي كانت تعيشها مصر بعيدًا عن باقي دول العالم المتقدمة، وقلة الثقافة والوعي بقيمة الحضارة المصرية وعناصرها التي تكمن أهميتها في الآثار في المقدمة. فكيف بعد كل هذا ينظر الفلاح إلى هذه الآثار ويشعر بقيمتها وهي في نظره خرائب قديمة لا قيمة لها!.

الفصل الثانى

آثار مصر

العليا بين القادة والجنود

لقد كانت فكرة احتلال فرنسا لمصر سابقة على الحملة، ويظهر من الكتابات أن كلاً من سونيني وسفاري لم يكونا مجرد سائحين. وإنما رسولا الحكومة التي كانت تحثهم على استكشاف مصر ومعرفة أخبارها حتى تكون عملية احتلالها أمرًا يسيرًا لهم(١).

وعلى الرغم من أن فكرة الاحتلال لم تكن الاستيلاء على مصر فقط ولكن أيضًا للقضاء على قوة عظمى هى إنجلترا العدو اللدود لفرنسا لذا، فكر بونابرت في محاربة إنجلترا بقطع الطريق التجاري للهند والسبيل لذلك هو احتلال مصر(٢).

ولكن كان لابد من إبراز حجة تبرِّر لهم هذا الاحتلال لمصر حيث إنها من أملاك الدولة العثمانية. ولم يستطيعوا إلا أن يقولوا إنهم جاءوا لتخليص مصر من قوة عظمى هي المماليك التي أزعجت الشعب المصري(٣).

ولقد كان نابليون مولعًا بسحر الشرق عامة وبمصر خاصة، واختار من بين الضباط الذين كان يثق فيهم، وأيضا عددًا من العلماء الذين كان يثق بهم والمتخصصين وكانت هذه القوة مكونة من ٣٦٠٠٠ فرد من الجنود والخبراء والعلماء والمترجمين وعلماء الآثار. ولكن كان ما يعنى نابليون ليس مجرد احتلال

---

(١) أحمد حافظ عوض، فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر . القاهرة، بدون تاريخ، ص ٧٤.

(٢) نفسه، ص٨٠.

- Rifat Bey, The Awakening of Mdern Egypt, London, 1984, p. 1

(٣) لقد كانت هناك محاولات فرنسية قبل الاحتلال ولكن باءت بالفشل. لمزيد من المعلومات انظر: عبد الرحمن الرافعى، تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم فى مصر، ج ١، القاهرة، ١٩٨١، ص٧٥.

مصر لإيذاء بريطانيا في تجارتها؛ ولكن للاستفادة أيضًا من خيراتها التي قرأ عنها فى كتب الرحالة[1].

وقد اقتنع نابليون أن القيادة العثمانية في إستانبول قد ضاقت ذرعًا بوجود المماليك فى مصر واتخذ من هذا سلاحا يبرر به غزوه لمصر دون أن يخسر حليفته تركيا، وأشار أنه حليف للسلطان ولم يدخل مصر غازيًا للدولة العثمانية ولكن فقط ليخلص الدولة العثمانية من القوة المملوكية الغاشمة وأن فرنسا لن تخسر صداقتها للدولة العثمانية. وأشار نابليون فى مذكراته أن هناك ثلاثة أسباب لغزو مصر، وهى كالتالى:

١- تكوين مستعمرة فرنسية في مصر:

٢- فتح أسواق تجارية جديدة في أفريقيا وبلاد العرب وسوريا:

٣- أن يبدأ من مصر بـ ٦٠٠٠٠ رجل لغزو الهند[2].

وفى البيان الذي أصدرته حكومة الديركتوار يوم ٢٥ أبريل سنة ١٧٧٨ أنها لما علمت أن البكوات المماليك استولوا على حكومة مصر وأنهم يرتكبون الأعمال العدائية والمظالم ضد الفرنسيين قررت الحكومة القضاء على هذه القوة[3].

مما سبق يتضح أن أسباب الحملة تنقسم إلى جزأين. الأسباب الحقيقية وهى القضاء على بريطانيا العظمى وضربها فى متاجرها والاستيلاء على خيرات

---

(١) ريمون فلاور، مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر، ترجمة سيد أحمد على الناصري، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٣١.

- Darrel Dykstra, The French occupation of Egypt 1798 - 1801, in Cambridge History of Egypt , VOlII, p. 117.

(٢) نبيل السيد الطوخى. صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨ ـ ١٨٠١، القاهرة ١٩٩٧، ص ١١٠

(٣) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٨٦

- ليلى عنان، الحملة الفرنسية بين الأسطورة والحقيقة، العدد ٥٠٠ صفر ـ أغسطس، (دار الهلال)، ١٩٩٢، ص ١١-١٣.

مصر والتوسع فى العمليات التجارية وتكوين مستعمرة فرنسية فى الشرق، أما عن الأسباب الزائفة والتي أشاعتها الحكومة الفرنسية حتى تُرضى الدولة العثمانية الحليفة: فهى القضاء على القوة المملوكية في مصر التي تتعرض للرعايا الفرنسيين بمصر.

الإعداد لحملة بونابرت

لقد كانت الحملة مؤلفة من قرابة ٣٦٠٠٠ جندي من القوات البرية والبحرية بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء والخبراء والباحثين، أشاد المؤرخون بذكاء بونابرت فى هذه النقطة، فقد اختار ضباطه بعناية ولم يترك أي شىء إلا وفكر فيه، حتى أرباب الحرف اللازمة للجيش والمطبعة ذات الحروف العربية. وأهم ما فكر فيه بونابرت هو انتقاء مكتبة جامعة للكتب عن مصر والشرق ليقرأها مع ضباط جيشه أثناء السفر[١]، ولم يترك شيئا إلا وأعد له فحملته ذات طابع علمي وعسكري في الوقت ذاته. وبدأت الرحلة التي عرف جيشها بجيش الشرق والتي وصلت مالطة فى ٩ يونيه ١٧٩٨، وفى ١٩ يونيه أقلعت الحملة الفرنسية من مالطة متجهة إلى جزيرة كريت[٢].

وفى ٢٦ يونيه، علم نابليون أن نيلسون على رأس أسطول ضخم ليتتبع نابليون، بعدها ألقى بونابرت منشوراً للجيش وذلك حتى يخبره أن هذه الحملة لمصر حيث إن هذه الحملة كانت سرية للغاية، وفى الأول من يوليو وصل بونابرت إلى جزيرة مربوط Marbout غرب إسكندرية، وعندما سمع عن جيش نيلسون اتجه سريعاً إلى أبي قير ومنها إلى الإسكندرية ولم يجد صعوبة فى دخول الإسكندرية[٣]. وفى ٩ يوليو أبحر إلى القاهرة على الشاطئ الغربي للنيل وتحديدا من خلال

---

(١) زينب عبد العزيز، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ٤٩.

(2) Afaf lutfi Alsayed, Ashort History of Modern Egypt, Cambridge, 1985 , p. 50.

ـ أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص٨٨.

(٣) أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، الجزء الثالث، القاهرة، ص٨٧٥.

دمنهور والرحمانية وشبراخيت وإمبابة، وخلال هذه الرحلة لقى الجنود العديد من المتاعب حيث إن درجة الحرارة فى هذا الشهر كانت عالية للغاية.

ويشير الجبرتى أنهم يوم الأربعاء ٢٠ محرم ١٢١٣هـ/ ٤ يوليو ١٧٩٨م وردت مكاتبات من الثغر ورشيد ومن دمنهور بأنه فى يوم الإثنين ١٨ محرم/ ٢ يوليو جاءت مراكب الفرنسيين الكثيرة وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل وخرج أهل الثغر لمحاربتهم ولكن دخلت الفرنجة البلد ورجع أهل الثغر للتدرس فى البيوت[١].

والتقى مراد بك مع جيش بونابرت بالقرب من شبراخيت ١٢ يوليو ١٧٩٨م فهزمه نابليون، ورجع مراد بك إلى القاهرة حيث يستعد لملاقاة جيش بونابرت هناك للمعركة الفاصلة. والتقى الجيشان فى إمبابة وبالقرب من الأهرام حدثت موقعة الأهرام كما أسماها المصريون أو معركة إمبابة كما أسماها الفرنسيون، التى هزم فيها مراد بك فى ٢١ يوليو ١٧٩٨ م / ٧ صفر ١٢١٣هـ[٢].

ومما لا شك فيه أن موقعة الأهرام أثرت على جيش كل من مراد بك وإبراهيم بك، فقتل منهم كثيرون وقليل من جنود المماليك هم الذين تبعوا مراد بك بعد فراره إلى الصعيد. وفر كُلٌّ من إبراهيم بك والبك العثماني بعدها بدأت سياسة نابليون فى مصر، فقد ادعى سابقًا أنه جاء ليخلص مصر من المماليك ولكنه فرض قيودًا غاية فى الصرامة على المصريين تعدت قسوة المماليك عليهم فقد ألزم المصرى بأن يدفع رسومًا على أشياء كثيرة مثل المواليد والوفيات وعقود الزواج وحتى السفر، وأن يضع شريطًا مثلث الألوان فوق عمامته كرمز خضوع للفرنسيين[٣].

---

(١) الجبرتى ، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، الجزء الأول، تحقيق عبد الرازق عبد الرازق عيسى وعماد أحمد هلال، القاهرة، ١٩٩٨، ص٤٠.

(٢) عبد الرحمن الرافعى ،المرجع السابق، الجزء الأول، ص٨٦.

(٣) ريمون فلاور، المرجع السابق، ص٦٩- الجبرتى، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ١٦٤.

ولقد عمم نابليون نظام الديوان فى مصر كلها، وفى ٢٧ يوليو ١٧٩٨م أمر بأن يتكون فى كل مديرية من مديريات مصر ديوان مؤلف من ٧ أعضاء مسئولين عن الشكاوى التى تصل لهم[١].

ويعين شخص يسمى "مباشر" فى كل مديرية لجباية أموال الميرى والضرائب وإيراد أملاك المماليك التى صارت ملكًا للجمهورية مع وجود عدد من العمال ليعلنوه، ويعين بجانب المباشر وكيل فرنسي للمخابرة مع مدير المماليك ومراقبة تنفيذ الأوامر التى يصدرها[٢].

ودعا بونابرت أيضًا إلى اجتماع الديوان العمومي فى ٧ أكتوبر ١٧٩٨م حيث أرسل كل إقليم وفدًا من ثلاثة علماء وثلاثة تجار وثلاثة فلاحين، واحتوى هذا الديوان على مندوبين من القاهرة والإسكندرية ورشيد ودمياط والبحيرة والغربية والمنصورة والشرقية والمنوفية والقليوبية والجيزة وأطفيح وبنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وجرجا، كما حرص بونابرت أن يكون هؤلاء الأشخاص ممن لهم نفوذ بين الأهالى[٣].

أسباب الحملة على مصر العليا

أرسل بونابرت الجنرال ديزيه حتى يلاحق مراد بك الذى فر إلى الصعيد، وبهذا يكون الغرض من الحملة على الصعيد كما ذكر نقولا الترك أولا لمحاربة مراد بك ومن معه وثانيا لكى يهدئ من ثورة البلاد، ويشير نقولا الترك أن مراد بك بعد فراره للصعيد تصالح مع عثمان بك حسن وحسن بك الجداوى وهذان السنجقان كانا مطرودين من إبراهيم بك ومراد بك بعد موت إسماعيل بك[٤].

---

(١) عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق ،ج١، ص١٠٤.

(٢) نفسه، ص ١٠٤.

(٣) أندريه ريمون، المصريون والفرنسيون فى القاهرة، ت : بشير السباعي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١١٠.

(4) Arthur Goldschmidt ,Modern Egypt the Formation of a nation state, London, 1985, p. 30.

- Nicolas Turc, Chronique d'Egypte 1798-1804, Jaston Wiet(ed.),Cairo, 1950, p.31.

ومما لا شك فيه أن بونابرت فكر فى إخضاع الصعيد، حيث أن وجود قوة معادية له فى الصعيد قد يؤثر على حكومته المركزية فى القاهرة، ويقال أن مراد بك حبس السفن المحملة بالغلال فى الوجه القبلى بعد تعطل حركة الملاحة وهذا دفع نابليون بالعجلة فى احتلال الصعيد: ولكنه فكر فى عقد اتفاق مع مراد بك على أن يترك له مديرية جرجا وما يليها إلى الشلال ويكون تابعًا للحكومة الفرنسية(١).

ولقد كانت خطة احتلال الصعيد قائمة قبل عقد الهدنة مع مراد بك وكلف الجنرال ديزيه بهذه الحملة ومعه عدد من الجنرالات والفنانين والمهندسين والفنان الرائع (فيفيان دينون).

خط سير الحملة على الصعيد

عهد بونابرت إلى ديزيه وفرقته لملاحقة مراد بك الذى فر إلى الصعيد وجعل بونابرت ديزيه قائدا على الحملة العسكرية الموجهة إلى الصعيد. وخرج ديزيه وفرقته من القاهرة فى فريكتيدور من العام السادس للتقويم الجمهوري الفرنسى بما يوافق ٢٥ أغسطس ١٧٩٨م ووصل لبنى سويف فى ٣١ أغسطس. وقد علم وقتها أن المماليك يحتشدون فى الفيوم(٢).

وقد تألف جيش ديزيه فى حملته على الصعيد من أربعة آلاف جندي وثلاثة آلاف من المشاة وألف من الخيالة وعدد من القوارب والمدافع والدواب لمساعدة الجنود، ولقد كانت الرحلة للصعيد بالنسبة للجنود شاقة للغاية فقد مرض منهم كثيرون بسبب حرارة الجو الشديدة والجفاف اللذين لم يعتادوا عليهما. ولولا

---

(١) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق ص٣٢٣.

- Commandant Guitry. L'armée De Bonaparte en Egypte 1798-1799. Paris. 1927. P.209.

(٢) هنري لورنس، الحملة الفرنسية فى مصر بونابرت والإسلام. ت. بشير السباعي . القاهرة. ١٩٩٥. ص٢٧٧.
وعن شخصية ديزيه وحملته على الصعيد انظر:

- Gonzague Saint. Bris. Desaix Le Sultan De Bonaparte. Berlin. 1995.

وجود قائد زكى ومحارب بارع مثل ديزيه لما استطاعوا أداء مهامهم(١). وقد اختار ديزيه المعلم يعقوب القبطي الصعيدي ليكون عونًا له فى حملته على الصعيد(٢).

كانت أول مرحلة استقر عندها جيش ديزيه هي بلدة الفشن التابعة لبنى سويف وهناك علم أن مراد بك مرابط بجيشه فى بلدة البهنسا، وهنا عزم ديزيه على مواصلة مهامه باحتلال البهنسا والقضاء على جيش مراد بها وهرب مراد بك إلى أسيوط وتبعه ديزيه(٣).

ولكن بعد وصوله إلى أسيوط علم أن مراد بك فر إلى اللاهون بالفيوم، وأمر ديزيه جنوده بالاستيلاء على أسطول مراد بك بما يحويه، ولكن المماليك قد علموا بقدومهم وفروا إلى جرجا وبعدها وصل ديزيه وتتبعهم وفر مراد بك من جرجا قبل وصول ديزيه إليها بيوم واحد(٤).

وبعد أن علم ديزيه بفرار مراد بك إلى الفيوم قرر العودة إليها حتى يقضى عليه وعاد إلى الفيوم عن طريق بحر يوسف وتسلم إمدادات كانت قد أتت من القاهرة، ودخل ديزيه بحر يوسف فى ٢٣ سبتمبر ولدهائه الحربى فقد ترك مجموعة من السفن لتحمى مدخل بحر يوسف حتى يؤمِّن وضعه فى الطريق إلى الفيوم(٥).

وصل ديزيه إلى قرية سدمنت ودارت بها معركة فى ٧ أكتوبر وكان عدد الجيش المصرى أكثر فى هذه المعركة، ولكنهم كانوا يفتقدون الحنكة العسكرية فى التنظيم والتى أتقنها الفرنسيون على الرغم من أن المماليك كان يُشهد لهم بالحنكة العسكرية وأنهم محاربون عظماء(٦).

---

(١) نبيل السيد الطوخى. المرجع السابق. ص١٢٤.

(٢) كرستوفر هيرولد. المرجع السابق . ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٣) نفسه. ص ٣٣٠.

(٤) أحمد حافظ عوض. المرجع السابق. ص١١٧.

- هنرى لورنس. المرجع السابق. ص٢٨٠.

(5) Berthier. Memoires du Marechal Berthier . Campagne d'Egypte . Paris. 1827. p.107.

(6) Voleny. Voyage en Egypte et en Syrie. Paris. 1959. p. 107- 108.

بعدها هرب مراد بك ومماليكه إلى بركة جنوب غرب الفيوم تدعى بركة الغرق، وكان الجيش الفرنسى قد أصيب بالإرهاق والتعب ورغم انتصاره فقد تكبد خسائر كبيرة؛ لذا أجَّل فكرة لقائه بالمماليك واكتفى بالاستيلاء على بعض متاع المماليك قبل فرارهم(١).

وأكمل ديزيه معاركه مع مراد بك تنفيذًا لأوامر بونابرت وطلب الإمدادات منه، وأرسل ديزيه بخطاب إلى بونابرت يصف له الحالة الصحية التى يعانى منها الجنود(٢).

وقد كان ديزيه يقوم بجمع الضرائب من القرى التى يغزوها حتى يسد حاجة الجنود من نقص المؤن، وفعل ذلك فى الفيوم والقرى التابعة لها فزادت مقاومة الأهالى له وللجنود(٣).

ولدهاء الفرنسيين العسكري وتفوقهم الحربي على المصريين ولدقة التخطيط أيضًا، استطاع الفرنسيون بقيادة أبلر القائد العسكري إحلال الهزيمة بالمصريين على الرغم من المقاومة الشديدة للأهالى، ووصلت الإمدادات لديزيه مع قائد عسكري يدعى بيلار وكانت مكونة من ست سفن منها سفينة بونابرت Italy(٤).

وبعدها وصل ديزيه للمنيا فى ٢١ ديسمبر ١٧٩٨م، وفى ٢٥ ديسمبر احتل جيش ديزيه أسيوط ومنها لجرجا لملاحقة مراد بك وجيشه، واستقر ديزيه فى جرجا مدة طويلة وصلت إلى ثلاثة أسابيع فى انتظار الإمدادات إلى الصعيد(٥).

---

(1) Berthier, Op. cit., P.110.

(٢) خطاب من Boyer إلى ديزيه منشور فى مختارات من وثائق الحملة الفرنسية ١٧٩٨ - ١٨٠١، مراجعة مديحة دوس، القاهرة، ٢٠٠٤ ، ص ٨٣-٨٥.

(3) La Jonquiere, L'expéditon d'Egypte, Tome III, Paris, 1899 -1907, P.333.

(٤) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٣٥٤.

(٥) لويس جرجس، يوميات من التاريخ المصري الحديث ١٧٧٥-١٩٥٢، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٤٨.

- Jean Joel Bregon, L'Egypte de Bonaparte ,Canda,1999, p. 138.

ووصل جيش ديزيه بعدها لسوهاج وقمع قائده ديفو الثورة التى كانت بها ومنها لطهطا فى ٨ يناير، وفى ١٨ يناير وصلت الإمدادات لجرجا[١]، وفى ٢٢ يناير ١٧٩٩ حدثت معركة بين جيش مراد بك وجيش ديزيه حيث أن جيش مراد بك كان مرابطًا فى سمهود الواقعة بمركز نجع حمادى جنوبًا[٢].

الجدير بالذكر أن أبناء الصعيد وقفوا فى مواجهة الغاصب المحتل وكان لديهم العديد من حركات المقاومة، ولكن يبدو أن التخطيط العسكري الفرنسي تغلب على أدوات الشعب البسيطة[٣].

بعدها زحف ديزيه جنوبًا حتى وصل إلى دندرة وذلك فى ٢٤ يناير عام ١٧٩٩ ومنها لطيبة ثم إلى أرمنت، ووصل بعدها إلى إسنا فى ٢٨ يناير من العام نفسه وفر حسن بك ومراد بك إلى النوبة جنوبًا، وواصل ديزيه زحفه إلى إدفو ثم إلى أسوان وفى ٢فبراير وصل ديزيه إلى جزيرة فيلة[٤].

وبهذا امتلك ديزيه زمام الصعيد بأكمله رغم وجود بعض الصعوبات فى جزيرة فيلة نظرا لمقاومة الأهالى للقائد بيلار، ولكن بعد احتلال الجزيرة ظل نطاق الصعيد بأكمله خاضعًا للفرنسيين على الرغم من إحكام القبض على مراد بك وبهذا يكون ديزيه حقق نصف المهمة التى من أجلها وُكل لغزو الصعيد[٥].

واستقر بيلار بأسوان حتى يمنع عودة مراد بك من بلاد النوبة أى ما وراء الشلالات ولكنه هرب عن طريق الصحراء الغربية، وفى ٢٨ فبراير وصل بيلار

---

(1) Berthier, op.cit.,p.116.

(٢) كرستوفر هيرولد، المرجع السابق، ص٢٢٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حركات المقاومة فى الصعيد انظر: نبيل السيد الطوخى، المقاومة الشعبية فى صعيد مصر ضد الحملة الفرنسية (١٧٩٨- ١٨٠١)، فى مجلة التاريخ والمستقبل، المقاومة الشعبية فى مصر ضد الاحتلال الأجنبى عبر العصور، ١٠ مايو ٢٠٠٤.

(٤) أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص١٨٢-١٨٣.

- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٢٦٦.

(5) Jean. Joel Bregeon, Op.cit, P.140.

إلى إسنا. وقد تجمع مجموعة من عرب الحجاز لمساندة أهالى الصعيد فى معركتهم مع الفرنسيين ووكل الجنرال Friant باحتلال قنا. وبهذا القطع للاتصال تكون السيطرة للفرنسيين فهذا الانقطاع سيمنع أي وصول للإمدادات سواء للمماليك أم لأهالى الصعيد(١).

والتقى جيش ديزيه برئاسة ديفو بكل من عثمان بك وحسن بك وقواته فى ١١ فبراير ببلدة تابعة لمركز إدفو بأسوان وتعرف بالرديسية. واستطاع ديفو أن ينتصر على المماليك وأدى ذلك إلى هروب عثمان بك إلى الصحراء. وفى ١٢ فبراير دارت معركة عند ضواحى قنا وانتهت بانتصار الفرنسيين على كل من المماليك وعرب الحجاز(٢).

هرب بعدها عرب الحجاز إلى أبي مناع وانتصر الفرنسيون عليهم أيضًا فى ١٧ فبراير(٣).

وكان مراد بك إبان ذلك الوقت فى إسنا ولكن كليمنت Clément القائد الفرنسى استطاع أن يجعله يتقهقر بجيشه إلى أرمنت، ودارت بعد ذلك معركة أبنود النيلية فى الثالث من مارس ١٧٩٩م والتى انتهت بهزيمة الفرنسيين، ولقد حققت المقاومة الشعبية فى صعيد مصر انتصارًا كبيرًا فى هذه المعركة ولقد كانت خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة فادحة، بل لقد كانت أكبر خسارة للجيش الفرنسى فى فترة احتلال الصعيد(٤).

توجه بعدها بيلار إليهم ليساعدهم وأيضًا بعد أن علم ديزيه عاد من أسيوط بمؤن جديدة لمساعدة بيلار. وعُين بيلار بعد انتصاره فى موقعة بئر عنبر القائد

---

(1) Ibid.,p.141.

- نبيل السيد الطوخى . المرجع السابق، ص ١٩٨.

(2) Berthier. OP.Cit. P.122-126.

(٣) قرية أبى مناع تابعة لمركز دشنا بمحافظة قنا.

(٤) لمزيد من التفاصيل، انظر نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص٢٠٠-٢٠٦.

أبلر بإسنا حتى يقطع على المماليك عودتهم، ولكن فى ١٦ مايو دارت معركة بين الفرنسيين وحسن بك وعثمان بك عند أسوان وانتهت بهزيمة المماليك وهروبهم إلى النوبة[١]. ونجح بيلار فى الاستيلاء على القصير أيضًا وعين دونزلوه قائدًا عليهم[٢].

أما عن مراد بك فقد تصالح مع كليبر بسفر بونابرت وتولى كليبر ذلك فى ٥ أبريل ١٨٠٠م[٣]. وقد كان كليبر يفكر فى المصالحة مع مراد بك حتى يتفرغ للأمور الأخرى فى القاهرة والدلتا، ولقد كان هذا التحالف هو طوق النجاة لمراد بك[٤].

ولقد شملت المعاهدة عدة أقسام: إداريًا حيث إنها تنص على أن جرجا عاصمة الصعيد وخصصت لمراد بك، اقتصاديًا حيث ترك الفرنسيون حامية فى ميناء القصير فلم يتركوها خالصة لمراد بك وذلك لأنها نافذة مصر الجنوبية على البحر الأحمر[٥].

أما عسكريًا فتنص هذه المعاهدة على أن يقدم مراد بك عددًا من المماليك إلى القائد العام الفرنسي، وتعهد مراد بك بأن يشارك الفرنسيين فى قتال أعدائهم كما ألزمت المعاهدة الفرنسيين أيضًا بأن يقدموا الحماية لمراد بك، ومما لا شك فيه أن كليبر لم يكن يريد بهذه المعاهدة أن يجعل الصعيد جمهورية خاصة للمماليك فى مصر، ولكنه أراد أن يضمن ولاء المماليك له[٦].

---

(١) نفسه، ٢١٥ - ٢١٧.

(٢) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٣٩٥.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدة، انظر نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص٢٢٧ وما بعدها.

(٤) عبد العزيز سليمان نوار وعبد الله عزباوى وآخرون، مشروع وثائق تاريخ العرب الحديث، وثائق تاريخ الحملة الفرنسية على مصر والشام، أولا الحكم الذاتي لجنوب مصر تحت المظلة الفرنسية، القاهرة بدون تاريخ ص٢٣-٢٤.

(٥) نفسه، ص ٢٥.

(٦) عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص٣٧.

وبهذا هدأت الأمور فى صعيد مصر وتم تنظيم الأعمال الإدارية، وفى أحد أوامر الجنرال كليبر فى ٢٨ فريكتدور للعام السابع للجمهورية، ١٤ سبتمبر ١٧٩٩م أن يقسم القطر المصرى إلى ثمانية أقاليم أولها طيبة أو قنا وجرجا وأسيوط والمنيا وبنى سويف والفيوم[١].

وعُين دونزلوا بإقليم أسيوط والمنيا، وهناك عدة خطابات من اللواء مينو إلى دونزلوا بشان الإقليم ولكن الشىء الغريب أن هناك خطابًا مؤرخ فى ٢٧ ببريريال من العام الثامن للجمهورية الموافق ١٦ يونيه ١٨٠٠م إلى العميد دونزلوا فيه تحذير من مينو إلى دونزلوا من مراد بك وفى الوقت ذاته معاملته بصدق ووفاء[٢].

ولم يختلف النظام الإدارى من حيث استخدام الكشاف عن النظام الإدارى العثماني السابق إلا فى استحداث دواوين للأقاليم، واستمر نظام الالتزام قائمًا، ولكن بونابرت قرر أن الإدارة الفرنسية هى الوحيدة التى لها إقرار نظام الالتزام القائم بما أنها هى صاحبة القرار فيما عرف بحق الغزو Le droit de la conquer[٣].

وهذه كانت نظرة خاطفة على الخط العسكرى للجيش الفرنسى فى الصعيد، والذى أفادنا فى معرفة خط سير العلماء الذين كانوا يرافقون الجنود ويتحركون

---

(1) Kleber en Egypte 1798 - 1800, TomeIII, Par IFAO, P 50.

(٢) مختارات من وثائق الحملة الفرنسية، المرجع السابق، ص ١٠٩، وهذا يدل أنه على الرغم من انضمام مراد بك للفرنسيين فإنه لا يحظى بثقتهم المطلقة، وأيضًا ان الفرنسيين ذاتهم يريدون السيطرة الكاملة على الصعيد.

(٣) ناصر أحمد إبراهيم، الفرنسيون فى صعيد مصر. المواجهة المالية (١٧٩٨- ١٨٠١م)، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٣٠.

- ولمزيد عن التفاصيل عن الضرائب على الأراضى، انظر إبراهيم زكى، الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهد الحملة الفرنسية ومحمد على، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩٥.
- ولمزيد من التفاصيل عن النظام الإدارى فى الصعيد وقت الحملة الفرنسية، انظر نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص٢٢٣ وما بعدها.

تحت حمايتهم مما أعطى لهم مساحة كبيرة من الاستكشاف لآثار الصعيد. وسنرى من خلال الصفحات القادمة أنه ليس الجنود وحدهم أو العلماء ولكن أيضًا قادة الحملة بونابرت وكليبر ومينو جميعهم اهتموا اهتمامًا كبيرًا لآثار الصعيد.

قادة الحملة وآثار الصعيد

اهتم علماء الحملة كثيرًا بآثار الصعيد، فبينما كان الجنود يؤدون مهامهم العسكرية السابق الإشارة لها، كان العلماء يسيرون بجانبهم يمارسون مهامهم الاستكشافية لآثار الصعيد، منبهرين بما يرونه وتدونه لوحاتهم. ولابد أنهم استفادوا من كتابات الرحالة عن هذه الآثار[١].

وليست آثار مصر العليا فقط ولكن آثار مصر عامة قد اهتم بها علماء الحملة. وعاش العلماء فى مصر مدة الحملة يبحثون وينقبون. ولقد انقسم العلماء الذين وفدوا لمصر إلى هيئتين: هما (لجنة العلوم والفنون) و(المجمع العلمي المصري): الأولى تألفت فى فرنسا والثانية تكونت فى مصر[٢].

وقام العلماء بالعديد من البحوث عن مصر، واستطاع الفنان دينون أن يصحب ديزيه فى رحلته على الصعيد وذلك حتى ترسم ريشته معابدها ونقوشها، وذهب معهم أيضًا جومار كمهندس وجغرافي لنفس الغرض الذى ذهب من أجله دينون للصعيد. وقام العلماء بجهود عظيمة فى تحديد أبعاد المعابد المصرية ورسم لوحات لها واكتشاف أجزاء بها لم يصل إليها الرحالة.

ولأول مرة يجند علماء لخدمة آثار مصر العليا. والجهود لا تتمثل فى عمليات ترميم فقط ولكنها تظهر فى الاهتمام ورفع الأبعاد والوصف والرسم الدقيق وتوعية الشعب المصرى بأهمية الكنوز التى على أرضه.

---

(١) حلمي نمنم، المصريون وحملة بونابرت، مطبوعات أخبار اليوم، ٢٠٠٠، ص ٢٠.

(٢) محمد فؤاد شكري، عبدالله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٦١٥.

ولقد تم عرض سبب الاتجاه إلى الصعيد. إذًا ما سبب تواجد العلماء، إن السبب هو استكشاف معالم الصعيد الأثرية ولابد أن ذلك كان بتحريض قادة الحملة ذاتهم للعلماء على استكشاف آثار الصعيد وعلى رأسهم بونابرت.

بونابرت وآثار الصعيد

يعد اهتمام بونابرت بإحضار العلماء معه فى حملته إلى مصر هو فى حد ذاته اهتمامًا بآثار الصعيد. فبعض العلماء الذين اختارهم بونابرت أرادوا أن يُجروا أبحاثهم على آثار الصعيد. لذا فقد أصدر بونابرت أمرًا فى ٢٤ أغسطس ١٧٩٩م بتأليف لجنتين، إحداهما برئاسة كوستاز Costaz ومن أعضائها:

Noet.Mishan. Balzac. Rdaulte. Saveny. Cocopere. cottail. Le pere. Saint Gense Fiar.(١)

على أن تغادر هذه اللجنة القاهرة إلى الوجه القبلي لتحديد مواقع الآثار القديمة به. واللجنة الثانية برئاسة فورييه Fourier ومن أعضائها:

Barseval. Rdoteat. Le pere, Daliel. Filoto. Di Grnamezon, Fnanst. Arnollet, Chabrol, Laspere.(٢)

وهاتان اللجنتان كان لهما دور كبير فى كشف هذه الحقائق العديدة عن المعابد المصرية الواقعة فى مصر العليا ورسموا الطريق النهري وما يوجد على جانبيه من آثار. ولقد كان لبونابرت السبق فى الاهتمام بآثار الصعيد وذلك من خلال لجنتَيّ كوستاز وفورييه، وكان يريد منهم أن ينظموا أعمالهم فى بحث علمي منظم تتضح فيه النتائج التى توصلت إليها اللجنتان.

وكانت دعوة هاتين اللجنتين تشمل وضع مشروع ضخم يضم آلاف الرسوم والملاحظات حول معابد مصر العليا والقيام بتسجيل آثار دندرة وأبيدوس وجميع

---

(١) محمد فؤاد شكرى. المرجع السابق. ص٦٢٠.

(٢) نفسه. ص٦٢٠.

آثار مصر العليا. ولأول مرة سوف يتم تجميع المعابد كلها فى كتاب قيِّم يعرف باسم (وصف مصر)[١].

وبهذا يكون بونابرت قد وضع اللبنة الأولى فى الاهتمام بآثار الصعيد خاصة وبعلم المصريات عامة. ويرجع إليه الفضل الأوحد فى تكوين هاتين اللجنتين الاستكشافيتين للاهتمام بآثار الصعيد.

كليبر وآثار الصعيد

إن أول القادة بونابرت كما أشرنا هو أول من وضع أسس دراسة آثار مصر العليا فى لجنتي كوستاز وفورييه. وكان من الممكن أن ينقطع هذا الاهتمام بعد رحيل بونابرت من مصر وتولى كليبر قيادة الجيش الفرنسى ولكن على العكس من ذلك فقد أظهر كليبر اهتمامًا بالآثار وربما أكثر من بونابرت.

حيث لقيت لجنة العلوم والفنون كل التشجيع من هذا القائد. فعلى الرغم من اختلافه مع بونابرت فى أشياء كثيرة فإنهما اتفقا فى نقطة الاهتمام بالعلوم والفنون. كانت اهتمامات اللجنتين اللتين أرسلهما بونابرت إلى الصعيد تنصبُ على دراسة الآثار القديمة والتنقيب عنها. وأضاف كليبر لجنة ثالثة لدراسة العادات والتقاليد للمحدثين بالإضافة إلى عدد من المتخصصين لتحليل الآثار[٢] والنقوش التى على الآثار وهم دورترير ومارسيل وبروتون. وتابع كليبر نتائج اللجنتين متمنيا لهم أن تحقق أبحاثهما نجاحًا فى تقديم صورة كاملة عن كل من مصر القديمة والمصريين المحدثين: حتى يستطيع جمع هذه المعلومات فى الموسوعة الرائعة "وصف مصر"[٣].

---

(١) هنرى لورنس، الحملة الفرنسية فى مصر: بونابرت والإسلام، ترجمة بشير السباعى، القاهرة، ١٩٩٥، ص٦٤٩.

- E. Devilliers Du Terrage, Journal et Souvenirs sur L'expedition D'Egypte (1798- 1801), Paris, 1899., P. 213.

(٢) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص٦٢٠-٦٢١.

(3) Le General en chef Kleber Au citoyen Desgenettes President De le institute, le Premier Frimaire an 8, Memoires persentes A le institut De le Egypte . Tome Troisieme .1922, p.V.

على الرغم من أن هذه الموسوعة ظهرت بعد وفاة كليبر بسنوات فإنه له الفضل فى جمع هذه المعلومات التى احتوتها الموسوعة بواسطة مساعديه من العلماء. فقد بعث كليبر برسالة للجنتَىْ كوستاز وفورييه بعد عودتهما من الصعيد فى ٢٢ نوفمبر ١٧٩٩م إلى المجمع العلمى، قرأها فورييه مشيرًا فيها كليبر بإعجابه بنشاط اللجنتين فى الصعيد وطلب منهما التعاون لتقديم أبحاث ونتائج عن هذه الآثار وجمعها فى كتاب واحد، مملوء بالأمانة والصدق، وهذا يدل على حرص كبير أيضًا على رسم صورة لمصر القديمة[١].

مينو وآثار مصر العليا

بعد تولِّى مينو منصب القائد العام للجيوش الفرنسية فى مصر، تعطلت جهود العلماء الاستكشافية، وقد اختلف مينو قليلاً عن القادة الذين سبقوه فلم تشغل هذه الاستكشافات انتباهه. فقد أراد العلماء الذهاب إلى النوبة فى حملة استكشافية للبحث عن الآثار، واكتشاف معابد جديدة عاقدين آمالهم أن يحميهم مراد بك بعد معاهدة الصلح التى عقدها مع الجنرال كليبر، ولكن بعد وفاة كليبر تعطلت هذه اللجنة الاستكشافية وبعد تولى مينو، طلبوا منه أن يساعدهم لتنفيذ مشروعهم ووعدهم بذلك ولكن بعد هذا نقض وعده معهم وطالبهم بتأجيل هذه الرحلة[٢]. فبعد ذلك شعر العلماء بالإحباط وشعروا أن مينو لن يكون سندًا لهم مثلما كان بونابرت أو كليبر: لذا تفرقوا بعد فشل هذا المشروع.

ولكن بعد ذلك حاول العلماء تجديد نشاطهم وتغيير اتجاههم لمكان آخر، حيث إن نشاطهم كان شديد الحماسة. فنشط مينو معهم لفترة قليلة وساعدهم فى بعض أبحاثهم الاستكشافية ولكن بعيدًا عن الصعيد. فقد وضع العلماء تقريرًا عن منف وما تحويه من مجموعة أثرية متنوعة[٣].

---

(١) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص ٦٤٣.

(2) Louis Reybaud , Histoire Scientifiqe et Mlitaire De L'expedition Francaise en Egypte, Paris, Tome VIII, 1830 - 1836, p. 91 - 92.

(3) Ibid , Tome vIII , p.315.

إن الفترة الأولى من حكم الجنرال مينو هى التى تعد مستقرة ولكن بعد هجوم جيوش كل من الإنجليز والعثمانيين، أصبح شغل مينو الشاغل هو كيفية الانتصار عليهم فلم يفكر مطلقًا فى الإنجازات العلمية أو الاكتشافات الأثرية. ولكن الشيء الذى كان يذكر لمينو هو تأسيس المكتبة الأهلية فى القاهرة والتى تجمع الكتب الموجودة فى المجمع العلمى وذلك فى ١٦ يوليو ١٨٠٠م. وقد استطاع فورييه Fourier أن يجمع قوائم هذه المكتبة[١].

واضطر بعد ذلك العلماء بعد فقدهم الأمل فى تأييد مينو لهم إلى مغادرة القاهرة. وبهذا يكون مينو أقل القادة اهتماما بآثار مصر عامة وآثار الصعيد خاصة.

كشف حجر رشيد وأهمية هذا الكشف على الآثار

لقد تم اكتشاف ورسم العديد من المعابد المصرية سواء قبل التواجد الفرنسى أم من خلاله، وكانت النقوش الهيروغليفية التى على المعابد تنقل كما هى بدون معرفة ما تعنيه، بل أحيانا كان يحدث لبس فى فهم معانى ما تحويه هذه المعابد إلى أن تم الكشف عن حجر رشيد . اكتشف هذا الحجر الضابط بوشار Bouchard فى بلدة رشيد وشعر عندما أمسك هذا الحجر بأنه سوف يحظى بأهمية كبيرة؛ نظرا للكتابات التى يحويها هذا الحجر وذلك فى يوليو ١٧٩٩[٢].

وصف الحجر

هو حجر نُقشت عليه كتابة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء أفقية، السفلى يحوى حروفًا يونانية فى عهد الملك بطليموس فيلوباتور والأوسط بالكتابة الديموطيقة التى يتكلمها عامة الشعب والثالث يحوى نقوشًا مشابهة لتلك الموجودة على المعابد المصرية وتعرف بالكتابة الهيروغليفية، وهى مكونة من أربعة عشر سطرًا على ذلك الحجر والثانية من اثنين وثلاثين سطرًا واليونانية من ٥٤ سطرًا[٣].

(١) محمد فؤاد شكرى. المرجع السابق. ص٦٦٦ . ٦٦٧.

(٢) صلاح البستانى. لاديكاد إجبسين. المجلد الأول .القاهرة . ١٩٧١. ص١٢:٤.

(3) Ibid., p.412; Courier de l' Egypte N. 36-Rashied 2 Frictedor.

وهذا الحجر مصنوع من الجرانيت وارتفاعه ٩٧٥ مليمترًا وثلاثة أقدام تقريبًا، وعرضة ٧٣٢ مليمترًا وسمكة قرابة ٢٥٠ مليمترًا.

نقل الحجر من الدلتا إلى القاهرة

بعد العثور على هذا الحجر تم نقله إلى القاهرة فى أواسط أغسطس لعام ١٧٩٩م وأُنزل فى بولاق مقر المجمع العلمى المصرى، وقضى العلماء أسابيع طويلة فى محاولات لحل رموز الحجر إلى أن أعلن Raige & Marsiel أن النقوش الوسطى هى سريانية أو حروف هيروغليفية كتبت علي عجل(١).

لقد اكتسب بعدها هذا الحجر أهمية كبيرة خاصة بعد أن تم للعالم الفرنسى شامبليون فك رموزه فى عام ١٨٢٢. وتمت دراسة الحجر بشدة فى المجمع العلمى وشرع الرسامون فى رسم الحجر رسومًا عديدة واستخدموا طريقة الحروف المحفورة على المعادن حتى يستطيعوا أن يقدموا صورة واضحة للرسوم التى يحويها الحجر، وأُرسلت صور منها إلى باريس لدراسة ما يحويه هذا الحجر(٢).

وظل الحجر فى مصر حتى جلاء الحملة وحاول الفرنسيون منع الإنجليز من الاستيلاء على حجر رشيد؛ لأنه من وجهة نظرهم خاص بهم، ولكن الإنجليز أصروا على أخذه وهو الآن فى المتحف البريطانى ويوجد نسخة مقلدة منه فى المتحف المصرى(٣).

ومما لاشك فيه أن كشف حجر رشيد قد ساعد على معرفة اللغة المصرية القديمة؛ مما ساعد علي التعرف إلي ملوك مصر القديمة ومعرفة كل المعلومات المتعلقة بمصر القديمة والمصرى القديم، لذا فقد كان لهذا الكشف أهمية كبيرة فى علم المصريات.

---

(١) محمد فؤاد شكرى ،المرجع السابق، ص ٦٣٦.

(2) Reybaud, Op.cit., Tome VI, p. 340.

(٣) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص ٦٣٦.

المجمع العلمى وآثار الصعيد

بعد دخول القاهرة حاول بونابرت أن يستفيد من هؤلاء العلماء الذين جاءوا معه فى رحلته وفكر فى إنشاء مجمع علمى مصرى مثل المجمع العلمى الفرنسى، ففى بداية وجود هؤلاء العلماء كانوا يشغلون مناصب حكومية بعيدة كل البعد عن تخصصاتهم التى أتوا من أجلها وجدير بالذكر أنه قبل دخول بونابرت وجيشه إلى مصر لم يتم طبع سطر واحد حيث أحضر بونابرت مطبعتين معه أثناء حملته على مصر(١).

وعهد بونابرت إلى سبعة علماء كبار لإنشاء هذا المجمع. وهم الآتى أسماؤهم:

Caffarelli. Bertholet. Monge. Desgenettes. Costaz, Geofroi Saint Hilire. Andreossi.

وأمر بإنشائه فى ٢٢ أغسطس ١٧٩٨م. وقسم هذا المجمع إلى أربعة أقسام كل قسم به اثنا عشر عضواً وينعقد هذا المجلس مرتين شهرياً(٢).

ولم يفكر بونابرت أن يكون مجرد سطر فى التاريخ ولكنه بذل جهوداً كبيرة حتى يظهر جوانب مصر كلها وبهذا يكون قد قام بعمل عظيم. ولم يتوافر له هذا الأمر إلا بإنشاء هذا المجمع الذى يفحص أحوال مصر بشكل دورى ويقدم تقارير عنها(٣).

وعلى الرغم من أن فهمه للعلوم والفنون كان أولى فإنه استفاد من غيره حتى يساعدوه على إكمال مهمته، وكان بداخله فكر كبير، فلم يكن أعضاء المجمع مجرد مهندسين وفنيين واقتصاديين بل كان به الموسيقيون وعلماء الآثار والرسامون وعلماء الحيوان والنبات(٤).

---

(١) كريستوفر هيرولد، المرجع السابق. ص ١٦٥.

(٢) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق. ص ١١٨.

(3) P.E. H. Conquetes des Francaise en Egypte. Paris. An VII. p.182.

(٤) كرستوفر هيرولد، المرجع السابق. ص ١٦٨.

كل هذا ينم عن ذكاء بونابرت الذى أراد تصوير جميع أجزاء مصر. ولكن الشىء الذى يدعو للدهشة هو آن بونابرت لم يَرَ من آثار مصر سوى أبى الهول والأهرام ولم يدخل الهرم الأكبر رغم إعجابه به، لأن دخول الهرم كان يتطلب منه أن يركض على أربع وهذا ما رفضه بونابرت بعظمته وكبريائه، وواصل كل من Berthier & Monge هذه المهمة وأيضًا الصعود إلى قمة الهرم الأكبر(١).

ولقد ساهم كل فريق العمل من العلماء فى عملية الاستكشاف لآثار الصعيد، كل كان يقوم بدور معين، سواء فى الرسم أم رفع الأبعاد أو معاينة الموقع الأثرى. ولقد كان لآثار مصر العليا أكبر جزء من اهتمامات العلماء جعلت العلماء الذين لم يتوجهوا لزيارة آثار الصعيد يتقدمون بطلبات للعلماء الذين زاروها: راجين منهم أن يصفوا لهم شكل هذه الآثار وتوضيحها لهم(٢).

ولعل أهم من اهتم بهذه الآثار هو الفنان فيفيان دينون Vivant Denon بريشته التى رسمت العديد من آثار الصعيد إن لم يكن أجمعها، فلقد كان قادرا على توجيه ريشته وجهة صحيحة لتقوم بتوصيل صورة رائعة عن آثار مصر العليا. وليس Denon وحده. ولكن المهندسين أيضًا قد تركوا مهامهم الأصلية التى ذهبوا من اجلها إلى الصعيد: حتى يتفرغوا لرفع أبعاد المعابد المصرية القديمة التى سيطرت على تفكيرهم.

فيفيان دينون وآثار الصعيد

صحب دينون ديزيه فى حملته على الصعيد بالإضافة إلى الجنود ولجنتى كوستاز وفورييه Costaz & Fourier. وهو فنان يرجع إليه الفضل فى تقديم صورة رائعة عن آثار مصر العليا. وهو الذى كان فى الخمسين من عمره عندما قرر بونابرت قيام حملته على مصر، وكان يحظى بحب الملك لويس الخامس عشر، وطلب من بونابرت أن يكون عضوا من الفنانين الذين اختارهم للقيام

---

(١) نفسه ، ص١٦٨.

(٢) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص٦٣٧.

للقيام بحملته على مصر. وما إن وصل إلى الإسكندرية حتى بدأ تسجيل ورسم كل ما تقع عينه عليه[1].

فلم يذهب إلى القاهرة إلا بعد شهرين. ووصل فى ٢٢ سبتمبر وعلم أن هناك مجمعًا علميًا أنشئ فى ٢٠ أغسطس وأصبح عضوًا فى هذا المجمع. ولكنه كان يأمل فى الذهاب لمصر العليا. وعندما تكونت حمله ديزيه على الصعيد الأعلى وكان معهم، حظى بمعاملة فظة من الجنود فى البداية. حيث إن الجنود كانوا يغارون من الأدباء والفنانين لأنهم يحظون بمعاملة رائعة من القائد[2].

ولكنه كان صديقًا للقائد العسكرى بيلار والذى كان يساعده ليتم رسومه والتى كانت أحيانا لا تكتمل بسبب سرعة التنقل التى كان السبب فيها الصراع بين كُلٍّ من ديزيه ومراد بك، فمثلا فى هرموبوليس (الأشمونين) كان شديد الإعجاب بمعبدها ولكن ديزيه قرر الرحيل قبل أن يرسم دينون هذا المعبد. فأعطاه بيلار القليل من الوقت ليخط رسومًا سريعة عن هذا المعبد[3].

وقد كان دينون شديد الذكاء قوى الملاحظة. فعلى الرغم من أنه ليس أول من وضع رسومًا لمعابد مصر العليا، فإن لوحاته جاءت أكثر دقة، حاضرة المعالم، شديدة الدقة فى نقل الكتابات التى تحويها هذه المعابد[4].

إن دقة لوحات دينون هى التى كان لها الفضل فى تقديم معابد مصر العليا للعالم الخارجى، وكتابه رحلة لمصر السفلى والعليا كان له أكبر الأثر على معالم مصر العليا الأثرية.

---

(١) ثروت عكاشة . مصر فى عيون الرحالة من الغرباء والفنانين والأدباء فى القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٨٤، ص ٧٦.

- أحمد يوسف، الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع مع المخطوط السرى لغزو مصر. النص غير المنشور الذى قدمه لبيتز للويس الرابع عشر، ترجمة أمل الصبان، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥٦.

(٢) ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص ٧٩.

(٣) نفسه، ص٨٠.

(٤) كرستوفر هيرولد، المرجع السابق، ص ٢٠٣.

- هنرى لورنس، المرجع السابق، ص ٦١٥.

وظهرت ثمار رحلة دينون عندما أمر بونابرت اللجنتين أن يجمعوا الرسوم الخاصة بآثار الصعيد، على نحو موضوعى ودقيق. وظل دينون فى صحبة الجنرال بيلار قرابة ثمانية أشهر وتوغل مع الجيش حتى أسوان وفيلة وزار آثار مصر العليا كلها ماعدا آثار جرجا: فبعد رسمه للأديرة القبطية فى سوهاج، وبعد قرار ديزيه بالبقاء فى جرجا قرابة ثلاثة أسابيع إلا أن دينون لم يتمكن من رسم آثار تلك المنطقة لخوف ديزيه من هجوم مراد بك على الجيش(١).

ووجود دينون مع بيلار جعله يقوم بزيارة الأثر أكثر من مرة مما يزيد من دقة الوصف، فقد زار طيبة سبع مرات ودندرة عشراً وإدفو وفيلة أربعاً وأقام فى أسوان شهراً تقريباً، قدم خلاله جميع آثارها(٢).

أسفرت رحلة دينون عن مائتى لوحة لمعابد مصر العليا المختلفة بنقوش الهيروغليفية التى تحويها، كما استطاع أن يعثر على عدد من أوراق البردى القديمة الأصلية وبعد عودته أعلن عن نتائج رحلته من خلال المجمع العلمى المصرى، وبعدها سافر مع بونابرت فى يوم ٢٣ أغسطس إلى فرنسا قبل توجه لجنتى كوستاز وفورييه إلى الصعيد بقرابة ثلاثة أيام(٣).

ولم يكن دينون هو المسئول الأوحد عن هذه الآثار ونقل صورة عنها: بل أيضاً عدد من المهندسين والعلماء الذين استهوتهم هذه الآثار وشرعوا فى تحديد أبعادها وتقديم رسومات لها أيضاً. ولم تكن جهود دينون فردية: فمثلاً فقد اكتشف مجرى الشمس الظاهرى "زودياك" (zodieque) الموجود بمعبد دندرة ونقشه نقشاً دقيقاً ولكنه ليس عالم طبيعة أو فلك حتى يستطيع شرحه أو توضيح أهميته: لذا فقد أخذ هذه الرسوم إلى المجمع العلمى والتى تم عرضها على عدد من العلماء وتقرر بعدها أن تنقل إلى باريس ليتم مناقشتها بدقة ودراستها(٤).

---

(1) Vivant Denon, Voyage dans la Basse et la Haute Egypte, TomeI, IFAO, Cairo, 1989, p. 213.

(٢) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص٦٣٨.

(٣) نفسه، ص ٦٣٨.

(4) Vivant Denon, Op.cit., p.221.

والتقى دينون فى قنا خلال يونيه ١٧٩٩ ببعثه العلماء الأولى التى يرأسها جيرار وتضم عددًا من المهندسين وكل إليهم دراسة أحوال مياه النهر، ولكن اثنين من أعضاء البعثة هما ديفيليه وجولوا، اهتما بشئون الآثار أكثر من شئون الرى واكتشفا مقبرة أمنحتب الثالث[١].

الفرق بين رؤية دينون للآثار ورؤية المهندسين لها

كلٌ من دينون وديفليه وجولوا درسوا آثار مصر العليا، ولكن دينون كان يقدم وصفا فنيا لهذه المعابد، والمهندسين يقدمون وصفا معماريا، فقد كان كلٌ منهم يراها من زاوية معينة وخاصة به.

فقاموا برفع أبعاد معبد دندرة وسجلوا نقش البروج السماوية به، ولكن رسومهم جاءت غير دقيقة: فقد كانوا ينظرون إلى المعابد نظرة هندسية بحتة ويتعجبون من عظمة البناء بهذه المعابد[٢].

كما أثارتهم عظمة بناء معبد الكرنك ورسموا أبعاده أيضًا، ومعبد إسنا على الرغم من أن هذا أزعج جيرار الذى كان يريدهم أن يركزوا فى دراسة الرى فقط دون غيره.

ولقد اختلف المهندسون عن دينون بافتقادهم الحس الجمالى والفنى وإهمال العناصر الزخرفية، فقد كانوا يرفعون تصميمات المعابد مستعينين بمميزات البناء ومقياس الأبعاد والبوصلة وطاولة الرسم والفرجار ومثلث المساحات.

لكن دينون على الرغم من امتلاكه لريشته كفنان فقط، فقد كانت رؤيته للمعابد أجمل وأوضح ولقد كان فنانًا قوى الملاحظة، ودقيقًا فى وصفه، وهذا ما جعلنا نستند عليه كثيرًا عن معرفة وضع الآثار إبان ذلك العصر.

على أيه حال، فقد استفادت مصر من هذا الاهتمام، سواء الخاص بالفنانين أمثال دينون أم المهندسين أمثال جولوا وديفليه، فاختيار هذه المعابد للدراسة والتحليل قد أعطى أهمية كبيرة وقيمة عالية لها.

---

(١) ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص١٢٢.

(2) Ibid. , P. 132.

جنود ديزيه Desaix وآثار مصر العليا

لم تُثِر آثار مصر العليا اهتمام العلماء فقط؛ بل أيضًا الجنود سجلوا انبهارهم بهذه الآثار الرائعة التى تحويها هذه المنطقة، بل كانت تعد نوعًا من الترويح النفسى للجنود الذين أنهكوا من الحروب السابق الإشارة لها فى الحملة على الصعيد[١].

ففى يوم ٢٤ يناير مر الجيش أمام معبد دندرة الذى يمثل إلهامًا ومنظرًا رائعًا للجيش والذى لم يَعْتَدْ رؤية مثل هذه المعابد. وفى ٢٦ يناير يحاذى الجيش آثار الكرنك والأقصر مفجرًا حماسه، حيث صفق جنود الحملة ورُفعت الأسلحة تحية على دقات الطبول والألحان الموسيقية[٢].

وهذا الفعل من الجنود ينم عن روعة هذه المعابد التى أثارت انتباه الجنود بشكل جعلهم يصفقون موجهين التحية للمصرى الذى قام بتشييد هذه المعابد. فقد كان هؤلاء الجنود يحمون ظهور العلماء الذين يصفون آثار مصر العليا، أمثال جومار ـ لانكريه وديبوا إيميه وشابرول وسانت جينس وجولوا وديفيليه وروزيبر[٣]. فمثلا كتب يونكير La Jonquiere فى مذكراته عن آثار طيبة وعن المسلتين[٤].

ولولا هؤلاء الجنود لما تكوّن الكتالوج العلمى الذى حمل ملامح آثار مصر عامة وآثار الصعيد بصفة خاصة. فإعجاب الجنود بهذه الآثار هو الذى دفعهم إلى حماية العلماء[٥].

---

(١) نبيل السيد الطوخى ، المرجع السابق ، ص١٩٢.

(٢) هنرى لورنس، المرجع السابق، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٣) محمد فؤاد شكرى ، المرجع السابق ، ص٦٤٧.

(4) Arthur Goldschmidt, Modern Egypt. The Formation of a Nation State, London, 1989, p.3.

(5) La Jonquiére L'éxpedition D'Egypte Tome III, Paris p.536.

وأشار أنهم فرحوا عندما دخلوا طيبة فى ٢٦ يناير حيث شاهدوا معبدًا ضخمًا ومسلات وشاهدوا معبدًا رائعًا بأرمنت.

ولقد كتب هؤلاء الجنود فى مذكراتهم الشخصية ملاحظاتهم وانبهارهم بما شاهدوه من آثار فى مصر العليا، وعلى الرغم من بساطة الوصف فإنه يدل على شدة الانبهار بعظمة آثار هذه المنطقة خاصة مدينة الأقصر والتى يبدو انها جذبت أنظارهم بشكل جعلهم استفاضوا فى وصفها كالعلماء، ربما لكثرة المعالم الأثرية التى تحويها هذه المنطقة فمثلا Perthier كتب عن تواجد دينون ليصف المعالم الأثرية الموجودة بمصر العليا وذلك لأهمية هذه المعالم[1].

أما عن ديزيه فربما كان مشغولا بهذه المعارك التى يخوضها مع مراد بك فى الصعيد: فلم يكن لديه الوقت الكافى لرؤية هذه المعالم الأثرية.

ومع ان مذكرات الضباط الشخصية كانت تميل إلى وصف المعارك العسكرية أكثر من وصف الأثر ذاته إلا أن كتابتهم جاءت معبره للغاية، فمثلا كتب أحد الضباط فى خلال مذكراته أنهم عند وصولهم لدندرة وذلك فى ٢٣يناير رأوا معبدًا رائعًا تحمل جوانبه ألوانًا رائعة للأعمدة، وسجل إعجاب دينون بهذا المعبد الرائع ووصف الآلهة التى يحويها المعبد من خلال الرسوم التى على جدرانه، وأشار بأن معبد دندرة يعطى معلومات رائعة عن العمارة والفنون والعادات والتقاليد لدى المصرى القديم[2].

وتنم كتابات هذا الضابط على أن معاركهم مع المماليك لم تلغ فكرهم بل كانوا يركزون فيما يشاهدونه من آثار: بل أشار الضابط أنهم كانوا يتفحصون (zodiaque) الذى يحويه هذا المعبد،ويقدمون ملاحظتهم لما يشاهدونه للعلماء: بل ويتعطشون لمعرفة رأى العلماء عن هذا الـ (zodiaque) وأهميته[3].

وعلى الرغم من أن معبد دندرة حظى بأهمية خاصة عند الضباط فإنه لم يكن المعبد الوحيد الذى تحدث عنه هذا الضابط: بل تحدث أيضًا عن طيبة وما

---

(1) Perthier, Op.cit, p.258.

(2) Les Francais en Égypte ou Souvenirs Des Campagnes D'Egypte et De Syrie, Par un Officier De L'expédition, en Ordre Par J.J.E.Roy, Paris, 1872, p. 141-142.

(3) Ibid., p. 145.

تحويه من معابد رائعة وأعمدة وقال إنهم عندما وصلوا لمعبد الأقصر والكرنك أدوا التحية العسكرية لهذه المعابد، وكانوا فى انبهار عند مشاهدتهم لطريق الكباش وتمثالى ممنون بطريقة جعلتهم يكادوا يركزون كل اهتمامهم على مشاهدة هذه الآثار الرائعة[١].

ولقد تمنى الفرنسيون أن يكونوا هم أصحاب تلك المعابد التى يشاهدونها فتمنوا لو يستطيعون نقل كل هذه المعابد إلى فرنسا لتكون ملكًا خاصًا لهم[٢]. ولقد تحدثوا عن معبد الكرنك وقدموا له وصفًا دقيقًا معماريًا وفنيًا من النقوش التى يحويها. ولقد أخذت الأقصر بآثارها قدرا كبيرا من الاهتمام سواء من الجنود أم الضباط. فبما كانت تحويه من معابد مختلفة حظيت بأهمية عالية لديهم.

دور كل من Jollois جولوا وديفليه Devilliers تجاه الآثار (مهندسى جيرار)

عند زيارة الجنود لمعبد دندرة كانوا من شدة انبهارهم به يظنون أنهم لن يجدوا أروع من هذا المعبد أبدًا: وخاصة بعد رؤيتهم لبرج الفلك الذى يحويه المعبد ولكن بعد وصولهم لطيبة (الأقصر)، تأكدوا أنه ليس المعبد الوحيد الجدير بالاهتمام[٣].

وعندما وصل كل من جولوا وديفليه إلى دندرة أشارا بأن عمارة هذا المعبد تتفوق على المعابد اليونانية، وأشارا إلى تشجيع الجنود الشديد لهذه المنطقة ولكن ما يثير الدهشة أنهم أشاروا إلى دخول ديزيه لمعبد دندرة وأنه هو الذى لمح برج الفلك أولاً[٤].

---

(1) Ibid.,p. 147.

(2) Memories Relative to Egypt. Written in that Country during the Campaign of General Bonaparte in the Years 1798and 1799, by the Learned and Scientific Men Who accompanied the French expedition, London, 1800, p.457.

(3) F. Devilliers du Terrace, Journals et Souvenirs sur L'expedition D'Egypte (1798-1801). Paris, 1899, p. 131.

(4) Benoist-Méchin, Bonaparte en Égypte ou le Rêve inassouvi, Switzerland, 1966, p. 179.

استطاع كل من جولوا وديفليه أن يستنتجا أن هذا المعبد يرجع للعصر البطلمى لوجود الأشكال الآدمية المرسومة مطابقا للفن البطلمى، وبهذا يرجع هذا المعبد إلى ذلك العصر على الرغم من عدم درايتهم باللغة القديمة(١).

وانبهرا ببهو الأعمدة والبوابات وشكل المعبد ككل والذى يقع بإسنا، وأشارا بأن هذا المعبد جعل كل من رآه من الجيش ينبهر بجمال العمارة وروعة الألوان التى به، وجدير بالذكر أن كلا من جولوا وديفليه هما من اكتشفا مقبرة الملك أمنحتب الثالث بالأقصر(٢) وشرعا فى نقل الرسوم المحفورة على معبدى الأقصر والكرنك، وأخيرًا انضما إلى لجنتى بونابرت كوستاز وفورييه ويُعدُّ جولوا وديفليه أول من وصلا إلى معبد دندرة حتى قبل وصول دينون إليها وأول من رسم برج الفلك الخاص بالمعبد وأشار بضرورة أخذه إلى فرنسا وفعلا استقر هذا البرج هناك بمتحف اللوفر بباريس(٣). وفى ٢٨ مايو واصلوا بحوثهم فى وادى الملوك ووجدوا مجموعة من البرديات التى حملوها معهم كنتاج علمى لما شاهدوه، وفى يوليو ١٧٩٩ وصلوا إلى فيلة. حيث اكتشفوا معبدها الرائع والذى يجمع بين ملامح الفن البطلمى والفن الرومانى وروعة الألوان وجمال الموقع ذاته: ووصولهم لفيله يدل على شدة انبهارهم بآثار مصر العليا(٤).

ولقد اكتشف المهندسان جولوا وديفليه أن النقوش التى يحويها معبد فيلة تختلف عن باقى النقوش فى باقى معابد مصر العليا، وأرجعوا ذلك إلى أنها ربما تكون كتابة هيروغليفية خاصة بالعصر البطلمى(٥).

---

(1) Ibid., p.180.

(2) De Villiers du Terrace. Op.cit., p. 137.

أمنحتب الثالث هو ملك ينتمى للدولة الحديثة الأسرة ١٨، وهو والد الملك الشهير أخناتون أول من نادي بالتوحيد في مصر القديمة.

(3) Benoist-Méchin. Op.cit., p. 181.

(4) Laure Murat et Nicolas Weill. L'expédition D'Égypte Le Rêve Oriental De Bonaparte. Gallimard. 1998, p. 140.

(5) Jean-Joel Pregeon. op.cit., p.297.

ولقد كانت روعة آثار مصر العليا تثير انتباه كل من يراها من الحملة وليس فقط جولوا وديفليه . فيشير الجنرال ديسفرنوا Desvernois الذى كان من ضمن جيش ديزيه على الصعيد أنهم عندما وصلوا لطيبة انبهروا من روعة ما شاهدوه فوصف طريق الكباش وبهو الأعمدة. وأشار إلى تعاسة العرب رغم ما يمتلكون من هذه الآثار الرائعة(١).

وأشار أيضًا إلى وجود مسلتين مغطّاتين بالنقوش الهيروغليفية والتى استقرت إحداهما بميدان الكونكورد بباريس وأشار إلى التمثالين العملاقين الراجعين للملك أمنحتب الثالث.

وتنم كتابات ديسفرنوا عن اهتمام الجنرالات الفرنسيين بهذه الآثار وأن الحرب بينهم وبين مراد بك وأهالى الصعيد لم تمنع تفكيرهم وتأملهم وتدوين ملاحظاتهم عن هذه المعابد. وهذا يدل على روعة هذه المعابد بشكل أثار فضول الفرنسيين وأشار بعضهم إلى ضرورة ملء صالة اللوفر بما يرونه من أشياء رائعة. وعلى الرغم من انشغال ديزيه بحربه مع المماليك فإنه لم يكن للعلماء أن يسجلوا أبحاثهم ويدونوا ملاحظاتهم عن هذه الآثار بدون مراعاة ديزيه لهم، فليس من المفترض أن يذهب معهم لرؤية كل المعابد ويترك جيشه؛ ولكن أن يتركهم يعملون تحت رعايته وحمايته يدل على اهتمامه بهذه الآثار وأنه يريد أن يقوم العلماء باستخلاص أبحاث ونتائج عن هذه الآثار(٢).

وبهذا نجتمع على أن دينون وديزيه هما أول من وضع أُسسًا لدراسة علم الآثار كُلٌّ بطريقته ديزيه بحمايته ودينون بريشته التى رسمت كل ما رأته من آثار. وحماية ديزيه هى التى أطلقت العنان لريشة دينون لترميم هذه المعابد الرائعة.

---

(1) Boussu. Desvernois. Memoires Du General Bon Desvrnois. paris. 1898. p. 181-182. (3Avril-18Avril 1799).

(2) Gonzague Saint-Baris. Desaix le Sultan De Bonaparte. Perrin. 1995. p.136.

علماء الحملة الذين ساهموا فى اكتشاف آثار مصر العليا

كما سبق الإشارة، كان هناك عدد من العلماء الذين ساهموا فى كشف العديد من آثار مصر العليا، ولا نتعجب عندما نقول كشف على الرغم من أن هذه المعابد قد كتب عنها سابقا بواسطة الرحالة، ولكن الكشف هنا معناه رفع الأبعاد وأخذ المقاسات ونقل الرسوم بدقة تساعد على دراستها: كل هذا سيدل على دقة العملية الاستكشافية.

- دينون الذى سبق أن أشرنا إلى دوره الرائع فى عملية الاستكشاف من خلال ريشته وسنرى فى الفصل القادم ما كتبه عن هذه الآثار.

- جولوا وديفليه أعضاء لجنة جيرار والمهندسان المسئولان عن الرى والزراعة كان لهما دور كبير فى عملية الاستكشاف للآثار المصرية القديمة وكان معهم Casateix النحات والذى شاركهم أيضًا عملية الاهتمام بهذه الآثار بشكل أثار حفيظة جيرار[١].

- كوستاز وفورييه وهما رئيسا اللجنتين العلميتين اللتين أرسلتا لدراسة معالم الصعيد وآثاره القديمة وتقديم التقارير عنها، واللتين أرسلتا بناء على طلب الجنرال بونابرت وغادرت الأولى القاهرة فى ٢٠ اغسطس ١٧٩٩ والثانية فى ٢٣ أغسطس ووصلت اللجنتان إلى إسنا فى ٢٠ سبتمبر[٢].

بالإضافة إلى عدد من العلماء الذين سبق ذكر اسمائهم والذين شاركوا فى وضع موسوعة وصف مصر. كُلٌ بدوره. فهناك من رسمت ريشته هذه الآثار وهناك من قام برفع أبعاد المعابد. وهناك من حاول نقل النقوش الهيروغليفية التى تحملها هذه الآثار وهناك من حاول أن يقدم تحليلاً تاريخيًا عن عادات وتقاليد المصريين القدماء من خلال ما تحويه هذه المعابد وهذا ما سنعرفه فى الفصل القادم.

---

(1) Claude Traunecker. Jean Claude Golvin, Karnak Resurrection d'un site.Paris, 1984, p.106.

(2) Ibid., p. 106.

دور الصحف الفرنسية تجاه آثار مصر العليا

أحضر بونابرت معه المطبعة حتى تكون أداة للدعاية الخاصة به، وهناك مطبعتان: الرسمية والخصوصية، أما الرسمية فإنها كانت تتالف من مطابع عدة ففضل بونابرت أن تستقر بالإسكندرية لتعذر نقلها إلى القاهرة وحفظها فى بيت القنصل البندقى، أما الثانية وهى الخصوصية فقد انتقلت إلى القاهرة وعهد بونابرت إلى هذه المطبعة بطبع الصحيفتين اللتين أنشأهما فى القاهرة: وهما Le Courrier de L Egypte & Le Decade Egyptienne[1].

وكانت هذه المطبعة قد نشرت دليلاً سنويا يشمل مجموعة من الأبحاث العلمية والأدبية من عمل المجمع المصرى، ولقد كان لهذه النتائج أهمية كبيرة على آثار مصر العليا.

وكانت صحيفة Corrier de le Egypt هى أول الصحف الفرنسية فى مصر وهى صحيفة سياسية، الغرض منها نشر أخبار أوروبا إلى جانب الأخبار المحلية، أما Le Decade Egyptienne فهى صحيفة أدبية الغرض منها نشر كل ما هو جديد من نتائج أبحاث علماء المجمع العلمى[2].

وظهر عدد Le Decade Egyptienne الأول فى بداية اكتوبر ١٧٩٨، وكان العلماء قد طالبوا بها حتى تكون بمثابة لسان صادق ينشر أبحاثهم ويربط بينهم وبين أفراد المجتمع، ولقد استفدنا كثيرا من هذه الصحيفة التى أرشدتنا عن دور العلماء الاستكشافى تجاه آثار مصر العليا.

فمما لا شك فيه أن نشر هذه الأبحاث فى جريدة مستقلة أعطى للآثار قيمة كبيرة انتقلت من مرحلة الاستكشاف إلى مرحلة الدراسة وتناول الخبرات بين علماء المجمع العلمى على دور هذه الآثار ومعناها.

---

(١) محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق، ص: ٦٥٤-٦٥٥.

(٢) نفسه، ص ٦٥٨.

١ - كوريبه دليجيبت Courrier DE L' Egypte

عرضت هذه الجريدة العديد من نتائج الرحالة إلى مصر العليا وخاصة تلك المتعلقة بمصر الفرعونية، ففى مستخلص من خطاب محرر فى قنا فى ١٨ بريريال سنة ٧ للمواطن ديكوتيل Decotales عضو المجمع المصرى، يشير فيه أن لوحات دينون أثارت فضوله بشكل دفعه إلى أن يذهب إلى معبد دندرة لانبهاره به[١].

وشرع ديكوتيل فى وصف معبد دندرة وأشار فى مذكراته هذه أنه شاهد تشويهًا على جدران المعبد وأرجع هذا التشويه إلى التعصب المسيحى. وأرجع الفن الخاص بالمعبد إلى العصر اليونانى ونصح بضرورة الاهتمام بالمعابد القديمة[٢].

وفى ٣ فروكتيدور السنة السابعة للجمهورية، نشرت الجريدة خبر عودة دينون من مصر العليا وقدرت عدد اللوحات التى يحملها بأكثر من مائتى لوحة وأشارت أنه كان يرسم تحت حماية الجنود، وأشارت أنه ذهب إلى طيبة سبع مرات وإلى دندرة عشر مرات وأربع مرات إلى إدفو وكذلك لفيلة، ومكث شهرًا بأسوان مما أتاح له نقل جميع الرسوم الأثرية بها[٣].

أهم ما أشار اليه دينون وكتبه فى هذه الجريدة هو العثور على بردية وجدها تحت إبط إحدى المومياوات بطيبة، وأرجع عصرها إلى ما قبل عصر الأهرام وقرر إهداءها إلى المكتبة الوطنية، واعتنى دينون با لمساعدات التى قدمها له كلٌ من بيلار وديزيه ليقوم بمهمته التى ستقوم بعملية تنوير كبير للأوروبيين ويرى أهمية كبيرة لهذه اللوحات التى استغرق فيها وقتًا ومجهودًا كبيرًا[٤].

تم نشر خطاب من جيرار إلى لوبير من طيبة فى ٣٠ تورميدور السنة السابعة ومشيرًا فيه أنه قام بإجراء حفريات حول أقدام تمثالَى ممنون لمعرفة ارتفاع

---

(١) صلاح الدين البستانى. المرجع السابق. ص١٢١.

(٢) نفسه. ص ١٢٢.

(3) Courier De L'Egypte No.36., Le fructidor. VII. TomeII , 1798-1800.

(4) Ibid.

الأرض تحت هذا التمثال، فوجد أن قاعدته تتركز على أرضية من الحجر الرملى غائصة تحت سطح الأرض بقرابة ثلاثة أمتار[١].

خطاب جيرار ذو أهمية خاصة تدل على دقة الاهتمام بالآثار، فالرحالة السابقون لعصر الحملة الفرنسية ذكروا تمثالى ممنون. لكن لم يشيروا إلى ضرورة إجراء أبحاث حولهما وكأنهم نظروا إليهما نظرة انبهار فقط. واقتصرت الدراسة على علماء الحملة فقط.

وفى هذه الجريدة رقم ٣٨، يشير المواطن بوديت عضو لجنة العلوم والفنون بشىء غريب حيث يشير إلى وجود مغارات بالقرب من أسيوط مليئة بالمومياوات؛ ومع أن حديثنا عن آثار مصر العليا لكنه ذكر جملة تدعونا للتساؤل عنها. حيث قال: «إن الفلاحون يقومون بعمليات تنقيب دورية فى هذه المغارات المملوءة بالمومياوات". وإن الشىء المثير للدهشة فى هذا هو أن الفلاحين هم الذين يقومون بعمليات التنقيب مع أنهم لم يهتموا مطلقًا بهذه الأمور، فما الشىء الذى دفعهم إلى القيام بهذه العمليات، هل كانو يشعرون بأهمية هذه الآثار؟، أم أنهم يبحثون عن كنوز ذهبية ربما تحويها هذه المقابر، أم أنهم مأجورون لحساب علماء الحملة وهو الشىء الذى أستبعده. فقد كان الفلاحون فى صعيد مصر يقومون بالعديد من حملات المقاومة ضد جنود الحملة الفرنسية فكيف يساعدون علماءها.

وفى رقم ٤٧ فى ١٠ فريمير للسنة الثامنة للجمهورية خطاب من القائد العام كليبر إلى المواطن ديجيينت رئيس المجمع العلمى فى أول فريمير، فيه شكر للجنتين اللتين قامتا بدراسة وضع مصر العليا وآثارها والسابق الإشارة لهما. وأشار إلى ضرورة تجميع نتائج هاتين اللجنتين مع أبحاث غيرهم من الأعضاء والرسوم الأثرية: كل هذا فى مجلد كبير وذلك للاستفادة من العلم[٢].

---

(١) صلاح الدين البستانى، المرجع السابق، ص ١٤٤.

(2) Courier De L' Egypte No 47, 10 frimaire, vIII.

وكان يقصد بهذه الإشارة إلى موسوعة وصف مصر. الجزء الخاص بصعيد مصر وأوضاعه العامة والأثرية.

وفى هذا العدد أيضًا ، تشير الجريدة إلى أن العلماء قد حددوا مواقع الآثار فى مصر العليا بدقة وعناية شديدة، وتم رسم الخرائط الخاصة بالمناطق الأثرية بعناية شديدة أيضًا وتم مراعاة الملاحظات الفلكية عن هذه المعابد، فتم رسم الخرائط لكل الآثار وأخذت رسوم لكل أثر على حدة وأخذت أبعادها كمجمل ومفصلة أيضًا[1].

وقارنت الجريدة بين جهود الرحالة السابقين وجنود اللجنتين اللتين قامتا باستكشاف آثار مصر العليا، فأشارت أن الرحالة لم يلتفتوا إلى النقوش التى كانت على المعابد ولم يعالجوها بالعناية الكافية بينما كانت اللجنتان مقيمتين بين هذه الآثار فمثلا قضت اللجنتان قرابة ٢٣ يومًا فى طيبة وحدها مما أعطى مساحة كبيرة للدراسة والتحليل[2].

وفى هذه الإشارة مغالطة بسيطة فالرحالة لم يتجاهلوا النقوش بصورة كبيرة ففى الفصل السابق عند الحديث عن الرحالة ذكرنا أن منهم من استنتج أشياء. عن عادات المصريين القدماء، وهذا يدل على أنهم التفتوا للنقوش التى كانت على المعابد[3].

وفى هذا العدد تنويه عن التساؤل الذي أشرنا فيه عن كيفية مساعدة الفلاحين للفرنسيين للقيام بالعمال التنقيب فى أسيوط، ففى طيبة أيضا كانوا يساعدون الفرنسيين ليس عن وعى بقيمة هذه الآثار ولكن اللجنتين كانتا قد

---

(1) Ibid.

(2) Ibid.

- عن معركة قادش الشهيرة الخاصة بالملك رمسيس الثانى والمنقوشة على جدران معبد الكرنك.
انظر: كتب الرحالة Charles perry وهو طبيب زار مصر بين ١٧٣٩-١٧٤٢وهذا يدل على أن بعض الرحالة قد شاهدوا النقوش الموجودة على المعابد

(3) John David Wortham, British EgyptoLogy, 1549-1906, London, 1971, p.29.

حثًّا أهالى البلاد لعمل حفريات فى معبد الكرنك، ففي يوم واحد أنجزوا ما يمكن عمله فى ٥٠٠ يوم[١].

فقد كان هؤلاء الأهالى يتقاضون راتبًا من الفرنسيين فى مقابل مساعدتهم لهم فى القيام بالعمال التنقيب؛ مما سهل من عملية البحث والتنقيب وأثرانا بعدد من النتائج الأثرية الرائعة، والتى أرجع العلماء الفضل فيها إلى مساعدة الجنود لهم وحمايتهم لهم[٢].

وفى ٢٩ فريمير من السنة الثامنة فى العدد ٤٨ تشيد الجريدة بجهود العلماء الذين كان لهم الفضل فى استكشاف آثار مصر العليا وأشادوا بدور العلماء الكبير فى هذا الشأن. فمثلا كان Coutelle مسئولاً عن تحديد تاريخ المعابد الكائنة فى مصر العليا.

وأشارت الجريدة إلى جهود اللجنتين مرة أخرى فى أخذ قطاعات مختلفة من المعابد، وأشارت أنهم يتمنون نقل هذه المسلات والتماثيل العملاقة إلى فرنسا[٣].

وفى أغلب المقالات الموجودة فى الجريدة والمتعلقة بالآثار، على الرغم من الجهود العظيمة التى بذلها علماء الحملة تجاه هذه الآثار، فإنهم يشعرون أنهم أصحاب هذه الآثار، لذا يريدون نقلها لديهم لتصبح من أملاكهم الخاصة.

وفى العدد ٤٩- ٢٧ بريمير يشيد بدور الفنان ردويت الذي أحضر العديد من الرسوم ذات الحفر الغائر والبارز والتى تتعلق بالمعابد الموجودة فى مصر العليا[٤] ومكونة من قائمة كالآتى:

١ ـ جزيرة فيلة، وأحضر منها لوحة من النقش البارز وعليها صور للأشخاص، وقمم لأعمدة موجودة فى هذه الجزيرة.

---

(1) Courier De L' Egypte No 47, 10 Frimaire, VIII.

(2) Ibid.

(3) Courier De L' Egypte No 48., 29 Frimaire, VIII.

(4) Courier De L Egypte N 49, 27 frimaire, vill.

٢ ـ جزيرة إلفنتين: أحضر منها لوحة ذات نقوش بارزة من أول مدخل المعبد إلى القاعة الأولى به، وتمثل صندوقًا موضوعًا على زورق ذى قاعدة والأشخاص يتعبدون لهذا الصندوق بالإضافة لكاهن يصب نوعا من السوائل ويحرق البخور.

٣ ـ كوم أمبو: أحضر منها نقوشًا بارزة موجودة على الجهة الخلفية لأول بوابة فى المعبد الصغير المجاور للنيل وبها أربع صور لأشخاص.

٤ ـ إدفو: نقوش بارزة على الواجهة الداخلية للمعبد بين السفن والحائط مكونة من عدة صور لأشخاص داخل زورق.

٥ ـ إسنا: نقوش بارزة على يمين المدخل وصورة شخص يجلس يحمله ٦ أشخاص رءوسهم كرءوس الحيوانات بالإضافة إلى وجود كاهن يقدم قربانا أو لبقرتين تجاه القرابين.

٦ ـ أرمنت: نقوش بارزة من الجزء الداخلى من اليسار وهى ثلاث صور لأشخاص داخل نهر وسيدة تُرضع طفلاً، والآخران يقدمان لها صليبًا له مقبض[١].

٧ ـ الأقصر: تمثال ضخم مصنوع من الجرانيت على يمين المعبد.

٨ ـ الكرنك: يوجد به نقوش بارزة على الجانب الأيمن من القصر الكبير[٢]، يمثل دخلات مقسمة على أربع لوحات، وعلى الجانب الأيسر نقش يمثل مختلف الأثاث عند قدماء المصريين ونقوش مختلفة موضوعة على الواجهة الداخلية لأحد الأعمدة.

٩ ـ مقابر الملوك بطيبة: نقوش بارزة على مدخل باب أحد المقابر.

---

(١) الصليب الذي له مقبض هو علامة الحياة " مفتاح الحياة " عند المصري القديم ويعرف باسم cnh: ولكنهم لم يكونوا قد توصلوا إلى معناه إبان ذلك الوقت.

(٢) عرف معبد الكرنك بالقصر بواسطة علماء الحملة . ومع أنه لا يوجد تشابه بينه وبين مكان الإقامة ألا وهو القصر ، إلا أننا لا نعرف السبب الذي جعلهم يصفونه بالقصر الكبير.

١٠ ـ مدينة أبو: نقوش بارزة موضوعة على يسار القصر. تمثل عملية انتصار لبطل مصرى والاحتفال بهذا الانتصار[١].

١١ ـ دندرة: نقوش بارزة للجزء الأيسر من المعبد ومجموعة من الآنية قرابة ٦٠ مجمعة من أكثر من معبد.

هناك إشارة فى العدد نفسه عن كوستاز الذى كان عضوًا بلجنة العلوم والفنون وسافر إلى مصر العليا قبل سفر لجنتى كوستاز وفورييه وتقول هذه الإشارة معلومة مهمة هى أنه قد قام بصنع نموذج شمعي لمنطقة البروج الموجودة فى معبد دندرة، حتى يسهل مناقشتها فى المجمع العلمى، والتقط رسومًا مصغرة إلى الخُمُس تقريبا من تمثال ممنون الضخم.

وفى العدد ٥١ فى ١٠ نيفوز للسنة الثامنة للجمهورية. إشارة إلى كل من جولوا وديفليه واللذين شاهدا الكثير من معابد مصر العليا وخاصة معبد إسنا ودندرة التى درسوا فيها برج الفلك (zodiaque) وأحضروا معهم قطاعات ولوحات تمثل هذه المعابد[٢].

وهناك فى العدد ٥٢ لنفس الجريدة إشارة إلى مذكرة أحضرها Cecile عضو لجنة الفنون عن آثار مصر العليا والتى بها الآثار الآتية:

١ ـ جزيرة فيلة: منظر للمعبد الكبير والمبنى المربع المستقل، ورسوم لعدة لوحات على المعبد الصغير

٢ ـ جزيرة إلفنتين: رسم النقوش داخل جدران المعبد الصغير.

٣ ـ كوم أمبو: منظر للمعبد ككل.

٤ ـ إدفو: منظر داخلى للمعبد، ورسم النقوش من الواجهة على يمين المدخل.

---

(١) كل هذه الرسوم شرحها منشور فى:

- Counier de L' Egypte . N 49 . 27 Frimaire . vill.

(2) Courier de L'Egypte. N 51. 10 Nivose . vill.

٥ - إسنا: منظر لمعبد على يمين النيل وبعض تيجان الأعمدة[١].

٦ - أرمنت: منظر جمالى للمعبد.

٧ - الأقصر: منظر للأعمدة والمسلات، ومنظر عام للمعبد.

٨ - الكرنك: منظر للقصر ورسم التمثال المقام عند مدخل القصر.

٩ - مدينة أبو: منظر للأسماك مع بهو الأعمدة فى المعبد.

١٠ - ممنون: منظر للمعبد، ومقابر الملوك[٢].

١١ - دندرة: مناظر عديدة للمعبد وتيجان أعمدة المعبد.

من الواضح أن تقارير أعضاء لجنة الفنون كانت تشمل نفس المعابد فتقدير Redoute ولوحاته لنفس المعابد التى أخذ رسومها للمذكرة الخاصة Ceciele؛ وهذا ينم على أنهم ربما كانوا يعملون كفريق عمل ويقدم كل منهم رسومه برؤيته الشخصية؛ مما يعطى مساحة أكبر للدراسة الدقيقة.

فلم نعرف من مصادرنا كيف كان يتم التنسيق بين أعضاء اللجنة الواحدة، لكن من الواضح من هذه التقارير السابق الإشارة لها أنهم كانوا يذهبون لنفس المعبد فى ذات الوقت، مع أن Le pere مهندس الطرق والكباري والمنشور تقريره فى العدد ٥١، أضاف إلى أن هذا المعبد منظر للقرنة والشيخ عبادة[٣].

وفى العدد ٥٣ مثلا المواطن Belzac أحضر عدة مناظر مثلا لجزيرة فيلة ولكنه قدم وصفا أكبر، وجاءت لوحاته أكثر من غيره وخاصة هذا المعبد فوصف جميع حجرات المعبد بشكل مبهر، وجزيرة إلفنتين وكوم أمبو وإدفو التى قدم لها لوحات أكثر من غيره، ومعبد أرمنت وإسنا والأقصر والكرنك وممنون ومعبد إيزيس الصغير ومدينة هابو ومقابر الملوك ودندرة[٤].

---

(1) Courier de L' Egypte, No52,19 Nivose,VIII.

(٢) بجوار ممنون كلمة منظر المعبد ، وإن ممنون كما سبق الإشارة هما تمثالان وليس معبداً ولا ندرى لماذا الإشارة إليه على أنه معبد.

(3) Courier de L' Egypte , N 51 , 10 Nivose , VIII.

(4) Courier de L' Egypte , N o 53 , 23 Nivose , VIII.

وفى إشارة فى العدد ٨١ أن المشاهد المرسومة على كل الجدران مختلفة تماما عن عادات المصريين المحدثين، وهذا يدل على اختلاف الثقافة بين كل منهم ويشير أن ما رسم على هذه الجدران مشابه للعادات والتقاليد الأوروبية(١).

وهناك إشارة مهمة فى العدد ١٠٨ فى ٣٠ فانتوز من السنة التاسعة للجمهورية إلى اكتشاف Caristie مهندس الطرق والكبارى حجرا فى مسجد الناصرية بالقاهرة من الجرانيت الأسود تحت عتبة مدخل أحد أبواب المسجد، به ثلاثة أنواع من الحروف القديمة، وسماح مينو بانتزاع هذه اللوحة وانتقالها إلى المجمع العلمى، وتنتمى هذه اللوحة أيضًا لعصر البطالمة(٢).

وبهذا الحجر نتذكر حجر رشيد الذى وجد فى حصن رشيد والذى كان يحمل ثلاثة أنواع أيضًا من الكتابات وإن كان حجر رشيد أهم من حيث وضوح الكتابات التى يحملها هذا الحجر عن اللوحة التى عثر عليها فى مسجد الناصرية.

هناك شيء لابد أن نتطرق إليه، هو كيفية وصول هذه اللوحة تحت عتبة المسجد الناصرى، لابد أنهم كانوا يقتطعون من المعابد القديمة حتى يستطيعوا تشييد مساجدهم المختلفة، وهذا يشير إلى الفكر الأثرى فى العصر السابق للحملة.

وهذه كانت التقارير الخاصة بالآثار والتى كانت ترسل للمجمع العلمى ويتم نشرها فى هذه الجريدة، لذا فقد قدمت لنا هذه الجريدة أروع هدية فى الاحتفاظ بهذه التقارير التى كانت تشير إلى الجهود المبذولة تجاه آثار مصر العليا من العلماء والمهندسين والفنانين، الذين أظهرت لوحاتهم أروع صورة لآثار مصر العليا، بقى أن نشير إلى دور الصحيفة الثانية Le Decade Egyptienne تجاه آثار مصر العليا.

---

(1) Courir de L' Egypte, No 81,3 Complementaire VIII, 1800-1801.

(2) Courier de L' Egypte, N 108 , 30 Nivose , IX.

٢ - لوديكاد إيچيبسين Le Decade Egyptienne

نشرت هذه الجريدة. نتائج اجتماعات أعضاء المجمع العلمي كلها واستفدنا بما أشير إليه من نتائج الأبحاث على مصر العليا آثارها. وفى يوم ٢١ فريمير من السنة الثامنة قرأ كوستاز Costaz لأعضاء المجمع نتائجه عن رحلة قام بها لزيارة مصر العليا لدراسة الآثار المصرية القديمة. أشار إلى مدينة زارها بعد مدينة إسنا قال عنها أهالى المنطقة إنها تسمى الكاب، وأشار أن المصرى القديم كان يضحى بآدميين وخاصة النساء ويقدمها كقرابين(١).

وأشار إلى العديد من عادات المصريين القدماء والتى استشفها من المعابد وما تحويه من رسوم مختلفة. ووصف كوم أمبو والكرنك ومدينة أبو ودندرة ووصف رسوم مقابر طيبة التى يطلق عليها مغارات، وحاول أن يستنتج مثلا أدوات الزراعة وطرق الري من خلال مقابر طيبة(٢). وواصل Costaz وصف الكاب أو (إليثياس) والتي قال عنها إن جدرانها مملوءة بالوجوه البشرية وتوصل إلى سمة عامه فى الإنسان المصرى القديمو هى أنهم كانوا يستخدمون اللون الأحمر لتصوير بشرة الرجل واللون الأصفر لتصوير بشرة النساء وهذا استنتاج مهم.

وفى المجلد الثانى يبرز جابونسكى ديانة المصريين من خلال معابد مدينة طيبة وتحدث عن معبد الكرنك وقدم له وصفًا دقيقًا، وذكر أن هناك بركة مياه مخصصة لتقديم المياه اللازمة لخدمه المعبد والتى تحتفظ بحالها كما هى وتحدث عن وادى الملوك وعن الرسوم التى تحويها المقابر(٣).

وبهذه النوعية من المقالات التى كانت تنشرها جريدة لوديكاد Le Decade نكون قد انتقلنا من مرحلة الاستكشافات إلى مرحلة الدراسة لكل ما هو متعلق بحياة المصرى القديم.

---

(1) Le Decade Egyptienne, Joural Litretaire et d'Economie politique, A VII, Tome III, p. 110-114.

(2) Ibid., p. 345

(3) La Decade Egyptienne, Tome II, p. 114-116.

وثمّة خطاب من دينون لرئيس المجمع قُرئ فى المجمع العلمى ونشرت تفاصيله فى هذه الجريدة. وبه إشارة إلى ما أحضره دينون من رسوم مختلفة عن معابد مصر العليا والتى أحضرها معه إلى المجمع ليرضى فضول الكثير من زملائه والذين آرادوا آن يعرفوا الكثير عن هذه المعابد[1].

ويشكر فى خطابه هذا كما سبق الذكر الجنرال بيلار وديزيه لمساعدتهما الكبيرة له فى رحلته إلى الصعيد، وأشار إلى روعة الفن فى معبد دندرة الذى جمع بين علم الفلك وعلم الطبيعة والأخلاق. تلك العلوم التى كانت تزدان بها جدران المعبد.

ولكنه يشير إلى أنهم كانوا دائمي التعجل نظرًا للحرب الكائنة بينهم وبين مراد بك مما شكل له نوعا من الإعاقة لمواصلة مهامه فى الرسم. فبعد معركة سمهود غادروا المكان دون أن ترسم ريشته شيئًا ولكنه فرح لحظة وصوله لطيبة التى قرأ عنها الكثير وبعد تجوله بطيبة شعر بقيمة ما كتبه هومير Homere عنها من أنها مدينة الألف باب: فيشير أنه شاهد فى هذه المدينة الرائعة كل شىء من مسلات ومعابد وتماثيل ضخمه وقصور قديمة. فكانت الرحلة الأولى لطيبة هى للاستطلاع واكتشاف معالم هذه المنطقة الرائعة[2].

وأشار إلى روعة معبد إسنا وإدفو وأسوان التى مكث فيها وقتًا طويلاً وإلى فيلة، وتحدث عن النقوش التى نقلها من هذه المعابد والتى تعطى صورة حية عن حياة المصرى القديم.

توقيعات الفرنسيين على آثار مصر العليا

لقد كان الفرنسيون يحفرون أسماءهم على بوابات معابد مصر العليا ربما تخليدًا لذكرى اقتحامهم لهذه المناطق الأثرية. ويحتك المرشد السياحى كثيرًا بهذه النقطة فعند اقتراب الأفواج السياحية من الأثر الذى يحوى الاسم يتساءلون

---

(1) La Decade Egyptienne Tome II. P.280.

(2) Ibid., p. 283.

عن شخصية صاحب الاسم، ولم تكن هذه العملية مقصورة على المكتشفين من علماء الآثار فقط: بل أيضًا الجنود والقادة كانوا يشعرون بمتعه جراء ذلك التصرف. ربما لم يضر ذلك بالأثر في شيء. ولكنه أصبح دليلاً كبيرًا على تواجد شخصيات بعينها في بعض المناطق.

١ ـ معبد إدفو:

أشرنا أن ليس الجنود وحدهم الذين كتبوا أسماءهم على هذه المعابد بل وأيضًا القادة ففي نقش على بوابات معبد إدفو، كتب بيلار هذا النص على بوابة المعبد.

La divizion Desaix
Le 10 Pluviose
Et Ceut ci encore
18 Regide Dragons
Signature BEIIARD
An 7- 1799[1]

وربما اقتدوا بالكتابات اليونانية المحفورة على تمثالى ممنون بطيبة، حتى دينون الفنان سجل له كتابات بأسوان.

٢ ـ معبد فيلة

بعد وصول كُلٍّ من Devilliers & Jollois إلى الشلال الأول فى ١٢ يوليو وكان معهم Castaz فكتب نصًا طويلاً على بوابة معبد فيلة.

(L'an 6 de la Republique, le 13 messidour une armee Francaise commande par Bonaparte est descendue á Alexandrie l'armée ayant mis vingt jours après les Mammelouks en fuite oux pyramides Desaix commandent la premere division les á poursuivis au dela roes cataracts ou

(1) G.Legrain . Institut De France. Inscriptions Francaises De Haute Egypte (Thebes - Esneh - Edfou - Assouan Phile) Paris . 1911 .p.5.

Il est arrive le 13 Ventose de l' an 7, les generoux De Brigade, Davoust, Friant et Billiard, Donzelat Chef de la 2 le cére le 13 Vintose An 7 de la Republique le 3 Mars An de 1799)

[١]Gravé pas Cas-tex Sculpteur

وفى هذا النص يروى كوستاز كل شىء تقريبا منذ مجىء الحملة بقيادة بونابرت إلى الإسكندرية. ومنها معركة الأهرام ضد المماليك وانتقال ديزيه وفرقته إلى مصر العليا والقادة المشاركين فى هذه الحملة لمطاردة المماليك، وأيضًا بعض التوقيعات الشخصية المفردة وجدت على بوابة معبد فيلة فأسفل هذا النص الخاص بكوستاز يوجد توقيع بلزاك[٢].

٣ ـ معبد الكرنك

يوجد على البوابة الأولى لهذا المعبد نص كبير خاص بجنود الحملة ويوجد أسماء كل من ديزيه وجولوا ودينون، وهناك أسماء محفورة على بوابة معبد إسنا وأيضًا على تمثالى ممنون[٣].

والكتابات على المعابد مؤرخة أى أن كل اسم بجانبه تاريخ؛ ولهذا تعد مصدرًا وثائقيًا مهمًا يوضح تاريخ دخول الجنود والعلماء إلى هذه المعابد ويساعدنا على تحقيق المصداقية فى توظيف الحقائق.

إن اهتمام الفرنسيين الشديد بآثار مصر العليا يجعلنا ننظر إلى سابقيهم نظرة مختلفة، هل الفرنسيون كانوا فى تقدم عن العثمانيين أم أن هذه الآثار غريبة على الفرنسيين وغير مألوفة لذا أثارت فضولهم. إن جهود العلماء فى كشف أسرار الحضارة الفرعونية ومولد علم المصريات يدين بفضل كبير لمصر وآثارها التى ساعدتهم فى إتمام مهامهم.

---

(1) Ibid., p. 10-11

(2) Ibid., p.16.

(3) Ibid., p.16-17.

لمعرفة جميع الأسماء التى حفرت على المعابد انظر: Ibid., p.23-24

الفصل الثالث

استكشاف آثار مصر العليا بواسطة علماء الحملة

وصف آثار مصر العليا من خلال كلٍ من:

(أ) فيفيان دينون Denon

(ب) جولوا Jollois وفيلير Villiers

(جـ) أعضاء لجنتَيْ كوستاز Costaz وفورييه Fourier

لقد كان لكل منهم دور مهم تجاه آثار مصر العليا، فلقد كان الهدف الأوحد هو كشف النقاب عن جميع الآثار التي توجد بمصر العليا المعروف منها والمجهول، فلم يكن هناك من يبحث عن الشهرة بتقديم السبق والتنافس في الكشف عن المعابد ولكن كان يتم التنسيق فيما بينهم بصورة جعلتهم يحققون لنا إنجازًا رائعًا تجاه آثار مصر العليا.

أما عن Desaix ديزيه قائد الحملة على الصعيد فكما أشرنا كان مشغولاً بمطارداته لمراد بك: ولكن على الرغم من ذلك فبعد سماعه عن معبد دندرة ذهب لزيارته مع الجنود وكشف بالتعاون مع دينون برج الفلك بدندرة، وأيضًا في طيبة ذهب ديزيه مع عدد من الجنود واثنين أو ثلاثة من أعضاء لجنة الفنون للتجول بين المعابد وأمر بأخذ قطاعات عن هذه المعابد[1].

مع أن الجميع كانوا يتحركون بدافع الفضول ولا ينتظرون أوامر من أحد سواء من ديزيه أو بيلار، والدليل على ذلك هو أداء الجنود للتحية العسكرية لمعابد

(1) J. J. E. Roy. Les Francaise en Egypte ou Souvenirs des Campagne d' Egypte et de Syrie, par on Officier de L' Expedition. Paris. 1872. P. 142, 147.

الأقصر دون إذن أحد. أو بأمر من أحد ولكن ما دفعهم لذلك هو الحب والشعور بروعة هذه الآثار[١].

وقدمت الجهات الثلاث خدمة عظيمة لعلم المصريات فلم تقتصر جهودهم على العملية الاستكشافية والوصفية فقط بل وأيضًا التحليلية؛ لذا يمكن تقسيم جهودهم إلى:

(أ) جهود استكشافية وصفية؛

(ب) جهود تحليلية.

ومن هنا انطلقت الشرارة الأولى لعلم الآثار والمصريات.

(أ) جهود وصفية استكشافية لـ Denon دينون

سبق الإشارة إلى دينون كفنان رائع التحق بجيش ديزيه على الصعيد وكان له أكبر الأثر في تصوير هذه الآثار من خلال ريشته، وكان كتابه الشهير رحلة إلى مصر السفلى والعليا له أكبر الأثر في تكوين صورة رائعة عن آثار مصر العليا[٢].

١ ـ دندرة

لقد زار دينون تقريبًا كل آثار مصر العليا. ولكن الرائع كان وصفه لمعبد دندرة فقد كان شديد الإعجاب بهذا المعبد الذي يعطي صورة رائعة عن العمارة المصرية القديمة. ويرى أن هذا المعبد يُعدُّ موسوعة لمن أراد أن يتعرف إلى عادات المصريين القدماء وعقائدهم وعن فن العمارة عندهم[٣].

---

(1) F. Charles Roux, Bonaparte Gouveneur d' Egypte . Paris . 1928 . p. 237.

(2) Laure Murat et Nicolas Weill . L' Expedition d' Egypte Le réve oriental de Bonaparte, Gallimard, 1998, P. 124 - 125.

(3) Vivant Denon . Voyage dans la Basse et la Haute Egypt . Vol I . Cairo. IFAO. 1989 . P. 113.

وذكر بهو الأعمدة الذي يحويه المعبد وأشار أننا لابد أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير للمصري القديم الذي ترك لنا مثل هذا الأثر ـ لكي نتعلم منه الكثير، وأشار أنهم عند وصولهم لم يكن الوحيد الذي أعجب بهذا المعبد ولكن كل الجنود معه أيضًا وهذا يدل على روعة هذا المعبد الذي يلفت نظر كل من يراه(١).

الرائع أن دينون ربما كان خبيرًا فنيًا: لأنه استطاع أن يستنتج أن هذا المعبد يحوي عددا من عناصر الفن اليوناني. فقد قارن تيجان الأعمدة الموجودة بطراز الأعمدة الباقية في المعابد اليونانية واستطاع أن يستنتج أنها من نفس الطراز اليوناني، وهذا ينم عن شدة الملاحظة فقد استطاع دينون أن يؤرخ المعبد ويرجعه إلى العصر اليوناني دون دراية باللغة المكتوبة على جدران المعبد.

تحدث دينون أيضًا عن برج الفلك الموجود في دندرة وأشار أنه على يقين، بأن هذا البرج ينم عن قمة العلم التي وصل إليها المصري القديم. وأشار إلى ضرورة قيام العلماء الفرنسيين بالعديد من الأبحاث عن هذا المعبد الذي يعطي فكرة عن العديد من النقاط في حياة المصري القديم(٢).

وأشار إلى وجود مقصورة للآلهة داخل هذا المعبد، وإلى تناسق الألوان الرائعة داخل هذه المقصورة.

ولقد أشار دينون أن تحركاته كانت تتم بناءً على أوامر من الجنرال بيلار. وبعد ٩ ساعات من اليوم السابع وصل إلى طيبة ذات الألف باب والتي تحوي كل أنواع الآثار من تماثيل ومسلات ومعابد ضخمة عليها نقوش تبين جميع أنواع الفنون الموجودة في مصر القديمة، وأعجب الجيش جدًا بهذا البلد وتمنوا أن يعسكروا في هذه المدينة الجميلة(٣).

---

(1) .Ibid., p.114

(2) Ibid., p. 115.

(3) Ibid., P. 117.

هذه المدينة التي قال عنها إنها تحوي العديد من مقابر الأشخاص الذين كانوا يعيشون فيها، وبها أيضًا عدد من الأعمدة الضخمة التى تعطيك الشعور بالاطمئنان والراحة وتُشْعرك بعظمة المعمار والفن.

٢ـ معبد الأقصر

والذي يدل على مدى رقي الفن في عهد المصريين القدماء. وعند دخول دينون المعبد تمنى أن يجلس هناك مدة حتى تستطيع ريشته أن تدون ما تراه، فرأى تماثيل ضخمة ومسلات عالية ونقوشًا تمثل مظاهر الحياة المختلفة. وفنًا لا يقابله فن في أي مكان رآه في العالم(١).

ويحوي هذا المعبد رسومًا عديدة تنم عن عادات كثيرة في مصر القديمة ويحوي المعبد تماثيل ضخمة ومباني رائعة، ويشير دينون أن هذا المعبد لابد من استغلاله بصورة صحيحة فقد شعر أن هذا المكان مُهمَل تمامًا ويجلس به المماليك ويحتسون فيه المشروبات المختلفة، مع أنه يرى أن هذا المكان رائع، وهذا رأي كل من ساهم في الحملة على الصعيد الأعلى(٢).

وعندما كان دينون يريد توضيح شيء معين يوجه القارئ في هذا الكتاب إلى لوحاته التي رسمت كل شيء تقريبًا في المعابد التي زارها وبهذا اختلف عمن سبقوه في دقة الرسوم وكثرتها.

٣ـ تمثالا ممنون

أشاد دينون بهذين التمثالين وذكر كتابات السابقين عن هذين التمثالين التي على الرغم من كثرتها في وصف تمثالي ممنون. فهو يرى أنهما أروع من الوصف كثيرًا. وتحدث عن الكتابات اليونانية التي يحويها أحد التمثالين(٣).

---

(1) Ibid., P. 118.

(2) Ibid., P. 118-119.

(3) Denon , Op.cit., p.119.

٤ ـ معبد الكرنك

الذي عرف بالقصر على الرغم من أنه قريب لشكل المعبد كما أشار دينون، هذا المعبد الذي به عدد كبير من البوابات والأعمدة. فعلى الرغم من شدة إعجابه بمعبد دندرة فإنه يرى أن هذا المعبد هو علامة مهمة للآثار المصرية القديمة ولا يمكن مقارنته بأي معبد آخر والذي وصفه كل من هيرودوت وسترابون وكان شديد الإعجاب[١] بوصفهم هذا.

٥ ـ مدينة هابو

أشار دينون إلى وجود معبد كبير في قرية تعرف بمدينة آبو(هابو). وعند وصوله شرع في رسم لوحات لهذا المعبد ونقل الكتابات الهيروغليفية التي يحويها، وكذلك الأشخاص التي قال إنها تعد موسوعة لدراسة العديد عن المصري القديم وشكله وطرق ملبسه وأدواته. ولكن المعارك التي كانت دائرة بين ديزيه والمماليك منعته من مواصلة كتاباته عن هذه المنطقة وانتقل بعدها إلى إسنا[٢].

٦ ـ معبد إسنا

لقد كانت تحركات دينون محكومة بتحركات الجيش كله. لذا فقد وصل لإسنا مع جيش ديزيه وأشار أنها الاسم الحديث لاتوبوليس (Latopolis)، وأشار إلى وجود معبد بها به بهو كبير للأعمدة ويدل على روعة العمارة والنقوش الهيروغليفية وبرج الفلك وأشكال الآدميين والتماسيح، وأشار إلى وجود هرم صغير على بعد قرابة ثلاث ساعات سيرًا من إسنا[٣].

---

(1) Ibid., p. 119 - 120.

(2) Ibid. p. 121 .

-Gonzague Saint Bris, Desaix le Sultan de Bonparte, Penin , 1995 . p. 139.

(3) Denon ,Op. cit., p. 123.

٧ ـ معبد إدفو

بعد خروج دينون من إسنا ذهب إلى معبد إدفو الذي يحتوي على عدد من الدعامات، وهو معبد مهم به العديد من بقايا الأعمدة والدعامات. والذي أعجبه أيضًا ولكنه كان متعبًا من مشقة السفر والتنقل. كان دينون يترك وصفه للمعابد ويتطرق إلى وصف معارك بينهم وبين المماليك، وعلى الرغم من أنه كان بعيدًا عن هذه المعارك فإنه كان يحدد أماكن هذه المعارك بدقة ولكن لا يقدم وصفًا دقيقًا لها(١).

٨ ـ الفنتين

والتي تقع في الجنوب وبها معبد يحوي نقوشًا هيروغليفية وبه نقوش على الأعمدة تمثل أشكالاً آدمية وأشكال حيوانات أيضًا.

٩ ـ معبد بالقرنة

القرنة الموجودة بالأقصر وتحوي معبدًا رائعًا يدل على الحيوية في تصوير الأشخاص والحيوانات والتنظيم الرائع بين هذه النقوش لتقديم منظر غاية في التناسق، وبها معبد صغير جدًا به حجرة مغطاة بالنقوش الهيروغليفية وزهرة اللوتس(٢).

١٠ ـ جزيرة فيلة

وبها معبد مصري قديم رائع في عمارته ونقوشه. التي رأى دينون أنها صعبة للغاية في تصميمها وكيفية نقل الحجارة أيضًا إلى هذه الجزيرة حيث يرى أنه كان شيئًا صعبًا وشاقًا للغاية(٣).

١١ ـ وادي الملوك

الذي يقع بالأقصر ويحوي عددًا من مقابر الملوك. ولا يتعجب القارئ لعودتنا إلى الأبعد بعد الوصول إلى جزيرة فيلة بأقصى الجنوب، فقد كان هذا كما سبق الإشارة مبنيًا على تحرك الجيش الذي كان دينون تابعًا له.

وبقى دينون مع بليار من نوفمبر ١٧٩٨م إلى يوليو ١٧٩٩م.

---

(1) Denon . Op. cit., p. 129.

(2) Ibid., p. 131.

(3) Ibid., p. 132.

نظرة عامة على رحلة دينون

ومن خلال كتابات دينون يقول إن أحد الضباط قال له إن آثار دندرة قد أضاعت إحساسه باليأس الذي انتابه من خلال رحلته في مصر وصعيدها. يشكر دينون أيضًا الجنود الذين ساعدوه في عمله في طيبة حيث كانوا يجعلونه يستخدم دوابهم لتكون سندًا للوحاته وكان يتحرك في حمايتهم(١).

ولقد أصيب دينون في خلال رحلته بالتهاب في عينيه واحمرار في جسده ونَزْف في أنفه، لكن على الرغم من ذلك كان صامدًا مُصرًا على إتمام مهمته التي كان يشعر أنها بدافع اللهفة للتعرف على هذه الآثار وليس تنفيذًا لأوامر بونابرت(٢).

وقد كان دينون يشعر باليأس في بعض الأوقات لأنه مقيد بمسيرة الجنود العسكرية، على أساس أنه كان يريد أن ينطلق بحريته ويأخذ وقته لاستكشاف آثار الصعيد كلها فما فعله ديزيه معه في جرجا جعله يشعر بالإحباط. فقد طلب من ديزيه أن يسمح له بالذهاب لأن الفضول سيقتله إذا لم يَرَ المعبد الذي يراه عن بعد ولكن ديزيه رفض ووعده بزيارة لاحقة للمعبد(٣).

لم تكن الآثار الفرعونية هي فقط التي تحظى باهتمام دينون بل وأيضًا الآثار القبطية والإسلامية، ولكنها لم تأخذ مساحة الاهتمام التي أخذتها الآثار الفرعونية.

لقد أخذ دينون معه إلى القاهرة بعض القطع الفنية والبرديات التي عثر عليها في بعض مقابر وادي الملوك التي شاهدها، وجعل بونابرت يرى هذه الأشياء بما كان له أكبر الأثر في نفس بونابرت وأرسل بعدها لجنتي كوستاز

---

(١) كرستوفر هيرولد.بونابرت في مصر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٦٨.

(2) Louis Reybaud . Histoire Scientifique et Militaire de L' Expedition Francaise en Egypte. Paris . 1830 - 1836 . VIV . p. 378.

(3) Ibid., p. 380.

وفورييه؛ لذا نعزى الفضل الأول في إرسال اللجنتين ليس إلى بونابرت وحده بل وأيضًا للوحات دينون التي أشعرت بونابرت بأهمية الآثار الموجودة بمصر العليا(١).

وستظل كتابات دينون مرجعًا مهمًا لمعالم الصعيد الأثرية فإليه يرجع الفضل الأول في كشف النقاب عن عظمة هذه الآثار، وعلى الرغم من وجود كتابات لسابقين من الرحالة ولهم لوحات أيضًا فإن لوحاته جاءت أكثر دقةً وشمولاً.

(ب) وصف آثار مصر العليا من خلال المهندسين Jollios جولوا وVilliers فيلير

كان المهندسان جولوا وفيلير من أعضاء Girard جيرار ولجنته المسئولة عن أعمال الري والزراعة وتحديد مجرى النيل والفيضان وغيره وغادروا القاهرة في ١٩ مارس (٢٩فنتوز) من عام ١٧٩٩م، على الرغم من أن عملهم كان بعيدًا تمامًا عن الآثار، فإن روعة هذه الآثار قد استهوتهم وشدتهم بجمالها وظلوا يدرسون حتى غادروا الصعيد في أكتوبر١٧٩٩م(٢).

وهناك الجريدة الخاصة بـ فيلير والتي يشير فيها أنه هو وجولوا كانا صديقين حميمين لا يفترقان. وتوجه باللوم إلى جيرار ووصفه بالفلاح الذي لا يعي شيئًا. فهو يرى أنه أدى مهمته في دراسة طرق الري بنجاح: لذا اتجه إلى دراسة الآثار لذا لا يرى سببًا لاضطهاد جيرار له، ويقول عنه أنه لا يفهم قيمتهما، فمعبد دندرة الذي أثار فضول الجميع قضوا به أربع ساعات نام منها جيرار ثلاث ساعات(٣). ولقد كان وصف جولوا وفيلير رائعًا بكافة المقاييس

---

(1) Fernard Beaucour, Yves Laissus Chantal orgogoze. The Discovery of Egypte. London, 1997, p. 158.

(٢) هنري لورنس، الحملة الفرنسية في مصر. بونابرت والإسلام، ترجمة بشير السباعي، القاهرة. ١٩٩٥، ص ٦٣٩.

(3) Villiers Du Terraqe . Journal et Souvenirs sur l' Expedition d' Egypte (1798 - 1801) . Paris . 1899 . p. 138.

فقاموا بأخذ قطاعات للمعابد ورفعوا أبعادها بطريقة هندسية، أي أن النظرة كانت نظرة هندسية للدراسة والتحليل وليس فقط نظرة فنية للوصف كما قدمتها لوحات دينون.

ويشير فيلير أنهم وضعوا مخططًا هندسيًا لجميع معابد مصر العليا التي قابلوها أحيانًا بمفردهم وأحيانًا بمساعدة ديكوستيل وروزيير ودوشاتوا وديبوى: على الرغم من وجود تناسق في العمل بينه وبين جولوا أكثر من غيره[1].

وسنجد أن هناك أماكن أثرية لم تكتشف إلا بواسطة هذين المهندسين، ربما لرفضه البحث عن هذه الآثار، بل كانوا يطلبون الأقلام الرصاص بصورة ضخمة في المقابل كان بيلار يطلب رصاصًا للبنادق، وهذا يدل على أن موضوع الحرب لم يكن يمثل بالنسبة لهم شيئًا فبحثهم عن الآثار كان يحظى بكل الاهتمام[2].

(أ) معبد دندرة

على الرغم من الوصف الرائع الذي قدمه دينون عن معبد دندرة فإن ما كتبه كل من جولوا و فيلير كان رائعًا، وأشار فيلير أن اكتشاف برج الفلك بدندرة يرجع الفضل فيه إلى كلٍّ من ديزيه ودينون[3].

ولكن فيلير يقول إنه كانت هناك صعوبة عند كشف برج الفلك بدندرة ذلك لأن الحجرة كانت مظلمة والسقف كان أسود؛ لذا كان لابد من التقسيم إلى غرفة عمل مكونة من ثمانية أفراد. ويقول فيلير: إننا قمنا بعمل لم يعرفه العرب[4].

وقدم كل من فيلير وجولوا رسمًا بمساعدة أسلاك ممدودة أفقيًا لبرج الفلك رغم ضعف النور، وبهذا يختلفان عن دينون الذي كان يرسم فقط دون أخذ أبعاد

(1) Ibid., p. 140.

(2) Charles Roux, Op.cit., p. 335.

(3) Villiers Du Terrage , Op. cit., p. 165.

(4) Ibid., P. 138.

أو مقاييس: لكن المهندسيْن كانا يريدان تقديم صورة صحيحة جدًا عن هذا البرج حتى تتم دراسته بطريقة جيدة(١).

وعلى الرغم من أنهما قدما وصفًا أيضًا للرسوم التي تحويها الجدران فإن دينون كان رسمه أفضل، لذا نستطيع الإشارة أنهم فريق عمل مكملاً كلٌ منهم للآخر، فدينون ينظر إلى الآثار نظرة فنان، وهم يتعاملون معها على أنهم مهندسون.

لقد كان لمعبد دندرة أهمية خاصة لدى كل من مر به من الفرنسيين، ربما لتواجد هذا البرج الرائع الذي حَدَا بهم إلى أخذه معهم إلى فرنسا: لتتم دراسته بدقة ويتم من خلاله دراسة علم الفلك عن قدماء المصريين والاستفادة بهذا العلم، وهذا البرج تم أخذه من البداية إلى المكتبة القومية بباريس وبعد دراسته تم وضعه في متحف اللوفر بباريس(٢).

(ب) آثار طيبة

حظيت طيبة بأهمية خاصة في الدراسات التي قام به كل من جولوا وفيلير: وأيضًا في كتابات دينون وجومار وكوستاز وكوتيل حيث أنها المدينة التي تغني بها هوميروس كما يشيرون(٣).

وقام كل من جولوا وفيلير بجهود عظيمة في تقديم أبحاث هندسية عن المعابد الموجودة بطيبة وأُدرجت أسماؤهم مع المكتشفين.

١ - معبد الكرنك

لقد كانا شديدي الإعجاب بهذا القصر كما كانوا يشيرون إليه: فأمضوا به وقتًا طويلاً يدرسون ويحللون هذا المعبد الرائع، وأخذوا قطاعات لهذا المعبد

---

(١) هنري لورنس، المرجع السابق، ص ٦٤٢.

(2) J.J. E. Roy. Op. Cit., p. 145.

(3) Louis Reybaud. Op. cit., Tome VII. P. 154.

ونقلوا الرسوم التي توجد على البوابات الضخمة لهذا المعبد وشعروا أنه أجمل ما شاهدوا من كل الآثار كان هذا المعبد(١).

انضم كل من جولوا وفيلير إلى دينون حتى يكمل كلٌّ منهم الآخر في طيبة ويقوموا بتقديم وصف رائع عنها.

٢ ـ طريق الكباش

أشار فيلير أنهم شاهدوا طريقًا من الكباش يربط بين الأقصر والكرنك وكانا شديدى الإعجاب بهذا الطريق، الذي لا يفهمون إلى أي شيء يرمز ولكنهم واثقون من أنه لابد أن له غرضًا معينًا تم إنشاؤه من أجله(٢).

٣ ـ معبد الأقصر

وصفا أيضًا معبد الأقصر بدقة وأخذوا قطاعات رأسية وأفقية أيضًا لهذا المعبد، وأهم ما وصفوه هو وجود مسلتين بمعبد الأقصر والتي تستقر إحداهما الآن في ميدان الكونكورد بباريس، لذا فإن الوصف يعطينا صورة كاملة عن الآثار التي كانت موجودة بالمنطقة وبعضها غير موجود(٣).

٤ ـ معبد الرامسيوم

وصفت لوحاتهما أيضًا معبد الرامسيوم بطيبة وما فعلوه في الكرنك فعلوه في الرامسيوم، من رفع الأبعاد وتحليل عينات الأحجار ونقل الرسوم الهيروغليفية على الرغم من أنها لا تفيدهم لأنهم لا يعرفون عنها شيئًا، فإنهم شعروا أنها بأهمية تجدر بنقلها كاملة(٤).

---

(1) Flammarion, Op. cit., p. 117.

(2) Villiers , Op. cit., p. 167.

(3) Ibid., p. 168.

(4) Louis Reybaud , Op. cit ,Tome IV , p. 384.

٥ - مدينة هابو

توجها بالزيارة أيضًا إلى مدينة هابو ووصفوها بدقة، ورفعوا أبعادها والتي كانت عبارة عن أطلال، بل ووضعا تخيلاً لأجزاء لم تكن موجودة. اعتقدا أنها من الممكن أن تكون قد تهدمت[١].

٦ - تمثالا ممنون

المشهوران واللذان سبق الإشارة إليهما في العديد من كتب الرحالة، وأشاروا أيضًا إلى الكتابات اليونانية والتي توجد على قدم التمثال الذي يوجد في اليسار، وتحدثا عن مقبرة وتمثال أوسميندس[٢].

٧ - وادي الملوك

أخذوا يبحثون في هذا الوادي بدقة شديدة رغم صعوبة الرحلة: إلا أنهما كانا واثقين من النجاح في اكتشاف شيء جديد في هذا الوادي الملىء بمقابر الملوك، فوصف ڤيلير Villiers جميع المقابر التي دخلها فيقول إنهم وجدوا تابوتًا من الجرانيت مغطى باللغة الهيروغليفية وتم أخذه على متحف اللوفر[٣].

وفي أغلب حديثه عن المقابر الموجودة التى كان بها توابيت رأوا أن هناك مكانًا مخصصًا في المقبرة يتم وضع التوابيت به. وتوصلوا إلى مقبرة لم يسبق وأن وصل إليها أحد وهي مقبرة الملك أمنحتب الثالث " المقبرة الغربية الثانية" وبهذا الاكتشاف نضعهم في صف المكتشفين، حيث أن هذه المقبرة كان هما أول من دخلاها ورسماها ونقلا ما بها[٤].

---

(1) Ibid., p. 385.

(2) Villiers . Op. cit., p. 170.

(3) Ibid., p. 190.

(4) Ibid., p. 194.

٨ - معبد إسنا

وهو المكان الذي تقابلا فيه مع أعضاء لجنة كوستاز في ١٦ سبتمبر ليتم التنسيق فيما بينهم لتقديم صورة صادقة وحية عن جميع آثار مصر العليا[١].

ورسم جولوا وفيلير أيضاً برج الفلك الخاص بإسنا على الرغم من أنهما كانا يشعران بأنه أقل أهمية من ذلك الموجود بدندرة: ولكن هذا ربما لأنهما كانا شديدى الإعجاب ببرج الفلك بدندرة[٢].

ويشير فيلير أنهما عند وصولهما لإسنا رفعا الأبعاد جنوب غرب القصر وفي بهو الأعمدة التي يرجح أنها ترجع للعصر اليوناني، ووضعا دراسة شاملة عن هذا المعبد الرائع القريب في نظرهم من الناحية المعمارية إلى معبد دندرة[٣].

٩ - معبد إدفو

وواصلا جهودهما كمكتشفين وكانا يتغلغلان إلى الجنوب مع الجنود حتى وصلا إلى معبد إدفو الذي استطاعا إرجاعه إلى العصر اليوناني وذلك من طرز الأعمدة المختلفة المشابهة للفن اليوناني.

١٠ - معبد إلفنتين

على الرغم من أنه كان مجرد أطلال فإنهم وجدوا أنه حري بالدراسة: لذا فقد قاموا بأخذ قطاعات منه وأخذوا الرسوم المختلفة التي تحويها بوابات المعبد.

١١ - جزيرة فيلة

والتي كانت بعيدة عن أنظارهم ولكنهم توصلوا إليها ولفتت أنظارهم بوابة المعبد الضخمة بصورة جعلت النحات الذي كان معهم وهو كوستاز يترك نقشه الشهير السابق الإشارة له والذي يتعرض له المرشد السياحي عند شرحه لهذا المعبد[٤].

---

(1) Henry D' Estre, Bonaparte le Mirage Oriental D' Egypte (1798-1799). Paris. 1946. p. 400.

(2) Villiers , Op. cit., p. 156.

(3) Ibid., p. 160 - 161.

(4) Ibid., p 157 - 158.

١٢ ـ أرمنت

في طريق عودتهم من أسوان شمالاً شاهدوا معبدًا بأرمنت ورفعوا أبعاده أيضًا ورسموا ما يحويه المعبد من نقوش مختلفة[١].

١٣ ـ معبد كوم أمبو

وفعلوا في كوم أمبو ما فعلوه مع باقي المعابد من أخذ قطاعات وتحديد أبعاد ونقل النقوش المختلفة التي تعطي صورة كاملة عن حياة المصري القديم[٢].

(جـ) لجنتا Costaz كوستاز و Fourier فورييه وآثار مصر العليا

مع أن هناك جهودًا سابقة لجهود لجنتَيْ كوستاز وفورييه على الآثار متمثلة كما سبق التوضيح في لوحات دينون ومقاييس جولوا وفيلير، إلا أن هاتين اللجنتين أصقلتا دراسة الآثار وتحليلها فقد كان كلٌّ من دينون وجولوا وفيلير يتحركان بدافع الفضول، بينما كان هدف اللجنتين هو تقديم صورة حقيقية عن آثار مصر العليا، أو الدراسة بدقة.

وقد علمنا أن أمر تكوين اللجنتين صدر من بونابرت ٢٤ أغسطس ١٧٩٩ وغادروا القاهرة متجهين للصعيد، وكما سبق الإشارة تقابل أعضاء لجنة كوستاز مع جولوا وفيلير في سبتمبر بإسنا[٣].

وهنا ظهرت روعة التناسق وتبادل الأدوار فبدلاً من أن يعيدوا عمل قد أنجزه غيرهم بدقة أكملوا ما فعله سابقوهم. فقد أشار عليهم فيلير أن يبدءوا من حيث انتهوا هم وذلك حتى يستطيعوا أن ينجزوا عملاً ضخمًا وبقوا يبحثون حتى استدعاهم كليبر بعد معاهدة العريش ١٨٠٠[٤].

---

(1) Benoist. Mechin, Bonaparte en Egypte on le Réve Inassouvi, Switerland, 1966, p. 177.

(2) Ibid., p. 179.

(3) Villiers , Op. cit., p. 213.

(4) Jean Joel Bregeon, L'Egypte De Bonaparte, Canada , 1993 , p. 294

لجنة كوستاز المكونة من (Balzac) بالزاك و(Coraboeuf) كورابوف وفنير (Venoir) و (Labatte) لابات و(Le Pere) لوبير و(Saint Genis) سانت جينس وفيراد (Virad).

لجنة فورييه المكونة من (Villoteau) فليوتوا و(Delile) ديليل و(Cofroy) كوفري (Saints) سيانت و(Hilaire) هيلار و(Cecile) سيسل و(Lancert) لانسيرت و(Jomard) جومار وردويت (Redoute) و(LaCipere) لاسبير و(Chabrol) شابرول و(Arnollet) B رنولت و(Vincent) فينسنت وروبير (Rouyer)[1].

ومن هاتين اللجنتين تجمعت موسوعة وصف مصر، الجزء الخاص بكل ما يتعلق بطبيعة مصر من زراعة وصناعة وتجارة وأيضًا الآثار، وقدم لنا هؤلاء العلماء نتائج رائعة عن آثار مصر العليا، فتم دراسة كل أثر بتعمق شديد من أكثر من عالم ليضع كل منهم بصمته على المكان.

وعظم نشاط هؤلاء العلماء في البحث عن الآثار المصرية ودراسة ما تم كشفه، فرسم ردويت من أعضاء لجنة فورييه ما صادفه من آثار في فيلة وإلفنتين وكوم أمبو وإدفو وإسنا وأرمنت والأقصر والكرنك ووادي الملوك في طيبة ومدينة هابو ودندرة، ورسم بالزاك من أعضاء لجنة كوستاز الآثار في فيلة وإلفنتين وكوم أمبو وإدفو وإسنا والأقصر والكرنك ومدينة هابو ووادي الملوك ودندرة[٢].

وقد علمنا نشاط هؤلاء العلماء من خلال نشر أبحاثهم في موسوعة وصف مصر التي قدموا فيها وصفًا دقيقًا للآثار التي وجدوها، فقد كانوا يبحثون بحثًا دقيقًا، فبينما كان جومار وجولوا يدرسان آثار أبيدوس كان سانت جينس يكتشف آثار أخميم، وهذا يدل على مدى التعاون الذي كان يربط بين العلماء[٣].

---

(1) Villiers , Op. cit., p. 213.

(٢) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص ٦٣٩.

(3) Louis Reybaud , Op. cit., Tome VII , p. 108.

- جدير بالذكر أنهم وصلوا لجرجا في ٣٠ فندميير من السنة السابعة للجمهورية فيما يعادل ٢٢ أكتوبر ١٧٩٩م حيث يقع معبد أبيدوس.

وأيضًا ساهم كل من كوتيل وجومار وكوستاز في تقديم صورة رائعة عن آثار طيبة: وذهب كوستاز مع كورابوف وسانت جينس إلى وادي الملوك والقرنة.

وصف آثار مصر العليا من خلال أبحاث علماء اللجنتين من موسوعة وصف مصر

١ - أبيدوس "بقلم Jomard"

كانت دراسة جومار عن أبيدوس دقيقة للغاية. فلقد تحدث عن جغرافية المنطقة وتاريخها، مستفيدًا من كتابات كلٍّ من سيكارد وجرانجر على الرغم من إشارته بأن الرحالة لم تكن كتاباتهم دقيقة على هذه المنطقة، وقد أوضح جومار بأن مدينة أبيدوس بها قصر ممنون ومقبرة أوزوريس وأشار بأنها كانت تسمى طيبة الثانية[١].

وقدم جومار طريقًا للوصول للآثار في أبيدوس وهو الاتجاه من جرجا في الطريق الجنوبي والجنوب الغربي، وعلى يمين الطريق المؤدي لأبيدوس، شاهد جومار أكوام أحجار مجتمعة وبابًا من الجرانيت. معتقدًا أن هذه البقايا خاصة بمعبد أوزوريس.

مشيرًا أن هذا المعبد المغطى بالرمال يقع جنوب تل كبير من الأنقاض على بعد ألف متر تقريبًا من الطرف الجنوبي. أما عن الشمال الغربي فهناك فتحات داخل الجبال من الممكن أن تكون مدخلاً للمقابر الخاصة بالمصريين القدماء حيث يوجد على الأرض بقايا لفائف وبقايا المومياوات، يطلق العرب عليها " شونة الزبيب " والتي تنتمي لمنطقة تنتمي لمعبد أبيدوس[٢].

---

(١) لم يكن Jomard دقيقًا في هذ النقطة لأن قصر ممنون سوف نتعرض له في وصف طيبة وليس أبيدوس.

(2) E. Jomard . Description des Antiquites D' Abydos . Tome Quatrieme "Antiqutes Description p. 15.

يشير جومار أن الوقت لم يكن حليفهم لتتم دراسة دقيقة عن هذا الموقع؛ حيث أشار أن هناك أكمة من التراب لديه إعتقاد بأنها تحوي معبداً للإله بس ولكن لم يكن لديهم الوقت الكافي لإزالة تلك الرمال والأتربة لمزيد من البحث والاستكشاف[١]. آما عن معبد أبيدوس فهو يقع عند الطريق الجنوبي لتلك الأنقاض.

واعتبر جومار أن هناك سورين كبيرين يحيطان بأنقاض المدينة هما تحديداً للمعبد. الذي يقول إنه كان متجهًا من الشمال الشرقي على الجنوب الغربي ويمكن دخول المعبد عن طريق السطح وليس الباب.

على الرغم من أن هناك بعض الجدران والأعتاب والأعمدة قد رُدمت تقريبًا: فإن هناك بعض الألوان التي تحتفظ برونقها وبريقها، ويشير جومار إلى ترتيب الأحجار في هذا المعبد، على الرغم من صعوبة التكهن بشكل المعبد لانهيار جزء من المبنى وازدحام الآخر بالأحجار[٢].

فقد كان العلماء أحيانًا يستكملون التخطيط طبقًا للتخيل لو أن هناك منطقة مهدمة بالمعبد ولكن جومار لم يستطع أن يفعل ذلك مع معبد أبيدوس لاحتوائه على عدد من الممرات الضيقة. ويشير إلى وجود قاعات للأعمدة في الجزء الجنوبي الشرقى والجنوبي الغربي للمعبد[٣].

أشار جومار بأن السقف يحوي تماثيل للسماء الصافية والتي تحوي نجوماً صفراء ويعزى جومار بناء معبد أبيدوس إلى أمير يسمى ممنون وهو الذي له أبنية بطيبة ويسميه اليونان أوسمندس، وقد حاول جومار تأريخ المعبد فقال إنه لا ينتمي لعصر معبد إسنا ولا لوقت معابد طيبة ولكنه أنشئ قبل إنشاء معبد دندرة[٤].

---

(١) هنري لورنس، المرجع السابق ، ص ٦٤٥.

(2) E. Jomard . Op. cit., p. 21.

(٣) هنري لورنس، المرجع السابق . ص ٦٤٦.

(٤) هناك مغالطة في تلك النقطة حيث أن ممنون غير أوسمندس وهو ما سنتعرض له.

ويضع جومار استنتاجه عن المدينة قائلاً إن الأنقاض الكائنة في جنوب غرب جرجا هي أنقاض أبيدوس وأن ما يسميه العرب "المدفونة" هو ما تبقى من قصر ممنون وأن مدينة أبيدوس بناها ممنون[١].

فعلى الرغم من قصر المدة التي قضاها جومار بأبيدوس؛ فإن دراسته لأبيدوس جاءت دقيقة وشائقة وحدد أبعاد وارتفاعات وأشكال لم يتطرق لوصفها السابقون، على الرغم من استعانته بما كتبه الجغرافي إسترابون.

٢ - آثار أخميم بقلم سانت جينس

في الوقت الذي كان فيه جومار يقوم باستكشاف أبيدوس كان سانت جينس يقوم باستكشاف أخميم وآثارها التي قال إنها تقع خارج وحول المدينة من الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي، ويقول إنه المعبد الموجود قد ظهرت معالمه[٢].

يقول جينس إنه ناحية الجنوب الغربي يوجد معبد آخر يسميه السكان البربا، ولكن البربا كما أشرنا سابقًا هو اسم يطلق على كل أثر قديم، وهذا المعبد عبارة عن بقايا أحجار فقط علمنا ذلك من أحدها لأنه يحمل نجومًا ربما يكون سقف المعبد المتهدم، ومن الكتابات الهيروغليفية التي تحملها بعض الأحجار الملقاة.

لم يقم جينس بقياس أحجام وأبعاد هذا المعبد ربما لقصر الوقت ولكنه أشار إلى شيء مهم، وهو أن أحد الجوامع بأخميم به عدد من جرانيت أسوان الوردي الذي أخذ من المعابد القديمة، وعند مدخل أحد المساجد الأخرى بها حجر جرانيتي مغطى بحروف إغريقية، غير واضحة المعالم.

وهذا يعود بنا إلى ما سبق وأن أشرنا إليه من عدم الوعي بقيمة الأحجار المصرية قبل مجيء علماء الحملة ولو أن المصريين كانوا يعرفون قيمة هذه الأحجار، لما أخذوا منها شيئًا لبناء مساجدهم.

---

(1) Jomard, Op. cit, p. 23.

(2) Louis Reybaud, Op. cit., Tome VII, p. 108.

استعان جينس بما كتبه هيرودوت عن آثار أخميم ولكنه تعجب من أنه لم يبحث إلا عن المعبد الثاني الذي أطلق عليه " بيرسيه" أما الأول فلم يتحدث عنه ويرى ذلك لأن هذا المعبد مهدى لإله مصري يسمى أوزوريس مشابه لإله مين في اليونان وأن هذا المعبد أكثر لفتًا للنظر من الآخر[١].

وهو يرى أن المعبد الأول مهدى للإله "بان" وأن الحجر الذي وجده في هذا المكان والذي يحمل الرموز الاثنى عشر للشمس هو ربما يمثل شهور السنة وفصولها. لأن أخميم اسمها باليوناني "بانوبوليس" أي مكان للإله "بان"[٢].

استعان جينس بالمصادر العربية القديمة والتي ذكرت برابي أخميم كالمقريزي ولكنه يشير أنهم قالوا "برابي أخميم" ولا يدري ما الذي كانوا يقصدونه هل المعبدان أم المعبد الثاني الأكثر وضوحًا وشمولاً.

استعان بالمقريزي أيضًا لدراسة تاريخ المنطقة الذي أشارت المصادر العربية على أن مصرايم حفيد سيدنا نوح من ولده سام هو الذي أنشأ برابي هذه البلدة[٣].

كتب جينس أيضًا عن ضواحي أخميم حيث يشير أنه في طريق العودة من الوادي إلى القناة. رأى كهوفًا استُخدمت كمقابر وبها بعض المومياوات ووضحها برسوم، وعند نقطة اختفاء القناة عند السهل توجد مقبرة معروفة باسم مقبرة الشيخ هريدي والتي بها ثعبان الشيخ هريدي: صاحب الأساطير الذي قال عنه المسلمون أنه روح الشيخ هريدي بينما قال المسيحيون إنه الشكل اسمودي[٤].

---

(1) Ibid., p. 52.

(٢) وكان هذا استنتاجاً صحيحاً و "بان" هو إله الخصوبة عند اليونانيين ومقابل للإله المصري "مين".

(٣) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . القاهرة، ١٩٩٨، ص ٥٤٠.

(4) Saint Genise . Op. cit., p. 56.

وفي طريق العودة لأخميم مرة أخرى توجد بعض الكهوف مثل الموجودة فى الشمال والتي تحوي المقابر ذات النقوش الهيروغليفية المختلفة. أيضًا عند سفح نفس سلسلة الجبال التي مر بها يشير إلى وجود بقايا معبد هناك[١].

إن دراسة جينس مهمة للغاية، وذلك لقلة الملاحظات التي كانت تقع حول هذه المدينة، التي حولها بدراسته إلى مكان أثري مهم.

٣ ـ وصف لآثار طيبة (الأقصر)

وصفت آثار الأقصر بواسطة مجموعة من علماء الحملة هم كالآتى:

جومار، المقابر القديمة

كوستاز، مقابر الملوك

جولوا وفيلير

- نظرة عامة على الآثار بها
- معبد مدينة هابو
- المعبد الصغير بمدينة هابو
- التمثالان الموجودان في سهل طيبة
- تمثالا ممنون والقصر الخاص به
- معبد رمسيس الثاني
- وصف المعبد الغربى أو معبد إيزيس
- أطلال القرنة
- معبد الكرنك وطريق الكباش.

(1) Ibid., p. 57.

ومن هذا العرض يتضح أن الدراسة الدقيقة لطيبة والأبحاث التي قدمت ونشرت في موسوعة وصف مصر هي تلك الدراسة الخاصة بالمهندسين جولوا وفيلير، اللذين وضعا دراسة دقيقة المعالم والملامح ويمكن الاعتماد عليها وحدها لتقديم صورة رائعة عن آثار طيبة[١].

فقد درسا تلك الآثار بدقة بالغة ولم يغفلا أيًا منها، جدير بالذكر أنهما استعانا بكتابات الرحالة السابقين أمثال سيكارد وجرانجر ونوردن كدليل لهما في رحلتهما الاستكشافية، وهذا يدل على أنهما كانا يتحركان بناءً على علم مسبق بأماكن تلك الآثار.

مدينة هابو

لقد علمنا أن كلاً من جولوا وفيلير كانا يتحركان معًا بمفردهما إلى أن التحقا باللجنتين: مما أتاح لهما تقديم صورة رائعة عن طيبة وما تحويه، وأشار فيلير أن إقامتهم لمدة شهرين بطيبة قد أتاح لهم تقديم صورة وافية عن تلك المنطقة.

بدأ جولوا وفيلير دراستهم عن طيبة بتقديم وصف لمعبد مدينة هابو حتى بقايا الأحجار المهدمة والتي تحوي الرسوم قدموا عنها دراسة وافية، وعن الباب الخارجي ذي النقوش وأشادوا بملاحظات زميلهم كوتيل في هذا المضمار[٢].

وأشاروا إلى وجود بناء آخر بعد الأول ولكنه أقل في الطول والعرض الذي يقود إلى ممر واسع يحوي معبدًا صغيرًا، يحوي أعمدة بدون تيجان، وعلى الأطراف الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية لمواجهة المعبد يوجد بابان يؤديان إلى غرفتين مردومتين تحويان كتابات قبطية[٣] فقط.

---

(١) على الرغم من أننا تعرضنا لوصف آثار مصر العليا من خلال مذكرات Jollois & Villiers فإن الأبحاث المنشورة لهم في وصف مصر كانت أكثر دقة وشمولاً عن غيرها وذلك لبيان الأبعاد والارتفاعات لكل جزء على حدة، لذا فقد تعرضت الباحثة لوصفهم مرة أخرى من خلال وصف مصر، وذلك لمزيد من الدقة لمعرفة الدور الذي قاموا به تجاه آثار مصر العليا.

(2) Jollois Et De Villiers , Description Genéral de Thèbes , Tome Douzieme, p.15.

(3) Ibid., p. 41.

وقُدس الأقداس في هذا المعبد مكشوف، ولكنهما يريان أنه من المحتمل أن تكون قدماه مغطاتين بالأحجار، وهناك مقصورة بينما رأى الرحالة أنها تابوت حجري هما يريان أنه ليس تابوتًا؛ ولكنه من المحتمل أن يكون مكانًا خصص للدفن. وأيضًا تمثالان ضخمان ولكنهما محطمان ربما كانا أمام مبنى إما أن يكون مهدمًا أو مدفونًا تحت الأرض[١] .

برج مدينة هابو

أشار المهندسان إلى وجود برج مكون من طابقين وشرحا ما عليه من رسوم للأسرى، وهذا البرج يحوي نوافذ عديدة، وأشارا إلى أن المبنى مسنن من أعلى وهو شيء غير معتاد حيث أن هذه المباني المسننة تقتصر على الحصون فقط وليس على المعابد، وإن كانا قد أخطآ في تأريخ المعبد حيث قالا عنه إنه خاص بالملك سيزوستريس[٢].

أشارا أيضًا إلى أن أكبر وأهم مباني مدينة هابو في اتجاه البرج من الجهة الشمالية الغربية، ووصفا الأعمدة التي يحويها المعبد والستائر الحجرية والتماثيل الضخمة. جدير بالذكر أنهما كانا يعرضان قياسات وأبعاد أي شيء يتعرضان لشرحه: مما يدل أنهما كانا يقومان بدراسة الأثر بدقة بالغة.

واشتكيا من أن معظم أجزاء المعبد تعاني الرديم وأرجعا ذلك إلى سلوك السكان المقيمين على جانبي المعبد؛ حيث إنهم لا يفهمون قيمة هذا الأثر الذي يمتلكونه[٣].

حتى أنقاض من الأعمدة قاما بدراستها أيضًا ووضعا تخمينًا على أنها من الممكن أن تكون حاملة لمبنى بأكمله ولكنه قد تهدم، وانبهرا بروعة الألوان التي تحملها النقوش والتي قدمت صورة واضحة عن حياة المصري القديم.

---

(1) Ibid., p. 58.

(٢) معبد مدينة هابو يرجع إلى الدولة الحديثة وبالتحديد لرمسيس الثاني والثالث، أما سيزوستريس فهو في الدولة الوسطى، الأسرة ١٢. لمزيد من المعلومات انظر:

- Nicolas Grimal , A History of Ancient Egypt, USA ,1994,. p. 155 - 160.

(3) Jollois , Villiers , Op. cit., p. 103.

ووصفا جميع حجرات المبنى معماريًا وفنيًا. وقدما أبعادًا للحجرات وأيضًا شرحًا للنقوش التي على الجدران بصورة دقيقة للغاية، ولقد أشارا إلى باب فناء الأعمدة مردومًا من جهة الشمال الغربي إلى القمة وهذا سهل الوصول إلى الأسطح[1].

قدما أيضًا تحليلاً للنقوش الخارجية الموجودة على جدران المعبد وليس مجرد وصف، وسنرى ذلك من خلال العرض للجهود التحليلية لهذه الآثار.

وصفا أيضًا معبدًا صغيرًا من جنوب غرب البرج على بعد ٦٠ مترًا عند سفح هضبة مدينة هابو، وفعلا معه ما فعلاه في المعبد الرئيسي من قياس للأبعاد وشرح النقوش التي تحويها جدران المعبد[2].

صالة ألعاب مدينة هابو

هناك سور مستطيل جنوب مدينة هابو على امتداد الجانب الشمالي حيث يوجد المعبد الذي سبق عرضه، وهذا السور عبارة عن كثبان وهضاب أرضية ترتفع من الأرض، وأوضحا أن الغرض منه إنما كصالة للألعاب أو مكان لتدريب الجنود أو مكان للاحتفالات[3].

تمثالان في سهل طيبة:

أشارا أن هذين التمثالين ينظران في اتجاه الجنوب الشرقي ويشتهران بين سكان طيبة باسم تاما وشاما، يمثل شاما التمثال الجنوبي وتاما الشمالي وهما متشابهان ما عدا في الأبعاد وإن كان الجنوبي بحالة أسوأ من الشمالي، وأشارا أنهما ضخمان للغاية فارتفاعهما يمثل ارتفاع منزل مكون من خمسة طوابق في باريس[4].

---

(1) F. Charles Roux , Op. cit., p. 237.

(2) Henry D' Estre , Op. cit., p. 402.

(3) Jollois , Villiers , Op. cit., p. 134.

(4) Jollois , Villiers , Description des Colosses de la Plaine de Thebes et des Ruines que des Environment et Recherches sur le Monument dont ils Faisaient Partie , Sectin Deuxieme , p. 153.

وهناك نقوش يونانية على التمثالين وأشار جولوا وفيلير إلى كتابات الرحالة بوكوك عن هذه النقوش التي تعظم "ممنون"، ويقولان إنهما قد سمعا صوت التمثالين ليلاً.

ونحو الشمال الغربي للتمثالين يوجد بقايا قطع لأربعة تماثيل عملاقة من الممكن أنها كانت موضوعة أمام مبنى ضخم[1].

وبهذا يكون جولوا وفيلير قد أشارا إلى أن تمثال واحد هو المسمى بممنون أما الآخر فأطلقا عليه التمثال الجنوبي فقط، ولكن بدراسة الاتجاه القديم لجابلونسكي وجد أن التمثال الشمالي هو لملك يسمى أمنحتب.

وقاما بتقديم ترجمة لجميع النصوص اليونانية الموجودة على قدم التمثالين.

معبد رمسيس الثاني أو "قصر ممنون"

ويقع في شمال الشمال الغربي للتمثالين الضخمين، وقد عُرف قديمًا باسم مقبرة أوسيمندياس. ووصفا خط الطول والعرض والأبعاد الخاصة بهذا الصرح الذي يعتقد أنه من أروع مباني طيبة لوجود عدد من الأعمدة والتماثيل المهدمة به.

ووصفا النقوش التي يحويها هذا المعبد والتي تمثل تقديم معارك عسكرية ويشيران أن جومار قد لاحظ وجود أربعة تماثيل من الجرانيت داخل قصر ممنون.

وأشارا إلى وجود باب بالجدار الداخلي للفناء يقود إلى صالة تحوي أربع دعامات بالإضافة إلى رواق جانبي مكون من صفين من الأعمدة كلها مهدمة، وكل ما عداها وصف له مبنى على التخمين، لوجود تلك البقايا، وهناك في الجنوب أنها بقايا تمثال رائع[1].

---

(1) Ibid., p. 154.

استعان كلٌ من Jollois & Villiers بكتابات هيرودوت واسترابون وبوكوك Pococke في تقديم النصوص الموضوعة على التمثالين حيث إن الكتابة أجزاء منها كانت غير واضحة بالنسبة لهم.

(2) Ibid., p. 155.

النقوش التي على المبنى تمثل معارك بحرية، تحوي أيضًا النقوش عددًا من العربات المصرية.

المعبد الغربي "معبد إيزيس"

على بعد ٦٠٠م من معبد رمسيس الثاني في اتجاه الجنوب الغربي يوجد تمثال ربما كان مخصصًا لعبادة الإلهة إيزيس. وهذا البناء محاط بسور به أبواب، والباب مزين بصورة قرص مجنح، وعلى بعد ١٦ مترًا من الباب يوجد المعبد(١).

في البداية الصالة مكونة من قاعة كبيرة مربعة تحوي أعمدة، والجزء الثاني من الصالة يتم الصعود إليه عن طريق أربع درجات، والحائط الموجود في نهاية الممر يوجد به ثلاثة أبواب تؤدي إلى غرف تنسيقها يتطابق مع قدس الأقداس الخاص بأي معبد مصري(٢).

وتم رسم النقوش المختلفة التي على جدران المعبد والتي تمثل أشكالاً لإيزيس وأوزوريس وأبيس والأواني الكانوبية، والتي جمعوا عددًا منها من المقابر وشاهدا طريق الكباش الذي كان يوجد بعده بقايا سلالم ربما كانت تقود إلى آثار مبنية لكن لم يبقَ منها شيء، ولكن بوكوك Pococke الرحالة قد وجد بها العديد من المومياوات(٣).

ومنها يتضح أن المقابر كانت تتعرض لعمليات نهب واسعة، سواء من الرحالة السابقين للحملة أم من علماء الحملة أنفسهم.

---

(1) Jollois et Villiers , Description de la temple de Isis , p. 160.

(2) Ibid., p. 161-162.

(٣) إيزيس هي ربة الأمومة والحماية، وأوزوريس هو رب البعث والموتى في مصر القديمة، وأبيس هو رب القوة والفحولة ، لمزيد من المعلومات انظر:

- Richard Wilkinson, The Complete Gods and Goddesses of Ancient Egypt, Cairo, 2003, p. 118,230.

القرنة

أطلال القرنة موجودة على أنقاض تحتل الطرف الغربي القريب من الجبل، وعلى الرغم من أنها أقل أهمية من آثار طيبة: لأنها لا تحوي كباشًا ولا مسلات ولا تماثيل عملاقة، فإنها قد تمت دراستها بعناية أيضًا.

فالبناء مختلف عن التقسيمات الموجودة في الآثار المصرية الأخرى، فإن به صرحًا وله بوابات ضخمة وله صالة الأعمدة[1]. فالمعبد يبدأ برواق به أعمدة ولكنها منخفضة الارتفاع، ويحوي ستائر حجرية، والأبواب تحوي بقايا أحجار كثيرة تقود إلى ممر وقاعات كبيرة.

فمعبد القرنة مقسم لثلاثة أجزاء مستقلة عن بعضها بحيث تمثل ثلاثة أجزاء مقسمة بشكل متماثل. أما الشيء الذي ذكره جولوا وفيلير في بحثهما أن سكان القرنة يتسحَّبون إلى داخل المقابر ويسحبون منها التماثيل والجعارين وتُعدُّ مناجم لا تنضب بالنسبة إليهم[2].

وكانوا يبيعون ما يأخذونه للفرنسيين ولكن لا يقودونهم إلى أماكن المقابر، فقد كانت حكرًا عليهم وحدهم، فتوجد بعض المقابر على اليمين وفي مدخل وادي الملوك الذي يبدأ خلف القرنة.

وكان أهل القرنة يعتمدون بشكل أساسي على المقابر التي يقتحمونها. لذا ذاعت شهرتهم في مجال سرقة المقابر، إلى الوقت الحالي. لذا فعندما وصل كل من جولوا وفيلير إلى القرنة وجدوا أن المقابر الموجودة بها قد تم اقتحامها بشكل كبير وتم أخذ العديد من القطع والمنتجات الأثرية الموجودة داخل تلك المقابر، وهذا يدل على أنهم قد علموا أن هذه الأشياء ذات قيمة ويمكن الاستفادة منها من خلال بيعها. وتعد هذه النقطة هي البداية لاهتمام المصريين بآثارهم[3].

---

(1) Jill Kamil . Upper Egypt and Nubia. The Antiquities from Amarna toAbusimbol . Cairo . 1996 . p.101.

(2) Jollois . Villiers . Op. cit.. p. 349

(3) Jill Kamil. Luxor. Ancient Thebes and the Necropolis, Cairo. 1996. p. 139 - 140.

الذي شاهدا روعته وكثرة أعمدته وبقايا طريق الكباش الذي يصل ذلك المعبد بمعبد الكرنك، وأشارا إلى المسلتين اللتين كانتا أمام معبد الأقصر، وتمت دراسة أبعاد المسلتين والنقوش والكتابات الهيروغليفية التي تحملها كل مسلة على حدة[١].

وخلف المسلتين وجد تمثالان تمت إزاحة التراب عنهما حتى تكون هناك دقة في رسمهما، وبعد التمثالين توجد بوابة تحمل نقوش مختلفة.

يشير جولوا وفيلير أن أهالي الأقصر كانوا ينتزعون الأعمدة لإقامة منشآت جديدة وقاموا بتقسيم الفراغات بين المعبد لتستخدم كإسطبلات ومساكن ومسجد ومدرسة، وهما يريان أن هذا جهل منهم ولا يدل على أنهم ينتمون إلى العظماء الذين بنوا هذا المعبد[٢].

وأشارا إلى أن مباني الأقصر تقع على ثلاثة محاور: الأول عليه الفناء الأول، والثاني هو رواق الأعمدة الكبير والثالث خاص بالجزء الجنوبي للمعبد وإن هذا المعبد لم يتحدث عنه الرحالة، ولم يكن هناك وصف مشابه لمعبد الأقصر[٣].

أما عن بوكوك فاعتقد أن معبد الأقصر هو مقبرة أوسمانديس، وآثار الضفة الشرقية بالنسبة للرحالة كانت أقل إثارة من آثار الضفة الغربية، لذا فإن الدراسات السابقة عن الضفة الغربية كانت أوقع بكثير من الكتابات عن الضفة الشرقية[٤].

ولكنهما مع ذلك قد قدما وصفًا لآثار الضفة الشرقية كما سبق الإشارة ولكن مع وجود بعض الأخطاء، كالتي وصفت مثل اعتقادهما أن معبد الأقصر كان

---

(1) Flammarion , Fernard Becucour , Chantal Orgogozo , Op. cit., P. 117

(2) Jollois , Villiers , Op. cit., 363.

(٣) كان Jollois &Villiers محقين في هذه الإشارة: لأنه لا يوجد لدينا نص سابق للحملة لديه دقة في وصف معبد الأقصر مثلما قاما هما بوصفه.

(4) Richard Pococke , Op. cit., p. 112.

معبد كبيرًا ومهمًا، هو مقبرة أوسماندياس التي ذكرت في كتابات هيرودوت وإسترابون.

معبد الكرنك

هو أثر ضخم مثير للانتباه، يمتد صرحه الأمامي المؤدي لطريق الكباش من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، يحوي عددا ضخما من النقوش والخراطيش المختلفة والذي سجل عليه أيضًا أعضاء لجنة العلوم والفنون أسماءَهم تخليدًا لذكرى دخولهم على هذا المعبد.

وأشارا أن صف الأعمدة الموجود في الجنوب أقل انتظامًا من مثيله في الشمال؛ جدير بالذكر أنهم قالوا عنه إنه معبد قصر الكرنك، فقد عَدُّوه كمعبد وقصر في الوقت ذاته، فقد كان لديهم يقين بأنه شبيه لقصور الملوك الضخمة(١).

وقدما وصفًا مثيرًا لمعبد الكرنك الذي ظلا معتقدين أنه قصر إلى أن وجدا نقوشًا لمعبودات مختلفة بالإضافة إلى تجاويف في الحائط ربما استُخدمت لوضع تماثيل الإله، فأشارا أنه عبارة عن معبد يحوي عددًا من الغرف الواسعة(٢).

وقد عبرا عن انبهارهما ببهو الأعمدة الذي يريان أنه من أجمل أجزاء المعبد، والأعمدة التي تزين المعبد في كل أجزائه. وثمة مسلتان رائعتان من أكبر المسلات المصرية توجدان على جانبي الباب، وإن كانت الشمالية هي الوحيدة التي لا تزال موجودة فهي رائعة لأنها ذات ارتفاع شاهق ومنحوتة من كتلة حجرية واحدة(٣).

وقدما وصفًا للنقوش التي تحويها جدران المعبد وحاولوا أن يترجموا بعض الكتابات الهيروغليفية؛ ذلك حتى تتسنى لهم معرفة الغرض الذي تم من أجله

---

(1) Louis Reybaud . Op. cit., Tome IV., p. 384.

(2) Ibid., Tome. VIII . p. 225.

(3) Jollois& Villiers . Op. cit., p. 405.

إنشاء هذا الأثر المهم الذي كان مثيرًا لانتباه كل من أتى من الرحالة إلى الأقصر.

ووصفا أيضًا ملحقات المبنى من الأطلال الشرقية والأطلال الشمالية والأطلال الجنوبية التي تحوي مداخل المعبد وطريق الكباش، وقدما وصفًا للمعبد الصغير الواقع جنوب المعبد وقدما وصفًا لأطلال الميدامود التي لم يستطيعا تحديد ما إذا كانت لمعبد أو لقصر[1].

المقابر الصخرية بقلم جومار

أشار جومار أن المومياوات ليست في توابيتها داخل هذه المقابر ولكنها ملقاة على الأرض بما كان يجعلهم يمرون عليها بل ويقومون بتحطيمها في بعض الأحيان، وأن العرب كانوا يجمعون بقايا هذه المومياوات المحطمة ويحرقونها[2].

وأنهم كانوا يجدون في المقابر أيضًا تمائم وتماثيل سهلة الحمل ومعظمها في حالة سليمة وأفضل من تلك التي اكتُشفت في مصر السفلى، وقد جمعوا عددا من هذه الأشياء معهم مثلما فعله الرحالة السابقون الذين كانوا ينتزعون من رسوم الحائط ذاتها، ويشير جومار أنه كاد أن يفقد حياته فجأة بسبب اشتعال النار عند مقبرة كان بداخلها ولكن استطاع الخروج، ولكن هذا لم يثبِّط من حماسته بل على العكس قد زادها اشتعالا وفضولاً[3].

أشار جومار أن تصميم المقابر يتمتع بتنوع شديد، حيث أن لكل منها شكلاً مستقلاً بذاته، ولكن أغلب التصميم هو وجود بهو في الهواء ينتهي بدرجات تقود للمقبرة، وبعدها مدخل واسع ذو سقف مقوس يؤدي إلى حجرات عديدة وبعدها حجرة أصغر حجمًا يوجد بها منصة على أربع درجات[4].

---

(1) Ibid., p. 489 , 496.

(2) E. Jomard , Observations Historiques sur le Hypogées, coup d' oeil Jemerd , Tome troisiéme., p. 8.

(3) Ibid., p. 34.

(4) Ibid., p. 40.

وعلى الجانبين توجد أروقة ذات أبواب جانبية تؤدي إلى أكثر من بئر للمومياوات، وهناك مجموعات مختلفة عن هذا الطراز ذات سراديب أقل اتساعًا، ونوع ثانٍ يفتقد النظام ذو أروقة ودهاليز ضيقة ومنخفضة بغير نظام، ولكن على أية حال فإن الشكل المعماري للمقابر ليس بينه وبين المعابد أي أوجه تشابه[١].

وتختلف طرق زخرفة هذه المقابر وأيضًا الموضوعات المسخرة في هذه الزخرفة؛ فمثلاً إما أن تكون مشاهد عائلية أو مشاهد الاحتفالات الجنائزية ومناظر للصيد. أى أن المناظر إما دينية أو دنيوية.

محتويات المقابر

لقد كان الفرنسيون يجدون أشياء عديدة داخل المقابر مثل المومياوات الآدمية والحيوانية والتماثيل الصغيرة وقد درس جومار العديد مما يتعلق بالطقوس الجنائزية من ذراع لمومياء أحضرها من إحدى المقابر.

وتنوعت الأقمشة التي تغطي المومياوات بشكل ملفت للنظر، جعلت هذه الأقمشة حالة بعض المومياوات أفضل بكثير عن الأخرى والشيء الذي لفت انتباه جومار أنه بإزالة الأقمشة عن المومياء نجدها تحتفظ بملامح الوجه واضحة[٢].

ويشير جومار أن العرب من سكان القرنة يجلبون لهم الأجسام المحنطة، ويشير أيضًا أن المومياوات التي نقلها الرحالة قبل الحملة الفرنسية كانت من منف، وهي بذلك تختلف عن المومياوات التي شاهدها علماء الحملة في طيبة[٣].

فلقد قام جومار بمعاونة كل من شابرول ودليل وفيلوتو بدراسة هذه المومياوات وفتحها خلال الفترة التي خصصت لدراسة تلك المنطقة وهي تقريبًا أربعة أيام، فأحضروا بعض المومياوات إما كاملة أو محطمة. وتضم المقابر أيضًا عددًا من مومياوات الطيور والحيوانات[٤].

---

(1) Ibid., p. 45-46.
(2) Ibid , p. 137 - 138.
(3) Ibid , p. 141.
(4) Flammarion , et al. Op. cit., p. 148-149.

واستُخدمت التوابيت المختلفة للحفاظ على تلك المومياوات، ويشير جومار أن أغطية صناديق الحفظ هذه ليست في مكانها لأن العرب قاموا بتحطيمها حتى يستطيعوا تفتيش المومياوات.

واستنتج من خلال فحصه لهذه التوابيت أن منها ما هو مخصص للفقراء ومنها ما هو مخصص للأثرياء، ووجد أن هناك أربعة أشكال رئيسية وصور صغيرة لمومياوات بأقنعة مختلفة ولكنها تحظى بنفس الترتيب دائمًا ويطلق عليها الأواني الكانوبية[٢].

وقد تم العثور على عدد من القطع الأثرية داخل المقابر، فقد أخذ جومار طائرًا منحوتًا من الخشب وله رأس إمرأة ووجد كوتيل وريدوتيه ثلاثة أشكال من هذا الطائر ولكن برأس صقر، كما وجد آيضًا بعض الأقنعة الخشبية، بالإضافة إلى تماثيل ابن آوى وعدد كبير من الجعارين[٣].

كما تم العثور على عدد من مخطوطات من ورق البردي بجانب المومياوات وكانت تحت الأغطية الخارجية بين الذراع والجسم. كل مجلدٍ منها مطوي من اليسار إلى اليمين وهي محفوظة بحالة جيدة. وتحوي عددًا كبيرًا من النقوش الهيروغليفية، وتشكل المخطوطة الهيروغليفية أهمية كبيرة بسبب بقائها المدهش وكبر حجمها[٤].

ووصف جومار رموزا مثيرة للانتباه من وجهة نظره، فقد شعر بأهمية تلك الرموز التي تعني الكثير بالنسبة للمصري القديم، ومن خلالها استطاع أن يعقد مقارنة بين كلٍّ من المصري القديم والمصري المعاصر.

مقابر الملوك بقلم كوستاز

لقد شاهد كوستاز عددًا من الفتحات بالجبل في المنطقة الغربية بطيبة علم من خلالها أنها مقابر للمصريين القدماء عرفت باسم "بيبان الملوك".

---

(٢) الأواني الكانوبية كانت بها أحشاء المتوفي وتأخذ أربعة أشكال لمزيد من التفصيل انظر:

Richard Willkinson. Op. cit., p. 88.

(3) Benoist. Méchin . Op. cit., p. 177.

(4) Jomard. Op. cit., p. 135.

أشار كوستاز أن وادي الملوك ينقسم إلى فرعين: الأول تجاه الشمال الشرقي والآخر الأكثر أهمية تجاه الجنوب الغربي الذي ينقسم إلى عدة أفرع ثانوية. دون وجود أي أثر للخضرة[١].

ولقد شارك كوستاز في مهمَّته كل من المهندسين كورابوف وسان جينس. كان هذا في سبتمبر ١٧٩٩[٢].

ويشيد كوستاز بجهود جولوا وفيلير في كشف مقبرة لم يصل إليها أحد قبل تواجدهم بمصر، وأرجع ذلك إلى طول مدة إقامتهم بطيبة والتي وصلت لشهور عديدة، ووصف كوستاز المقابر على أنه تم تشييدها على مسطح مُستوٍ[٣].

وقدم كوستاز وصفًا معماريًا وكذلك فنيًا لكل المقابر التى دخلها. وقد أثارت انتباهه المقبرة الشرقية الخامسة وكذلك المقبرة الغربية الخامسة وأيضًا المقبرة الغربية الأولى والتي عرفت بالمقبرة الفلكية.

ويرى كوستاز أن مقابر الملوك تحتل المرتبة الأولى بين آثار طيبة كلها فقد أعطت صورة رائعة على عبقرية المصري القديم في الفن والعمارة، وأعطت أيضًا العديد من المعلومات عن كل ما هو متعلق بحياة المصري القديم[٤].

دندرة

وقد قدم لها جولوا وفيلير الوصف السابق الإشارة إليه، وجدير بالذكر إشارة كل من جولوا وفيلير إلى إعجاب الجيش الشديد بآثار دندرة بصورة جعلتهم يتركون كل شيء ويسرعون لرؤية هذه الآثار. بصورة جعلتهم يتحدثون عن آثار دندرة لمدة طويلة دون أن ينسوها قط.

أشارا أيضًا إلى وجود معبد صغير يسمى تيفونيوم (بيت الولادة) جهة الغرب. وقد أشار فيلير أن الرحلة الأولى لدندرة لم تُرْضِ فضوله ولم تكن كافية وأراد أن

---

(1) Costaz . Description des Tombeaux des Rois . Tome Troiseme, p. 210.

(2) Ibid., p. 212.

(3) Ibid., p. 225.

(4) .Ibid., p. 246

يذهب إليها بمفرده، ولكن بيلار منعه من الذهاب بدون حراسة من الجنود على الرغم من أنه كان يتمنى الذهاب مثل صديق دوبوا أنيميه(١).

وقد شاهدوا في ممرات المعبد عددًا من بقايا لفائف ومومياوات من الأنقاض، مما جعلهم يرجحون أنها تستخدم كمقابر أيضًا، وتم تقديم وصف دقيق للمعبد الكبير الذي يأخذ شكل حرف T ويتألف من جزأين منفصلين تمامًا. وانبهروا برءوس حتحور التي تكون تيجان الأعمدة(٢).

أطلال قفط بقلم كل من جولوا وفيلير

غادر كلا المهندسين قنا في الثامن من شهر يونيه ومرا بقرية قفط حيث يوجد بها أنقاض معبدين يرجعان للعصور القديمة(٣).

أطلال قوص (أبوليبوبوليس بادفا) بقلم جولوا وفيلير

وصلا إلى قوص في اليوم العاشر من يونيه في وسط الميدان وشاهدا الأثر المصري، وهو عبارة عن باب مثل الباب الموجود شمال دندرة وهو مردوم حتى عتبه. وهو محاط بتلال من القمامة. ورجحوا أن يكون هذا الباب لمعبد ولكنه دمر تمامًا(٤). وتم العثور بها أيضًا على مقصورة من الجرانيت مثل التي كانت توضع في قدس الأقداس، وبعد تفقد قوص تم مغادرتها في ١١ يونيه في اتجاه طيبة التي سبق وصفها.

معبد أرمنت (هيرمونثيس) بقلم جومار

يشير جومار إلى إعجابه بهذا المعبد الذي يحتفظ بالعديد من معالمه، والذي يتجه نحو الغرب تقريبًا، إلا أن الجزء الداخلي لازال يحتفظ بنقوشه وكتاباته

---

(1) Jollois et De Villiers. Antiquities De Dandara Tome Troisieme . P. 281.

(2) Ibid., p. 283- 285.

(3) Jollois et De Villiers. Notice sur le Ruines de Qeft et de Qous, p. 409.

(4) Ibid., p. 411- 412.

على الرغم من تهدم أعمدته، وعلى الرغم من ذلك فهو يعطي صورة عن "تيفونيوم" أو المعبد الصغير(١).

وقد قام بتحديد Bبعاد كل أجزاء المعبد بدقة بالغة حتى المتهدم منه، وذكر النقوش التي تزين جدران المعبد.

ووصف حوض أرمنت وأشار إلى وجود بركة وسط هذا الحوض، أشار أيضًا إلى وجود مكان كنيسة ولكنها مبنية بمواد مأخوذة من الآثار الفرعونية.

قرية طود "بأرمنت" بقلم كوستاز

يقول كوستاز إنهم في طريقهم لإسنا في ٢٢ سبتمبر ١٧٩٩م وصلوا لقرية الطود يوم ٢٣ سبتمبر صباحًا. وأشار أن بها معبدًا مردوما تقريبًا ولا يظهر منه غير جزء بسيط شاهدوا فيه النقوش الهيروغليفية المختلفة(٢).

إسنا بقلم كل من جولوا وفيلير

لقد كانا شديدي الإعجاب بمعبد إسنا وقدموا له وصفًا رائعًا، ورفعا أبعاد واتجاهات المعبد حتى ارتفاعات وأبعاد الأعمدة، على الرغم من قصر الوقت الذي مكثاه بإسنا نتيجة للحرب الكائنة مع مراد بك، أشارا أيضًا إلى وجود بقايا لمعبد صغير بإسنا ولكنه أقل أهمية من المعبد الكبير(٣).

وفي الجانب الشرقي على الضفة اليمنى للنيل توجد بقايا لمعبد صغير. وأشار كل من جولوا وفيلير إلى وجود دير جنوب المدينة وكنيسة جرى فيهما مذبحة في عصر الاضطهاد الدينى أثناء حكم الإمبراطور الرومانى دقلديانوس؛ ولذا تُعدُّ مكانًا يحج إليه الكثيرون(٤).

---

(1) .E. Jomard.Deociption de Armant.Tome Quatrieme. P.105.

(2) Costaz, Description de Tod á Armant Tome qauatriéme , P. 110.

(3) Jollois&Villiers, Op.cit., p. 155.

(4) Ibid., p.156- 157.

الكاب بقلم سانت جينيس كبير مهندسي الطرق والكباري

أشار جينس إلى وجود بقايا شمال الكاب، وفي الطريق من قرية الكاب يوجد معبد صغير وفتحات في الجبل على ما يبدو أنها مقابر القدماء، وأيضًا مثل أرمنت يوجد بقايا حوض مربع أمام المعبد وبقايا تمثالين.

ودخل المقابر وأعجب بالرسوم التي تمثل مظاهر الحياة الاجتماعية، التى دفعت فضول بقية العلماء إلى النزوح إلى هذه المقابر ورسم صور لها مثل كوستاز[١].

إدفو بقلم جومار

أشار جومار إلى وجود معبدين بإدفو وفي حالة جيدة أطلق على المعبد الشمالي المعبد الكبير وعلى الآخر المعبد الصغير. فالمعبد الكبير يقع ناحية الشمال الغربي. وأشار جومار أن هناك أفرادًا يسكنون داخل أروقة المعبد وبعضها عبارة عن حظيرة للحيوانات[٢].

وجدت في حجرات المعبد بعض اللفائف وبقايا عظام موتى، وأشار جومار أن هناك نوافذ بقاعات المعبد استخدمها السكان لإلقاء مخلفاتهم ومخلفات الإسطبلات حتى ملأت المكان فأصبحت المخارج مسدودة تمامًا[٣].

وأشار إلى المعبد الصغير الموجود بالقرب من المعبد الكبير بأنه مغطى بالرديم من الخارج، وأشار أن المباني الصغيرة الملحقة بالمعابد مثل إدفو ودندرة لها تصميم ثابت يطلق عليها تيفونيوم أو "بيت الولادة "[٤].

---

(1) Saint Genise Description de EL kab. P. 180.

(2) Jomard. La Ville de Edfu. Tome Cinqime. p.46.

(3) Ibid., p. 105.

(4) Ibid., p.60.

لمزيد من المعلومات عن بيت الولادة انظر:

- Ien Shaw &Paul. Nicholson. British Museum. Cairo. 1996. p. 61.

كوم أمبو بقلم كل من شابرول وجومار

تحدثا عن كوم أمبو وأشارا آن بها معبدين أحدهما كبير والآخر صغير، وقدما وصفا معماريًا وفنيًا للمعبد الكبير، أما عن المعبد الصغير والذي يقع شمال غرب المعبد الكبير فإنه مهدم ووضع المعبد الكبير أفضل من المعبد الصغير(١).

جزيرة إلفنتين بقلم جومار

وتتميز بمرقعها الرائع وسط النهر، يشير جومار أن بها معبدًا صغيرًا ولكن في حالة جيدة وأطلق عليه معبد الجنوب، وأطلال معبد متهدم أطلق عليه معبد الشمال(٢).

وأشار أن المعبد الجنوبي يقع عند منتصف انحدار التل، وفوق الأرض المحيطة به كتل جرانيتية ربما تمثل بقايا بناء أثري آخر، وقدم وصفًا للنقوش الفريدة التي تزين جدران المعبد، وفعل نفس الشيء مع المعبد الشمالي(٣).

معبد أسوان بقلم جومار

أشار أنه على منحدر المرتفع وعلى بعد مائة وعشرة أمتار شرق آخر بيت من بيوت المدينة يوجد معبد مغطى بالرديم، وهو عبارة عن رواق من أربعة أعمدة وبعض الأعمدة المهدمة الأخرى(٤).

جزيرة فيلة بقلم لانسرت

تبعد جزيرة فيلة عن أسوان بقرابة ١٠ كم وبها عدد من الآثار القديمة مثل المعبد الجنوبي والذي أمامه مسلتان واحدة منهما فقط تحتل المكان الحالي، وهناك نقوش للرحالة وأيضًا بعض علماء الحملة على جدران ذلك المعبد(٥).

(1) Chabrol et Jomard, Description de Kom Ombo, p.101.

(2) Jomard, la Ville de Elephantine, P.160.

(3) Ibid., p.165.

(4) Ibid., p.170.

(5) Tome Douxieme, P. 45. Michel Ange Lancret, Description de la Island de Philae.

وأشار إلى وجود كتلة جرانيتية مغطاة بالنقوش في قدس الأقداس، وأطلق على المعبد الكبير معبد أوزوريس، وأشار أن المعبد الصغير إما أن يكون مكرسًا لإيزيس أو حورس.

وتحتل بعض المعابد الجزء الجنوبي الغربي للجزيرة، ويشير لانسر Lancret أنهم وجدوا مقاومة شديدة من أهالي جزيرة فيلة جعلتهم يهددون بتدمير المعابد التي تجعل الفرنسيين يحتلون جزيرتهم(١).

ووصف المعبد الكبير والنقوش التي تحويها جدرانه، وتحدث عن المعبد الغربي وأيضًا المبنى الشرقي والمعبد الصغير والمجاور له.

وهناك آخرون ساهموا في المسح الأثري ورسم بورتريهات لأعضاء الحملة على الصعيد، أمثال:

١ ـ Andre Dutertre والذي كان له دور كبير في رفع المقاسات والأبعاد للمعابد(٢).

٢ ـ Charles Louis Balzac وهو معماري ورسام له رسوم عديدة عن فيلة ومعبد الكرنك.

٣ ـ Edme Francois Jomard وهو مكتشف لآثار الصعيد وخاصة فيلة وطيبة ومعبد الكرنك ووادي الملوك، والذي تمنى أن يكون على دراية باللغة الهيروغليفية حتى يستطيع أن يفهم ما تحويه هذه المعابد من أسرار، ولقد كان ذا حماس كبير فلم يضيع وقتًا إلا في الاستكشاف والبحث وبهذا تكون لديه روح عالية مثل باقي أعضاء الحملة على الصعيد تجاه هذه الآثار(٣).

---

(1) Ibid., p.50-53.

(2) Flammarion et al., OP. cit., P. 140.

(3) Ibid., p.148.

٤ ـ الضابط Chalbrand، الذي أصبح جنديًا وأثري فأرسل إلى Desaix وتقابل مع Denon. وكانت مذكراته مليئة بالإعجاب بالآثار المصرية القديمة بالإضافة إلى القطع الفنية التي أخذها من مقابر طيبة معه إلى فرنسا.

٥ ـ Noel Dejuine، وهو ضابط قام برسم بوابات معبد الكرنك ودندرة وأشاد بهما وحاول وصف ما تعنيه اللغة الهيروغليفية[١].

كما قام Le Pére بتقديم دراسة رائعة عن دير المدينة بطيبة[٢].

(ب) جهود تحليلية

- دينون
- جولوا وفيلير
- علماء اللجنتين

دينون

لقد نظر دينون للآثار نظرة فنية بحتة وبهذا اختلف عن كل علماء الحملة الذين قاموا بدراسة الآثار بل وكان له السبق في هذا الاستكشاف لآثار مصر العليا. فقد رسم العديد من الرموز الهيروغليفية واستطاع تحديد الجديد بها.

ولكن النظرة التحليلية لدينون لم تكن كافية، فعلى الرغم من محاولاته في بعض الأوقات أن يؤرخ المعابد التي يرسمها من خلال الطرز الفنية وعناصرها الزخرفية، فإن العملية التحليلية ذاتها قام بها المهندسان جولوا وفيلير وأيضًا علماء اللجنتين المنشورة أبحاثهم في موسوعة وصف مصر.

---

(1) Ibid., p.149- 150.

(٢) هنرى لورنس، المرجع السابق. ص٦٤٠.

جولوا وفيلير

لم يقم المهندسان بمجرد رسم وقياس أبعاد المعابد التي قاما بدراستها بل وحاولا فهم الدور الذي تلعبه كل أجزاء المعبد. فقاما بتحليل الأثر وتسجيل عناصره بدقة سواء معماريًا أم زخرفيًا[١].

وتمت دراسة تأثير الرطوبة على الأحجار وعلى العمارة نفسها، وفسرا الارتفاع العام لوادي النيل فيما يتعلق بانغراس الآثار واختفائها التدريجي تحت تأثير التراكم[٢].

كما أعادا التركيب المعماري لبعض المعابد التي تناثرت أجزاؤها بطريقة مبنية على التحليل وتحديد الأبعاد، فقد قدم المهندسان العديد من البيانات المتعلقة بتفاصيل الأعمدة وتيجانها وعناصر العمارة الأخرى[٣].

ولم يعد جولوا وفيلير مجرد مهندسين، ولكنهما دخلا في عداد المكتشفين ولقد كان لهما السبق في اكتشاف مقبرة الملك أمنحتب الثالث بوادي الملوك. كما قاما باكتشاف مقابر الكاب، واستطاعا أن يعرفا العديد عن عادات المصريين القدماء من خلال النقوش الموجودة بالمقابر كالمتعلقة بالصناعة والزراعة والصيد ومناظر الحياة اليومية. رغم معلوماتهما الضئيلة المتعلقة بالديانة في مصر القديمة[٤].

وفي دراستهما لبرج الفلك الموجود بدندرة أشارا إلى خطأ لوحة دينون في هذا الجزء ووضعا وصفًا دقيقًا له لتتم دراسته بطريقة سليمة، وقدما دراسة عن

---

(١) نفسه، ص٦٤٤.

(2) Ibid., p.646.

على الرغم من أن دينون Denon كانت ملاحظاته التحليلية عن الآثار أقل من تلك الخاصة بالمهندسين جولوا وفيلير Villier & Jollois؛ فإننا لانستطيع أن ننكر أن الفضل الأول له فى اهتمام بونابرت بالآثار نتيجة للوحات التى قدمها عن معابد مصر العليا.

(3) Benoist Méchin, Op. cit., p.180.

(4) Flammarion, et al., Op. Cit., P. 170

المناظر الفلكية الموجودة بمعابد مصر العليا والتي تم من خلالها معرفة الفلك في مصر القديمة[١].

فذكرا أبراج دندرة وأبراج رواق إسنا وأبراج المعبد الكائن بشمال إسنا وسقف إحدى قاعات الكرنك وأول مقبرة للملوك في الغرب. وقد راعيا الدقة في نقلهما لهذه النقوش حتى تتم دراستها بصورة سليمة.

وبصفتهما مهندسين فقد كانا يحددان الأبعاد الخاصة بكل شيء حتى الأعمدة، وقد لاحظا من خلال نقش على الجدران الخارجية لمدينة هابو إحدى المعارك البحرية، علما من خلاله أن المصري القديم كان يفرق بين مياه النهر العذبة والتي يعدُّها مقدسة ومياه البحر المالحة والضارة بالزرع[٢].

وفي تحديد ارتفاع سهل طيبة وتحديدًا في ٢٧ أغسطس ١٧٩٩م قاما بعملية قياس على الشاطئ الأيمن للنهر نتج عنها أن آثار الكرنك انخفضت عن مستوى الأرض بنفس القيمة التي انخفض بها تمثالا ممنون، وتم تحليل المواد المستخدمة في منطقة المعابد والتماثيل وتم عقد مقارنات بين المواد المستخدمة[٣].

ولقد توصلا إلى أن الفناء الأخير في المعبد هو أول جزء يتم بناؤه في المعبد، وأشارا أن مقبرة أوسيمانديس التي سبقت الإشارة إليها أُطلق اسمها على المعبد الخاص برمسيس الثاني والذي أطلق عليه الرامسيوم[٤].

ولقد توصلا لشيء مهم من خلال دراسة المناظر الفلكية، وهو أن العام عند المصري القديم كان مكونًا من ٣٦٥ يومًا.

---

(١) أشار فيلير وجولوا villiers & Jollois في بحثهما عن برج الفلك بدندرة عن الخطأ الذي قدمه دينون، وهو أنه رسم الأسد مرتين مع أنه موجود مرة واحدة فقط.

- Louis Reybaud, Op.cit., vol VI, P.102.

(٢) هنرى لورنس، المرجع السابق، ص٤٤٦.

(3) Villiers, Op.cit., P.165 - 166

(4) Louis Reybaud . Op.cit Vol IV . P.378.

وفرقا بين مقابر الملوك وغيرهم من أفراد الشعب. وكشفا عن الأواني الكانوبية ذات الأشكال الأربعة. ولاحظا الكتابات الهيروغليفية الموجودة على مسلات الأقصر والتي قال عنها الرحالة إنها غير منسقة ولكن بدراستها أثبتا أنها غاية في التنسيق. وتوصلا إلى أن الملوك كانوا يجعلون آلهتهم بين المعابد ويكرمون أجدادهم بإحياء قصورهم القديمة(١).

علماء اللجنتين

١ - جومار

أكمل جومار الأجزاء التي نقصت من معبد أبيدوس في لوحاته حتى يعطي القارئ صورة كاملة عن تخطيط المعبد، وأطلق عليه معبد ممنون واعتقد أنه أحد الأمراء القدامى الذي أسس أبيدوس. وحاول البحث عن أصل مدينة أبيدوس التي لُقِّبت بطيبة الثانية والتي قال عنها إن هذا اللقب مستمد من الأحباش الذين كانوا يعيشون بالمنطقة(٢).

وفي دراسته للمقابر الصخرية بطيبة، قدم دراسة عن طبوغرافيا المكان والصعوبات الموجودة به. واستطاع من خلال دراسته للمقابر أن يشير إلى خطة الفنان المصري في زخرفة المقابر والتي كانت تقوم على تقسيم واجهات الجدران إلى لوحات مستطيلة الشكل تبدأ من الأرض إلى السقف. ويبدءون في رسم الخانات للأشكال التي يريدونها. واستطاع أن يشير إلى الموضوعات المصورة على جدران المقابر(٣).

واستطاع تقسيم هذه المشاهد إلى عائلية ودينية. وتحدث عن حب المصري القديم للفنون بأنواعها وخاصة الموسيقى، وتحدث عن صيد الحيوانات. وتحدث عن الأزياء التي استطاع معرفتها من خلال المناظر الموجودة بالمقابر.

---

(١) لقد أشرنا إلى دراستي جومار وكوستاز Jomard & Costaz للتفرقة بين مقابر الأفراد من مقابر الملوك والتي استطاع الفرنسيون من خلالها التفرقة بينهما.

(٢) أشرنا سابقا أن ممنون هو الاسم اليوناني الذي أطلق على تمثال أمنحتب الثالث ولكن لم يبن أبيدوس. وهذا الخطأ وقع فيه جومار Jomard لعدم درايته باللغة المصرية القديمة.

(3) Charles Roux. Op.cit.,335.

تحدث جومار أيضًا في هذا البحث عن طريقة دفن الميت، الذي كان يغلف بالعديد من الأقنعة المصنوعة من القماش والتي تغطي جميع أجزاء الجسد حتى الأيدي والأقدام وطبق ذلك على الذراع التي أخذها من مومياء في إحدى المقابر، والتي استنتج منها أن الأجسام كانت توضع في مادة القار الحمراء عدة مرات[١].

وعقد جومار مقارنة بين مومياوات طيبة وتلك الخاصة بمنف، والتي قال إن وضعها وحالتها أفضل من تلك الموجودة بمنف والتي نقلت لأوروبا بواسطة الرحالة الذين زاروا مصر قبل الحملة، ولاحظ في العديد من المومياوات وخاصة في معبد مدينة هابو نوعًا من التراب يذوب في النار ويشتعل، وأشار أنه ربما تنتج من تحلل اللحم وخلطه بالقار[٢].

واستنتج أيضًا طريقة دفن الحيوانات والتي كان يستخدم بها القار والنطرون أيضًا للتحنيط، وأشار أن الحيوانات الضخمة يتم تجميع أجزائها ثم تغلف بالكامل بلفائف من القماش. مع العلم بوجود بعض المومياوات الكاملة وخاصة الخاصة بابن آوى[٣].

وبهذا يكون جومار أول من تحدث عن عملية التحنيط وكشف عن أسرارها قبل بداية علم المصريات المستقل بذاته وهذا يدل على أنه مفكر، فقد كان مكتشف ومحللاً في نفس الوقت شأنه شأن باقي علماء الحملة.

فقد أشار إلى أربعة الأواني الكانوبية والتي لاحظ أنها تظهر دائمًا بنفس الترتيب: الشكل الأول آدمي ثم قرد ثم حيوان ابن آوى ثم صقر، كما لاحظ تواجد قناع الثور والكبش والتي ربما ترجع للكهنة[٤].

---

(1) J. J. E. ROY, Op.cit., p.144.

(2) Jomard, Observations historiqyes sur Le Hypogée, Coup D'oeil General, p.85.

(3) Ibid., p.87.

- ابن آوى هو الإله أوبيس، وللمزيد من المعلومات انظر:

-.Richard Wilkinson, Op. cit., p. 187.

(4) Jomard, Op.cit., p.90 - 91.

ولقد أشار لشيء مهم، فقد قال إنه كان من الشائع أن أول أبجدية تنسب للفينيقيين ولكن بعد رؤيته لعدد البرديات الضخم التي وجدها في المقابر، طالب المصريين بأن يتمسكوا بحقهم في أنهم أول من وضع الأبجديات، واستنتج أيضًا أن البرديات تُقرأ من اليمين لليسار، وأن هناك تشابهًا كبيرًا بين المخطوطات التي تم العثور عليها[1].

وأشار أن المصري القديم هو أول من تحدث عن خلود روح الإنسان، وأنها تسكن جسم حيوان بعد تحلل جسم الإنسان مباشرة، وعقد مقارنة بين عادات سكان مصر القدماء والمعاصرين، لاحظ من خلالها أن كليهما يهتم بالمقابر ويعتني بها أكثر من اعتنائه بالمنازل[2].

وأن استمرار استخدام المنتجات الطبيعية لازال موجودًا، وحتى تسريحة الشعر، فالرجال كانوا ولا زالوا يحلقون رءوسهم، والنساء لهم ضفائر تسدل على الأكتاف. وفي جميع أبحاث جومار كان يحاول البحث دائمًا عن أصل تسمية المكان وجغرافيته والدراسات السابقة التي تناولت المكان ومدى صحته، وهذا أعطى مصداقية شديدة لجميع أبحاثه التي تناولت وصف بعض آثار مصر العليا.

وقام بدراسة النباتات المصرية القديمة والتي توجد في النقوش المختلفة وحاول تقريبها من بعض النباتات الموجودة بها حاليًا، وفي الديانة أشاد أن الثور استُخدم ليشير إلى الشمس وذلك باستعانته بما كتبه كل من هيرودوت وإسترابون.

---

(1) Jomard, Op. cit., p.135.

- قد يكون جومار Jomard مخطئًا فى تلك النقطة حيث إن درجة اهتمام المصرى المعاصر بالمقابر لم تصل لتلك المرحلة التى وصل إليها المصرى القديم سواء معماريًا أم فنيا.

(2) Ibid., p.161.

من أروع الدراسات هى تلك الدراسة التى قدمها جومار تحت عنوان:

- Ressemblance Entre les Usages des Anciens et des Modernes Habitans d' Egypt, Tome Douxieme.

لانسرت

لقد لاحظ لانسرت أن أراضي الصعيد تكونت قبل أراضي الدلتا وأن عاصمة مصر القديمة منف قد تكونت بعد طيبة وأن آثار الصعيد أقدم من آثار الدلتا لذا فقد رأى أنه من الأوقع تقديم دراسة عن آثار الصعيد قبل دراسة آثار الدلتا(١).

ولم يتوان لانسرت Lancert أيضًا في أبحاثه في أن يرفع الأبعاد ويحدد الارتفاعات الخاصة بالمعابد.

روزييه

وهو كبير مهندسي المناجم وقدم دراسة رائعة عن طرق استغلال المصري القديم للأحجار وكيفية الاستفادة منها وطبيعة تلك الأحجار، وعن المقابر ووصفها وكانت دراسته مهمة للغاية في توضيح نوعية الأحجار المستخدمة في الأبنية القديمة المختلفة(٢).

شابرول

وأشار شابرول في بحثه مع جومار عن كوم أمبو أن اجتياح الرمال وفيضان النيل قد ساهما بشكل كبير في ضياع معالم المنطقة الأثرية، وأيضًا النيران التي أتلفت المباني المجاورة للمعبدين.

واعتقد أيضًا أن التمساح رمز لظهور الشمس وغيابها لأنه يطفو على سطح المياه بظهور الشمس ويغوص بغيابها - وأن مجرد ظهوره في المياه يعني أنها عذبة لأنه لا يعيش إلا في المياه العذبة(٣).

---

(1) Lancert, Op.cit., p. 104.

في تلك النقطة أخطأ لانسرت لأن منف هي عاصمة الدولة القديمة وطيبة عاصمة الدولة الحديثة وبهذا تكون آثار منف أقدم من آثار الصعيد.

(2) De Roziére, Description des Carriéres Qui ont Fourni les Matérieux les Monuments Enciens avec des Observations sur la Natures at l' Emploi, de au Materiaux, Tome dieuxieme, p. 423.

(3) Chabrol at Jomard, Op. cit., p.120.

كوستاز

الذي قدم دراسة تحليلية رائعة عن طرق دفن القدماء المصريين وخاصة الملوك منهم وطرق وضعهم في المقابر، واستنتج من النقوش الموجودة أن المصري القديم كان مولعًا بالموسيقى واستخدم القيثارة بكثرة، وأن المشاهد الدينية كانت هي التي تسيطر على مقابر الملوك(١).

واعتبر كوستاز أن الجعران هو شعار الحياة والتناسل، وقد لحظ ذلك من خلال زيارته لمقبرة أطلق عليها مقبرة التناسل، ووجد بها الجعران بكثرة والذي نقش عليه العديد من النقوش الهيروغليفية، واستطاع من خلال ملاحظته لتواجد الجعران بكثرة في المقابر الملكية أن يشير أنه ربما كان شعارًا للحياة في مصر القديمة(٢).

سانت جينس

وهو كبير مهندسي الطرق والكباري والسابق الإشارة إلى بحثه في أخميم، فقد لحظ أن مدن مصر القديمة كانت تنشأ في مستوى أعلى من منسوب الفيضان نتيجة لهجر بعض المدن لفترة طويلة. فكان مستوى النهر يرتفع بفعل الترسبات لتصبح الأرض أعلى من مستوى الوادي(٣).

أشار أن الثعبان كان رمزًا للإله سنيف أو القدوة الحسنة، وأشار أنه يجب عدم الخلط بين أخميم البلد وبين الملك الذي تحدث عنه ديودور الصقلي وهو خيميس خوفو.

لوبير

قدم لوبير تخطيطًا هندسيًا مقابلاً لمقطع طولي منشور في وصف مصر يوضح التركيب الإجمالي لمعبد آمون رع في الكرنك، إلا أنه لا تزال أجزاء كبيرة

---

(1) Costaz. Op. cit., p. 225.

(٢) الجعران هو رمز الإله خبر إله الوجود والخلق عند المصرى القديم.

(3) Saint Genise. Op. cit, P.140.

من المعبد كانت مطمورة: لذا لم تظهر في تخطيط لوبير مثل الرواق الموجود في نهاية بهو الأعمدة الغربي[1].

وبهذا يكون علماء الحملة قد قاموا بتقديم أنسب الملاحظات عن الآثار الكائنة بمصر العليا وتحليلها وتقسيمها بدقة وعناية، فلم يتم الاكتفاء بتسجيل البناء المعماري للأثر، بل كان لديهم رغبة عارمة في التحليل والتفسير، ووضع جزء كبير من النصوص للأوصاف والافتراضات.

الدليل على ذلك ملاحظة دقيقة لجولوا وفيلير، فقد لاحظا أن بناء بوابة معبد الكرنك الضخمة قد ظل غير مكتمل، والبرهان على ذلك خشونة الجدران التي احتفظت بنتوءات بارزة مهمة[2].

وبهذا يكون كشف العمائر الفرعونية الموجودة بمصر العليا نتاج بحث دقيق ناجم من تأمل فكرى عميق قام به علماء الحملة.

آثار أشار إليها علماء الحملة ولم يذكرها الرحالة السابقون

لقد استعان علماء الحملة سواء قبل مجيئهم إلى مصر أم بعد مجيئهم إليها بكتابات الرحالة السابقين عن آثار مصر العليا، فقد كان العلماء يسيرون على خطى الرحالة وتبعًا للخرائط التي وضعوها عن المناطق الأثرية.

وترجع الدقة التي اتسمت بها دراسات علماء الحملة إلى الوقت الذي قضوه في مصر العليا على عكس الرحالة الذي كان يمر سريعًا دون محاولة استكشاف شيء جديد: لذا فقد كانت هناك أشياء أشار إليها علماء الحملة ولم يُشر إليها الرحالة.

وفي عرض الفصل الأول لهذه الدراسة علمنا أن الرحالة قد جابوا أنحاء مصر العليا كلها حتى أقصى الجنوب؛ لذا فقد تعرضوا لكل الآثار التي عرض لها

---

(١) هنرى لورنس، المرجع السابق، ص٦٥١.

(٢) نفسه، ص٦٥٢.

علماء الحملة باستثناء القليل، أيضًا، افتقد وصف معظم الرحالة للتحليل الذي تمتع به علماء الحملة ومحاولة ربط المعابد ببعضها لوضع التأريخ السليم لكل منها.

علمنا أن الرحالة تعرضوا لوصف معبد الكرنك ووادي الملوك وتمثالَيْ ممنون والرامسيوم والقرنة ومعبد الأقصر بطيبة ومعبد دندرة وإسنا وأخميم وأبيدوس وأسوان وإدفو وفيلة وأرمنت.

حتي برج الفلك بدندرة الذي قال عنه علماء الحملة إنه اكتشاف جديد قد تحدث عنه الرحالة السابقون. بل وتحدثوا عن الفلك في مصر القديمة وتحدثوا أيضًا عن أدوات الحرب وعن طرق كتابة اللغة الهيروغليفية، وعن تفاصيل معركة قادش الموجودة بمعبد الكرنك.

حتى نقوش وادي الملوك ذُكرت بواسطة الرحالة السابقين، ومقبرة رمسيس الثاني التي دخلها الرحالة بروس لأول مرة وعرفت باسمه، وسنرى من خلال الصفحات القادمة الجديد والمختلف الذي أضافه علماء الحملة عن هذه الآثار.

١ ـ أبيدوس

تحدث الرحالة عن بربا أبيدوس ولكنهم لم يذكروا المبنى الملكي الذي عرف أنه ممنيوم. ولم يشيروا إلى أنه معبد شُيد لعبادة الإلهة آوزوريس، وفيما يلي تعليق جومار الذي قام بدراسة أبيدوس على الرحالة السابقين الذين قدموا وصفًا لها "لقد أطلق جرانجر عليها اسم بربا. بينما أطلق على القرية الواقعة في الشمال اسم الخربة وقد تجاهله تماما، مما قد يؤدي إلى تضليل الماضي لأن المصريين يطلقون على أي أثر قديم اسم البربا، ولم يتحدث أيضًا عن قرية الخربة الكائنة في الجنوب والتي تحدث عنها سيكارد ولكنه لم يذكر الشمالية. أما وصف سفاري فقد جاء مخالفًا لحقيقة بناء معبد أبيدوس"[1].

---

(١) كل المقارنات مبنية على رجوع الباحثة إلى وصف الرحالة وأبحاث العلماء السابق الإشارة لها عن تلك المناطق الأثرية.

لم يتطرق الرحالة إلى وصف منطقة شونة الزبيب التي وصفها جومار في بحثه، وجدير بالذكر أن وصف علماء الحملة كان متبوعًا بالقياس الدقيق للأبعاد والارتفاع ومقياس الرسم على عكس لوحات الرحالة التي جاءت أقرب ما يكون للرسم الكاريكاتيري.

٢ - أخميم

لقد تحدث الرحالة عن بربا أخميم، ولكنهم لم يوضحوا مكانها بالتحديد فهي تمتد حول المدينة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وهو شيء لم يحدده الرحالة في وصفهم لأخميم، الذي كان مفتقدًا لبعض النقوش التي تحدث عنها علماء الحملة[١].

٣ - دندرة

ولقد استفدنا من دراسة جولوا وفيلير عن دندرة حيث تعرضا للفرق بين ما كتباه وما استعانا به من الرحالة، وأيضًا الجديد الذي أضافاه في هذا الشأن.

فيشيران مثلاً على اعتقاد خاطئ من سيكارد الذي أشار أن معبد دندرة به نوافذ بعدد أيام السنة تسمح بدخول الشمس على التوالي.

أما عن لوقا فقد استهجن الرسم الذي قدمه عن المعبد والذي هو أقرب ما يكون للرسم الكاريكاتيري وأنه منفذ بلا أبعاد ولا مقاسات، وقد أشار إلى مبنيين عدَّهما مخفر الحرس ولكنهما هما التيفونيوم السابق الإشارة إليه. كما أشار لوقا أن المعبد مبنى من الجرانيت في حين أنه مبنى من الحجر الرمان باستثناء الكتلتين الموجودتين لتتويج باب مدخل الرواق[٢].

---

(١) أدق من كتب عن بربا أخميم من الرحالة هو Norden في:

- Travels in Egypt and Nubia, London, vol II, MDCCLVII, p. 38.

(2) Lucas, Voyage de Sieur Lucas, Tome III, Paris, 1724, p. 150.

أما عن جرانجر. فلم يبذل جهدًا في الدخول للأجزاء الداخلية للمعبد واكتفى فقط بوصف ما يشاهده عيانًا، ولم يقدم لها أي رسوم تذكر.

وبوكوك فلم يتحدث إلا بالاختصار الشديد عن معبد دندرة فقد وصفه في سطور قليلة على الرغم من روعة البناء: مما جعلهم ينبهرون عند رؤيتهم لهذا المعبد الذي ظلمه الكثيرون في وصفه.

نوردن، على الرغم من أنه قدم لوحات للمعبد فإنها لا تعطي لهذا المبنى الرائع حقه في الوصف والشرح والتعليق، وهما يريان أن الرحالة بريبه لو كان قد توافر له الوقت الكافي مثلهما لاستطاع أن يقدم وصفًا دقيقًا عن أبعاد المعبد أما بروك آخر الرحالة الذين زاروا مصر قبل الحملة، فلم يصف سوى المعبد الكبير وأيضًا يفتقد وصفه للدقة الكافية واكتفى وصفه برءوس تيجان رواق المعبد فقط دون الدخول في التفاصيل لا للعمارة ولا للنقوش.

ومن هذا اتضح أن المبنى الصغير الملحق بالمعبد والمسمى تيفونيوم لم يرد ذكره في كتابات الرحالة، وبهذا يكون السبق للفرنسيين في اكتشاف هذا الجزء المهم من المعبد بالإضافة إلى الأخطاء السابقة والتي وقع بها الرحالة.

من جهة أخرى أراد كل من جولوا وفيلير أن يصفا أخطاء الرحالة ليوضحا لنا تميزهما :لذا لم يشيرا أن أيًا من الرحالة قد قدم وصفًا لبرج الفلك بدندرة وإن كان قد افتقد وصف الرحالة للدقة والوضوح التي وضعها جولوا وفيلير.

٤ . قفط وقوص

إن كانت قِفْط ومعبدها وأطلالها السابق الإشارة لها، لم يرد ذكر لها في كتابات الرحالة ولكن قوص قد ذكرت في رحلة لوقا الذي وصفها بدقة وأشار إلى الكتابات اليونانية التي وجدت بالباب بل ونقلها الفرنسيون من كتاباته(١).

---

(1) Lucas, Op.cit., p.360.

وعلى الرغم من أن الرحالة قد تحدثوا عن مقابر الملوك قبل الحملة فإنهم لم يحللوا العناصر الزخرفية التي وجدت بالمقابر، ولم يتحدثوا عن طرق الدفن، أي أن كتاباتهم جاءت وصفية فقط.

وتحدث الرحالة عن المسلات وروعتها دون التطرق والتعجب من كيفية بناء هذه المسلات الضخمة.

وادي الملوك بطيبة

لقد كان سيكارد أول من توجه لوادي الملوك وذكر أن به عشر مقابر. وعلى الرغم من وصفه للألوان الرائعة التي تحويها المقابر فإنه افتقد الدقة في تحديد موقعها بالضبط. أما عن بوكوك فقد لاحظ علامات ١٨ مقبرة. على الرغم من أنه حاليًا يوجد تسع مقابر فقط من الممكن الدخول إليها(١).

والمقابر التي اكتشفها بوكوك وضعها على المخطط الخاص بها وهي حاليًا مقبرة كل من رمسيس السابع والرابع والثاني والخامس ومرنبتاح وتاوسرت وسيتى الأول ورمسيس الثالث وأمينميس ورمسيس العاشر والتاسع والحادي عشر وأشار إلى رمسيس الثالث والثاني(٢).

ولا تنسَ المشاركة المتميزة لبروك الذي كشف عن مقبرة رمسيس الثالث على الرغم من أنها كانت مفتوحة؛ ولكن للملاحظات الدقيقة لبروك عُرفت المقبرة باسمه.

أما براون فقد ترك توقيعه في مقبرة رمسيس الثالث، وهو الذي وضع وصفًا وطعن في وصف بوكوك وبروك لمقابر وادي الملوك التي رأى أن عناصرها الزخرفية أكثر من رائعة(٣).

---

(1) Nicholas Reeves, Richard H. Willkinson, The Complete Valley of the Kings. Tombs and Treasures of Egypt's Greatest Pharoas, Cairo, 2005, p. 45-55.

(2) Ibid., p.55.

(3) Ibid., p.140.

وتعد الخريطة التي وضعها كل من جولوا وفيلير لوادي الملوك هي المسح الأثري الكامل والمختلف عن كتابات بوكوك لكنه مصحوب بالدقة والدراسة.

وكشفا عن مقبرة الملك أمنحتب الثالث التي لم تكن معروفة. ووجدا بعض الأشياء التي كانت موجودة بالمقبرة وتم الكشف عن بعضها في لوحاتهما المنشورة في وصف مصر.

واستفاد الفرنسيون من كتابات جرانجر في دراستهم لمدينة هابو، حيث أن هناك جزءًا من الحجر كان ملقى على الأرض ولم يستطيعوا أن يحددوا ماهية هذا الجزء إلا بعد الرجوع إلى جرانجر الذي وصفه بأنه تابوت حجري[1].

وفي وصف تمثالَي ممنون وجد العلماء أن هناك رموزًا يحول تلفها دون فك رموزها والتي توجد على أحد التمثالين، لذا لم يجدوا مصدرًا إلا للرحالة بوكوك وهذا يؤكد على أهمية كتابات الرحالة التي أصبحت مكملة للأبحاث الفرنسية.

ولكنهم وجدوا عند الدراسة أن هناك خلطًا للأوراق في كتابات الرحالة ففي أحد الكتابات على التمثالين، يوجد كتابة تشير أن هذا التمثال يُخرج أصواتًا عند الليل في حين أن سيكارد أشار أن هناك ثلاثة تماثيل ضخمة، اثنان عليهما النقوش (ممنون) والثالث هو تمثال الملك ممنون الذي كان يُصدر الأصوات.

لاحظ بوكوك وجود ثلاثة تماثيل عملاقة وصفها بدقة شديدة، وأشار أن أحد الثلاثة يمثل مقبرة توجد بمعبد رمسيس الثاني ذكره بوكوك على أنه ربما يكون تمثال ممنون؛ ولكن رأيه غير مؤكد حيث كان هناك خطأ فادح في كتابات بوكوك: فقد اعتقد بأنه وجد معبد رمسيس الثاني داخل معبد الأقصر ولكن ظهر هذا الخطأ بعد دراسة علماء الحملة للآثار عامة الذين استطاعوا التفرقة بين المعابد وبعضها.

وفي وصف معبد رمسيس الثاني والذي أطلق عليه الرحالة اسم قصر ممنون أمثال نوردن آخر من رسم آثار الصعيد، ورأى الفرنسيون أن هذه الأنقاض طبقًا

---

(1) Clément, Les Francais d'Egypte aux XVII et XVIII Siecles, Cairo, 1960, p. 19.

لكتابات المؤرخين تنتمي لمقبرة تعرف بمقبرة أوسميندياس وتمسكوا باسم قصر ممنون(١).

أما معبد القرنة فقد كشف عنه النقاب علماء الحملة لأول مرة فلم يكن معروفًا، ربما لبساطة التصميم والتي لم تُثِر انتباه أيٍّ من الرحالة بالمقارنة بالمعابد الباقية(٢).

جدير بالذكر أن الرحالة قد ركَّزوا اهتماماتهم في الضفة الغربية لطيبة وأهملوا الشرقية قليلاً، وكما سبق أن أشرنا أن بوكوك اعتقد أن معبد الأقصر هو مقبرة أوسميندياس، بينما جاءت كتاباته عن آثار الضفة الغربية واضحة ورائعة.

أما الأبحاث الفرنسية في المنطقة الشرقية فكانت رائعة، فوضحنا كيف أنهم قاموا بتقديم وصفٍ معماريٍّ وفنيٍّ رائعٍ لمعبد الأقصر وأيضًا معبد الكرنك، والذي سعوا في دراستهم له أن يحللوا جميع العناصر المعمارية وأبعادها وتأثير الرطوبة على كل جزء بها(٣).

حتى في دراسة علماء لآثار أرمنت استعانوا بما كتبه بوكوك في وصفه الدقيق لبعض النقوش التي تَدمَّر بعضها بعد قدوم الحملة إليها، وفي وصف إسنا، كانت هناك أنقاض قد حددها بروك في رحلته إلى مصر العليا ووصف مكانها، واستعان بها علماء الحملة، فعندما رأوا هذه الأنقاض، علموا أنها هي التي كانت مقصودة في رحلة بروك لهذا المعبد(٤).

ومقابر الكاب لم يرد ذكر لها في كتابات الرحالة وبهذا يكون للفرنسيين الفضل في اكتشاف هذا الجزء.

---

(١) المقصود بقصر ممنون هو المعبد الجنائزي لأمنحتب الثالث وهو مختلف عن مقبرة أوسيمندياس المقصود بها معبد الرامسيوم الخاص برمسيس الثاني. لمزيد من المعلومات من المعبدين انظر:
Richard H. Willkinson, The Complete Temples of Ancient Egypt, London, 2000, 184-189.

(2) Jill Kamil, Op. cit., p. 102-103.

(٣) هنرى لورنس، المرجع السابق، ص٦٥١.

(4) John David Wortham, Op. cit., p. 31-33.

معبد إدفو

عندما درس جومار معبد إدفو، تعرض لرحلة بوكوك الذي افترض وجود ستة طوابق من الحجرات، وأشار جومار أنه من المرجح وجود أكثر من أربعة ولكنهم لم يشاهدوا سوى أربعة فقط، ربما بسبب الأنقاض الكائنة بالأجزاء السفلية للمعبد أو أن بوكوك لم يَرَ الطوابق الستة وأخذ بالتماثل فقط[1].

ولقد كانت هناك عدة أخطاء للرحالة في وصف كيفية تصميم تيجان الأعمدة التي كانت موجودة بالمعابد، واستطاع الفرنسيون أن يقوموا بتحديد هذا بدقة بالغة. وبعد الاطِّلاع على كل من كتابات الرحالة وأبحاث علماء الحملة المتعلقة بآثار مصر العليا نستطيع أن نحدد العديد من الحقائق الثابتة المتعلقة بهذا الشأن، وهي:

أن الرحالة هم أول من قدم آثار مصر العليا في كتابات ولوحات مرسومة أفادت علماء الحملة أنفسهم، وعلى الرغم من أن علماء الحملة قاموا بأبحاث واسعة في آثار مصر العليا، فإنهم لم يتجاهلوا كتابات الرحالة، لذا لا يجب على أي دارس للمناطق الأثرية الكائنة بمصر العليا أن يتجاهل كتابات الرحالة السابقين للحملة على مصر.

ومع أن الرحالة قدموا التقارير اللازمة عن الآثار، إلا أن علماء الحملة قاموا بتقديم أبحاث عن آثار مصر العليا، وهناك فرق كبير بين التقارير والأبحاث فالتقارير لا تشمل دراسة بل تقتصر على الوصف فقط، أما الأبحاث فستكون مدعومة بالدراسة كما سبق الإشارة.

لأن علماء الحملة كانوا يقومون باستكشاف مناطق آثار مصر العليا: لذا فقد أشاروا إلى وصف مناطق أثرية لم يُشِرْ إليها الرحالة السابقون وبهذا يكون لهم الفضل في اكتشاف العديد من آثار مصر العليا.

---

(1) Jomard, La Ville de Edfu, Tome Cinquime , p. 57.

الفصل الرابع

آثار مصر العليا

بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر

جلاء الحملة الفرنسية عن مصر

استمر التواجد الفرنسي بمصر قرابة ثلاثة أعوام، أثروا خلالها في عدد كبير من المجالات المصرية المختلفة، واستحدثوا نظمًا جديدة إداريًا واقتصاديًا.

ففي أثناء الحملة على الصعيد بقيادة ديزيه كان يترك قائدًا في كل منطقة حتى يضمن استقرارها، وبذلك يكون قد نجح في السيطرة على إقليم الصعيد كما فعل بونابرت في نظام الحكم العام بمصر(١).

وبعد فتح الصعيد بواسطة ديزيه قسم الصعيد إلى إدارتين، الأولى مركزها أسيوط والثانية مركزها قنا وتولى ديزيه إدارة الأولى وإدارة الثانية كانت للجنرال بليار.

وبعد معاهدة الصلح بين كليبر ومراد بك أصبح مراد بك هو المسئول عن الصعيد الأعلى من جرجا إلى أسوان باستثناء القصير، وبهذا الصلح عين قائدًا رسميًا على هذا الجزء من الصعيد وبعدها قسمت مصر إلى ثمانية أقاليم منها ثلاثة فى الوجه القبلى وهي:

الأول: إقليم طيبة أو قنا ويتبعه جرجا وأسيوط.

الثاني: إقليم المنيا ويتبعه بنى سويف والفيوم.

---

(١) لقد أنشأ بونابرت الديوان العمومي الذي يعني مركزية الحكم بالإضافة إلى عدد من دواوين الأقاليم. لمزيد من المعلومات انظر:

- أندريه ريمون، المصريون والفرنسيون في القاهرة ١٧٩٨ ـ ١٨٠١، ترجمة بشير السباعي، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٨٩ ـ ٩٤.

الثالث: إقليم القاهرة ويضم مديريتَي أطفيح والجيزة من الصعيد[1].

وفي أحد أوامر كليبر في ٢٨ فريكتدور من العام السابع للجمهورية الموافق ١٤ سبتمبر ١٧٩٩، أوله أن القطر المصري سيقسم إلى ثمانية أقاليم أولها طيبة أو قنا وجرجا وأسيوط والمنيا وبنى سويف والفيوم[2].

وأصبح الصعيد مقسمًا إداريًا ما بين الفرنسيين ومراد بك، الفرنسيون يحكمون الجزء الشمالي ومراد بك الصعيد الأعلى الذي حافظ أيضا على نظام الكشوفية واستعمل الكشاف كمساعدين له في إدارة الصعيد[3].

ولقد أثرت الحملة أيضًا على بعض الجوانب الاقتصادية في مصر عامة وفي الصعيد على وجه الخصوص، حيث كان غرضهم هو إقامة مستعمرة فرنسية في مصر قائمة على أساس قوي: لذا فقد اعتنوا بكل شئون مصر بما فيها الاقتصاد. ولكن مما لا شك فيه أن تحطيم الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية وأيضًا بسبب التهديدات المستمرة، التي كانت موجهة من العثمانيين والإنجليز إلى الفرنسيين بالجلاء، كل هذا دعا إلى عدم تحقيق رغبة الفرنسيين في إنشاء مستعمرة قوية قائمة على نظام اقتصادي ناجح[4].

فراجع مهندسو الزراعة الفرنسيون نظام الري المستخدم في الأراضي الزراعية، وأمرهم بإصلاح قنوات الري وتم تعيين لوبير مديرًا للطرق والجسور[5].

وظل نظام الالتزام متبعًا أيضًا في ظل التواجد الفرنسي بمصر. ولكن بونابرت أقر بأن الإدارة الفرنسية هي الوحيدة التي لها إقرار نظام الالتزام القائم بما أنها هي المسيطرة فيما عرف بحق الغزو (Le droit de la conquiete)[6].

---

(١) نبيل السيد الطوخي . صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٢٥.

(2) Estéve, Memorie sur les Finances De L' Egypte, Tome Douxieme, p . 65.

(٣) عبد العزيز سليمان نوار وعبد الله غرباوي وآخرون، مشروع وثائق تاريخ العرب الحديث، وثائق تاريخ الحملة الفرنسية على مصر و الشام، ص ٧٢.

(٤) محمد فهمي لهيطة، المرجع السابق ، ص ٦٦.

(٥) فاطمة الحمراوي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مصر في عهد الحملة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٢٦٦.

(٦) ناصر أحمد إبراهيم، الفرنسيون في صعيد مصر: المواجهة المالية (١٧٩٨ ـ ١٨٠١)، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٣٠.

واستمر الفرنسيون في فرض الضرائب على المصريين، فقد كانوا في حاجة شديدة للأموال لسد حاجة الجنود. مستعملين العنف في جمع تلك الضرائب من المصريين: بل وأحيانًا كانوا يُودِعون مشايخ القرى في السجون لتحصيل الضرائب من أهالي القرى مما كان يتسبب في إثارة الذعر في نفوس الأهالي[١].

وعلى الرغم من اهتمامهم بالزراعة فإنهم أهملوا الصناعة ولم يهتموا سوى بصناعة البارود: بالإضافة إلى صناعة السكر من قصب السكر والتي كانت قائمة في صعيد مصر، ولاهتمامهم بالبارود فقد أصلحوا دار الترسانة التي أنشأها مراد بك لتصنع مختلف آلات الحرب، وتم إنشاء مصنع للبارود في الروضة[٢].

وفي مسألة التجارة حرص الفرنسيون حرصًا شديدًا على ميناء القصير، لأهميته في العملية التجارية لمصر، ولأنه كانت تأتي منه وفود من الحجاز لمساعدة أهالي الصعيد في حربهم ضد الفرنسيين، وأنشَئوا أيضًا جمركًا بأسيوط بعد احتلاهم للصعيد، ولقد عطل هذا الجمرك مسيرة البضائع من الجنوب للشمال[٣].

ولقد أعطى القائد مينو امتيازًا لمراد بك بإعفائه من بعض الرسوم الجمركية بجمرك أسيوط، وشكره مراد بك نتيجة لما فعله معه[٤].

جدير بالذكر بأن الصلة الوطيدة بين كل من الفرنسيين ومراد بك لم تمنع أيًا منهم في أخذ حذره من الآخر.

ولابد من الإشارة إلى أن الحملة الفرنسية قد أحضرت معها إلى مصر كل مظاهر الحضارة، سواء في المطبعة العربية أم في تطوير نظم الاقتصاد والإدارة

---

(١) إبراهيم زكي، الحالة المالية والتطور الحكومي والاجتماعي في عهدي الحملة الفرنسية ومحمد علي ، القاهرة ، بدون تاريخ، ص ٩٥.

(٢) فاطمة الحمراوي، المرجع السابق، ص ٢١٠.

(٣) نفسه، ص٢٣٢.

(٤) خطاب من اللواء سليمان بك أحد أتباع مراد بك إلى دنزلو مؤرخ في ١٢ شوال ١٢١٥، منشور في مشروع وثائق تاريخ العرب الحديث، المرجع السابق، ص ١٠٧.

والفكر المنظم المتمثل في مجموعة العلماء الفرنسيين الذين أنشئُوا المجمع العلمي المصري، والذين جمعوا أبحاثهم في أروع إنتاج فكري عرفته مصر وهو موسوعة وصف مصر[1].

وخلاصة القول، أنه على الرغم من فشل الحملة عسكريًا واقتصاديًا فإنها نجحت في خلق نوع من الانتعاش الفكري وانتشار روح المقاومة الشعبية، أوجده سوء المعاملة من الفرنسيين وحدَّتها، وحَدَت بالمصري إلى بذل كافة الجهود حتى يخلص نفسه من الحكم الغاشم[2].

خروج الفرنسيين من مصر

كان التواجد الفرنسي بمصر محاطًا بمحاصرة كل من الإنجليز والأتراك، وبعد موقعة أبي قير التي سلمت حاميتها في ٢٠ مارس ١٨٠٠ وتمت محاصرتها على مقربة من أطلال كانوب هاجمهم مينو، جدير بالذكر أنه ظل أكثر من أسبوعين لا يفعل شيئًا على الرغم من علمه بنبأ وصول البريطانيين[3].

وفي ٢١ مارس، اشتبك مينو معهم في موقع مدينة كانوب بين أبي قير والإسكندرية وخسر مينو المعركة وتقهقر إلى الإسكندرية، وزحفت قوة إنجليزية تركية مشتركة بقيادة الجنرال هتشنسن والقبطان باشا، وعزلوا جيش بيلار بالقاهرة عن جيش مينو بالإسكندرية، وقتها مات مراد بك بالطاعون وهو في طريقه للقاهرة[4].

وفي ٢٢ يونيه بعث بيلار برسول إلى المعسكر البريطاني، وظلت المفاوضات قائمة لمدة خمسة أيام بعدها وقع بيلار بتسليم القاهرة للإنجليز مع الحفاظ على

---

(١) مشروع وثائق تاريخ العرب الحديث، المرجع السابق ص ١٠٧.
كمال الدين حسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إستانبول، ١٩٩٩، ص ٢٧٢.

(٢) لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل، الخلفية التاريخية والفكر السياسي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٥٩.

(٣) كرستوفر هيرولد . بونابرت في مصر، ترجمه فؤاد أندراوس، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٤) نفسه، ص ٣٩٤.

سلامة المصريين الذين قدموا المساعدات للفرنسيين خلال مدة إقامتهم، وسعى الفرنسيون إلى بيع ممتلكاتهم في القاهرة قبل الجلاء[١].

وإن كان مينو قد اعترض على بيلار لتسليمه القاهرة بتلك السهولة غير المتوقعة، ولكن بيلار كان له أسبابه، فلم يُرِدْ أن يضحي بالجنود في سبيل قضية خاسرة، وترك الفرنسيون بعدها القاهرة حاملين معهم كل ممتلكاتهم، وتركوا الجيزة في ١٥ يوليو وبين ٣١ يوليو و٧ أغسطس تم جلاء جميع الجنود عن مصر ووصلوا إلى فرنسا في أكتوبر[٢].

ولكن القائد مينو بقى في الإسكندرية إلى نهاية أغسطس، محاولاً أن يفعل شيئًا، ولكنه لم يستطع فلم يكن مينو شخصية عسكرية عبقرية مثل كليبر أو بونابرت.

جلاء العلماء عن مصر واعتراض الإنجليز لهم

لقد أشرنا سابقًا أن مينو لم يكن الرجل الذي يهتم بالعلم أو العلماء، ولقد طلب منه العلماء أن يتركهم يعودون إلى فرنسا حاملين معهم نتاج بحثهم العلمي ولكنه رفض، وأمرهم أن يتركوا ما معهم من مذكرات ومخطوطات ورسوم ومجموعات علمية قبل الرحيل. ولكن العلماء رفضوا، واستطاع مينو أن يقنع المهندسين أن يتركوا الخرائط والمذكرات والبحوث المتعلقة بمساحة الأراضي وسطوحها[٣].

وفي ٥ يونيه ١٨٠١، سمح لهم بمغادرة الإسكندرية وخصص السفينة لوازو لنقلهم لفرنسا، وقد كان العلماء يخشون على نتاجهم العلمي من الإنجليز وطلبوا من مينو أن يرسل معهم من يتفاوض مع الإنجليز ليسمح لهم بالمرور ولكن مينو

(1) Darrel Dykstra, the French Occupation of Egypt 1798 - 1801, In Cambridge History. of Egypt, vol II, p. 129.

(2) Ibid., P. 131 - 132.

(٣) محمد فؤاد شكري، عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٦٦٨.

رفض، وتم إعلام لوروي مدير البحرية بأن لوازو ستغادر المنيا في ١٢ يوليو ولكن الرياح عاكست السفينة ولم تستطع المرور إلا في ١٥ يوليو[١].

ولكن فرويت الإنجليز (Cinthia) اعترضت لوازو وأطلقت القنابل عليها فاضطرت إلى التوقف، وتم عرض المسألة على اللورد كيث أمير البحر الإنجليزي فأبحرت السفينتان إلى أبي قير وتم التفاوض بين مندوب فورييه وكيث الذي أصر على عودة السفينة إلى الإسكندرية، ورفعت لوازو العلم الإنجليزى الأمر الذي أثار غضب مينو، وحاولت السفينة المرور إلى عرض البحر ولكن (Cinthia) اعترضتها مرة أخرى[٢].

واضطر فورييه وثيفين والكابتن مورا إلى الذهاب لمفاوضة الإنجليز وزارهم السير سيدني سميث، وتكررت المأساة وأصرت السفينة إلى العودة مرة أخرى[٣].

وفكر مينو في أن يتفاوض مع الإنجليز، لأنه لم يملك شيئا غير ذلك. وفي ٢٦ أغسطس وصل مبعوث من الفرنسيين إلى المعسكر الإنجليزي وعرض الاتفاق على هدنة، ومرت الهدنة وفي ٣٠ أغسطس دخل الجنرال هوب الإسكندرية ليوقع شروط التفاوض، وفي ٢ سبتمبر نزل الأميرال كيث إلى البر ليصدق على المعاهدة[٤].

والشيء المخزي الذي فعله مينو أنه تصرف في مجموعة المقتنيات الأثرية التي يحملها العلماء حصيلة الدراسة التي قام بها هؤلاء العلماء بمصر خلال حملتهم عليها ومن بين هذه الآثار حجر رشيد، الذي رأى مينو أنه ملك خاص به وحده وقد طالب هتشنسن تلك المقتنيات التي مع العلماء بمقتضى المادة السادسة عشرة من معاهدة التسليم[٥].

---

(١) نفسه، ص٦٧٠.
(٢) نفسه، ص٦٧١.
(٣) نفسه، ص٦٧٢.
(٤) كانت تلك الشروط مثل الشروط التي كانت تنص عليها اتفاقية العريش الخاصة بكليبر وأيضاً اتفاقية Billard، كرستوفر هيرولد، المرجع السابق، ص ٤٠٠.
(٥) نفسه، ص٤٠٠.

ورفض العلماء بشدة تسليم نتاجهم العلمي إلى الإنجليز وأصروا على تتبع هذه المقتنيات إلى إنجلترا بدلاً من أخذها منهم، وسمح هتشنسن للعلماء بأخذ مقتنياتهم ولكنه أصر على الاحتفاظ بحجر رشيد، وبالطبع لم يوافق هتشنسن على ترك مقتنيات العلماء إلا بعد أن هددوا بإتلاف ما معهم من مقتنيات خيرًا من تركها للإنجليز[1].

وشيء يدعو للسخرية أن يتنازع الطرفان على شيء ليس ملكًا لهما، فإن حجر رشيد ليس حكرًا لمينو كما أشار، أو من موروثات هتشنسن ليتمسك به، فهو قطعة من أرض مصر، ومصر أولى به مما دونها. ولكن لم يكن هناك من المصريين من يفهم قيمة هذه المقتنيات حتى يحتفظ بها ويمنع خروجها من مصر. جدير بالذكر أن هذا الحجر الآن موجود في المتحف البريطاني.

محمد علي والآثار المصرية

بعد الصراع الذي كان بين الفرنسيين والإنجليز والأتراك والمماليك، من في كل هذه القوى سيحكم مصر، كان للعلماء دور كبير في نفوس الشعب كما سبق الإشارة، وكان هناك رجل ألباني أتى إلى مصر عام ١٨٠١ يسمى محمد علي والذي عرف فيما بعد باسم مؤسس مصر الحديثة، وفعل محمد علي في حكمه لمصر، ما لم يفعله بونابرت[2].

فإن ظهور محمد علي في الحكم جاء لتكوين مصر جديدة قائمة على نظام سياسي واقتصادي قوي، وتولى حكم مصر عام ١٨٠٥، وكانت فترة حكم محمد علي من أقوى وأفضل فترات التاريخ المصري، فقد كان سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا بارعًا[3].

---

(1) Darrel Dykestra, Op. cit., p. 130.

(2) P. J. Vatikiotis. The Modern History of Egypt. London. 1969, p. 17.

(3) Khalid Fahmy, The Era of Muhammad Ali pasha 1805 - 1848, in Cambridge History of Egypt, Vol II, p . 139.

- لمزيد من المعلومات عن عصر محمد علي انظر:

- Afaf Lutfi Al Sayed.-Egypt in the Region of Mohammed Ali. Cambridge,1989.

وقد اختلفت نظرة الحكام للآثار بعد جلاء الحملة، فدرسنا كيف كانت هذه الآثار لا تعني أي قيمة بالنسبة لحكام الشعب المصري، ولكن بعد الدراسات الشائقة التي قدمها علماء الحملة عن الآثار اختلفت نظرة محمد علي لتلك الآثار.

ولكن كانت هناك إشارات توحي بأن محمد علي لم يهتم بالآثار لحبه لها، ولكنها أداة للتبادل بينها وبين التقنية الحديثة[١].

ومما لا شك فيه أن اختيار محمد علي للهرم كرمز للصفحة الأولى من جريدته الرسمية، الوقائع إنما يدل على اهتمامه بالآثار ونظرته المختلفة عن سابقيه في مجال الآثار؛ وإن كانت هناك بعض الآراء أشارت أن اختيار الهرم كان اختيارًا أوروبيًا بعيدًا عن محمد علي[٢].

ولقد لاحظ محمد علي أن آثار مصر يتم إفسادها بواسطة الأجانب. فأصدر عددا من الأوامر تمنع هذه الأعمال المخربة، وكان الأول عام ١٨٢٠، وفي مايو ١٨٢٦ أصدر أوامره بمنع أخذ الأعمدة من المعابد ووضعها في المساجد. وكان محمد علي يهتم بالاكتشافات الأثرية؛ وهذا وضح من أوامره في أغسطس ١٨٣٤ التي كشفت عن اهتمامه بتلك الاكتشافات الأثرية[٣].

محمد علي وآثار الصعيد

لقد كان محمد علي يهتم أيضًا بآثار مصر العليا وظهر ذلك في تعليماته لمختار بك في أغسطس ١٨٣٥ ليحدد أمينًا على آثار الصعيد كله. ولقد كان هذا الفعل من محمد علي بالضرورة بإلحاح بعض الأوروبيين الذين شعروا بخطورة الإهمال الموجه لآثار الصعيد[٤].

---

(١) دونالد مالكوم ريد، فراعنة من؟ . ترجمة رءوف عباس، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨٣.

(2) Khalid Fahmy, Op. cit., p. 145 - 146.

(3) Dia Abu Ghazi, The first Egyptian Museum in Annales Du service Des Antiquités De L' Egypte, Tome LXVII Cairo, 1988, p. 1 - 2.

(4) Ibid., p.3.

ومن أكثر الأوروبيين الذين كانوا يحثون محمد علي على ضرورة حماية الآثار التي تتعرض للخطر هو العالم شامبليون. الذي قال لمحمد علي إن هناك ثلاثة عشر معبدًا اختفت من الوجود في الفترة التي تلت انقضاء الحملة على مصر. ورأي شامبليون أن مسئولية نهب هذه الآثار تقع على عاتق الفلاحين وتجار الآثار(١).

ولكن محمد علي لم يستجب لشامبليون ومعنى ذلك أن اهتمام محمد علي بالآثار لم يكن نابعًا من حبه أو شعوره بقيمة هذه الآثار، ولكن لكسب الود الأوروبي فقط(٢).

واستمر مسلسل نهب آثار مصر العليا إلى أن نبه مينو القنصل الفرنسي العام في مصر. محمد علي بضرورة حماية معبد دندرة الذي تقتلع أحجاره لبناء مصنع النسيج بقنا: ولكن محمد علي ألقى مسئولية التخريب على الأوروبيين(٣).

وكان هناك أمر لمحمد علي بإنشاء ١٨ مصنعًا لإنتاج الملح الصخري، وبهذا تم تدمير الإيوان التاسع بمعبد الكرنك وتفكيكه إلى أحجار تم استخدامها في بناء أحد تلك المصانع. مما أثار غضب الأوروبيين المقيمين بمصر وألحوا على محمد علي في ضرورة حماية تلك الآثار التي تتعرض للنهب(٤).

قراصنة الآثار في عهد محمد علي

لقد كان هناك عدد من الأوروبيين الذين يحثون محمد عليّ عَلَى ضرورة الحفاظ على الآثار المصرية: على الرغم من نهبهم تلك الآثار وأغلبهم سجل أرقامًا قياسية في سرقات المعابد والمقابر. حتى شامبليون ذاته والذي كان شديد

---

(١) دونالد مالكوم ريد. المرجع السابق. ص ٨٣.

(2) Gaston Wiet, Mohammed Ali et Les Beaux - Arts, Societe Royale D' Etudes Historique, 1950, p. 22.

(3) Ibid., p.22.

(4) Ibid., p.24 - 25.

الحرص على الآثار المصرية قطع لوحة مقبرة سيتي الأول بطيبة، ومينو السابق الإشارة لنصائحه لمحمد علي انتزع لوحة الملوك من معبد الكرنك[١].

وهذه هي بعض الأسماء التي ارتبطت بآثار مصر العليا في عهد محمد علي:

- **برناردينو دروفيتي Drouefiti, Bernardino (١٧٧٦-١٨٥٢)**

هو دبلوماسي إيطالي يهوى جمع الآثار وشارك في الحملة الفرنسية على مصر، وشغل منصب قنصل عام فرنسا في مصر حتى عام ١٨١٤. ثم من جديد بين عامي ١٨٢٠ و١٨٢٩ وكان شغوفًا بجمع الآثار لدرجة أنه جمع ثلاث مجموعات أثرية. الأولى في متحف مدينة تورنتو الإيطالية والثانية موجودة بمتحف اللوفر والثالثة في متحف برلين[٢].

- **هنري سالت Salt, Henry (١٧٨٠ . ١٨٢٧)**

دبلوماسي إنجليزي ورحالة ومن هواة جمع الآثار، وعُين قنصلاً عامًا سنة ١٨١٥. واستغل منصبه للقيام بالحفائر حتى أصبح من أكبر الجامعين للآثار المصرية، وتحتل القطع الأثرية التي قام بالتنقيب عنها مكانة بارزة في المتحف البريطاني. كما قام اللوفر باقتناء مجموعته الأثرية[٣].

- **الكولونيل بوتان Le Colonel Boutin (١٨١١)**

سافر إلى مصر عام ١٨١١ كمندوب عن الحكومة الفرنسية وتقابل مع دروفيتي، وزار مصر العليا (القرنة ووادي الملوك) وعاد إلى القاهرة عام ١٨١٢، ومعه كمية من الآثار والبرديات التي أخذها معه من المقابر التي قام بزيارتها[٤].

---

(١) دونالد مالكولم ريد ، المرجع السابق ، ص ٨٥.

(٢) شامبليون في مصر الرسائل والمذكرات، ترجمة عماد عدلي القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٧.

- Ronald T. Ridley. Napoleon' s Proconsul in Egypt . The Life and Times of Bernardino Drovetti, London, 1991, p. 23.

- John Marlowe, Four Aspects of Egypt, Britain, 1966, p. 13.

(٣) شامبليون في مصر الرسائل والمذكرات، المرجع السابق، ص٣٩.

(٤) إلهام محمد علي ذهني، مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص٧١-٧٢.

• الكونت فوربان Forbin ١٨١٧م

الذي ذهب إلى مصر في أواخر ديسمبر ١٨١٧م وكان مكلفًا بشراء الآثار لمتحف اللوفر وللويس الثامن عشر. وفي يناير ١٨١٨م بدأ رحلته في مصر العليا. ووصل حتى أسوان[١].

والشيء الذي يدعو للعجب في تلك النقطة: مَن الذي كان يقوم ببيع هذه الآثار للكونت فوربان وغيره هل هم الأهالي، أم جهات حكومية مخصصة وضعها محمد علي لتقوم بهذه المهمة؟

لقد أنشأ محمد علي نهضة واسعة في المجالات المختلفة داخل مصر، حتى الآثار التي كان يتم نهبها، ففي ١٥ أغسطس ١٨٣٥م أصدر محمد علي أمرًا بضرورة إبعاد الأوروبيين عن نهب تلك الآثار. وأمر بجمع جميع الآثار الموجودة بمصر العليا لتعرض بالقاهرة[٢]. وهذا يدل على أن الأهالي هم الجهة التي كانت تقوم ببيع الآثار للأجانب.

ولقد تابع كل من القنصل البريطاني سولت وخصمه الفرنسي دروفتي التسابق في اقتناء الآثار المصرية وخاصة النادرة منها، وكان يتكسّبان من تجارة الآثار. وكان السير جوزيف أمين المتحف البريطاني ورئيس الجمعية الملكية قد أمر سولت بجمع الآثار لحساب المتحف البريطاني، فأهدى المتحف تمثالاً لرأس رمسيس الثاني ثم عرض على إدارة المتحف شراء المجموعة التي جمعها كلها[٣].

ووصل الأمر بين رجال سولت ورجال دروفتي إلى العراك داخل الكرنك؛ فكل منهما كان يشعر بأن الآثار الكائنة من حقه وحده، مما دعاهما إلى عقد اتفاق

---

(١) نفسه، ص٧٢-٧٣.

(٢) دونالد مالكوم ريد، المرجع السابق ص ٨٤. ولمزيد من التفاصيل عن حياة كل هؤلاء والمصادر التي تحدثت عنهم انظر:

- Arthur Goldschmidt JR, Biographical Dictionary of Modern Egypt, Cairo, 2000.

(3) Gaston Wiet, Op. cit., p. 26.

فيما بينهما يتم فيه تقسيم مناطق مصر الأثرية بينهما، فالأجزاء الواقعة غرب النيل من نصيب سولت، والواقعة في الشرق من نصيب دروفتى وقام دروفتى بالفعل بحفائر داخل معبد الكرنك في الأعوام ١٨١٧ ـ ١٨٢٣[١].

وهذا الصراع بين دروفتي وسولت يعكس الحالة التي كانت عليها الآثار وخاصة الكائنة بمصر العليا. فلم تكن هناك جهة حكومية أو رقابية تمنع تلك الممارسات السيئة تجاه الآثار، من نهب وسرقة وتخريب، جدير بالذكر أن معظم متاحف العالم عامرة بالآثار المصرية، التي قام بنهبها القناصل الأوروبيون في تلك الفترة من التاريخ المصري[٢].

• **روبرت هاى Robert Hay (١٨٢٨ - ١٨٣٢)**

والذي بدأ استكشافه في منطقة الجيزة وسقارة ثم واصل استكشافاته في مصر العليا ووصل إلى النوبة في عام ١٨٣٢م، والذي كان بصحبته عدد من الفنانين، الذين وضعوا رسومًا لمعابد مصر العليا ولكنه لم يصل إلى شهرة ويلكنسون Wilkinson البريطاني الجنسية أيضًا. فلم ينشر أي شيء عن رحلته إلى مصر العليا[٣].

• **فريدريك كايو ١٨١٥م Fredric Caillaud**

والذي كان شغوفًا بالآثار المصرية وخاصة آثار مصر العليا. ووصل إلى أبي سمبل. وقدم العديد من الرسوم الخاصة بالمعابد النوبية التي أفادت شامبليون في دراسته، ولكنه أخذ مجموعة كبيرة من البرديات والمخطوطات معه من مصر[٤].

---

(1) H . William. JR Stiebing. Uncovering the Past . A History of Archeological Thought. New York, 1993. p.66-68.

(2) Warren R. Dawson. Eric. P. Uphill. who was who in Egyptology?. London, 1972. p. 20 - 22.

(3) John David Wortham. British Egyptology 1549 - 1906. London. 1971. p. 62 - 63.

(4) Gaston Wiet. Op. cit., p. 28.

• ريفو Rifaud

الذي توجه إلى مصر عام ١٨١٧م ومكث بها ١٤ سنة، وكان شديد الاهتمام بالآثار وعمل مع فريق دروفتي في معبد الكرنك وقام بدراسة أجزاء عديدة بالمعبد لم يلحظها علماء الحملة. ولشدة اهتمامه بالآثار المصرية أطلق عليه محمد علي لفظ "أبو أنتيك" أي المهتم بالآثار المصرية. جدير بالذكر أن آثار مصر العليا هي التي أثارت انتباه ريفو[١].

• بريس دافيين Prisses D' Avennes "إدريس أفندي"

منذ علم بريس دافيين الإنجليزي الأصل بحاجة محمد عليّ إلى متخصصين أوروبيين لتنظيم المدارس والجيش والزراعة في مصر. جاء إلى مصر والتحق بقصر الباشا في عام ١٨٢٩، وقدم مشروعات تفيد الري لمحمد علي، واعتنق الإسلام وسمي بإدريس أفندي. وفي عام ١٨٢٨م توجه إلى مصر العليا واستقر في طيبة. ومنع إقامة معمل للبارود في معبد الكرنك ونبه المسئولين بضرورة المحافظة على الآثار المصرية، ولكنه نقل رسومًا عن غرفة الملوك الشهيرة في الكرنك وفصل أحجارها ونقلها لباريس وحفظت بمتحف اللوفر[٢].

• شامبليون Jean Francois Champollion

والذي ندين له بالكثير في علم المصريات. حيث أنه هو الذي استطاع فك رموز حجر رشيد ومعرفة محتويات اللغة المكتوبة على الحجر، ولقد كانت هناك محاولات سابقة لشامبليون مثل التي قدمت من الطبيب توماس يونج عام ١٨١٨م، ولكنها دون منهج علمي موثق[٣].

وفي عام ١٨٢٤م، توجه إلى إيطاليا لدراسة الآثار الموجودة في متحف مدينة تورينو. وفي عام ١٨٢٦م تم تعيينه أمينًا لمتحف اللوفر. وفي عام ١٨٢٧م قدم

---

(1) Ronald T. Ridley, Op. cit. p. 60.

(1) William H. Stebing Op. cit., p. 65.

(١) شامبليون في مصر. المرجع السابق، ص ٣٢ ولترجمة حياته انظر: نفسه، ص ٣١ ـ ٣٢.

مذكرة إلى الملك شارل العاشر يلتمس منه أن يذهب إلى مصر ليطبق ما درسه من نتائج خاصة باللغة المصرية القديمة، وقد وافق الملك على إرساله لمصر وأمره بشراء المجموعة التي عرضها سالت للبيع وذلك لحساب متحف اللوفر[١].

وعاش شامبليون في قرية القرنة بالأقصر في كوخ سمى بالقصر، وعاش أيضًا فترة في مقبرة رمسيس الرابع، ونجح في إضافة إقليم النوبة إلى علم المصريات، وطلب من محمد علي وضع اللوائح التي تنظم عمليات التنقيب عن الآثار حتى تتوقف عمليات نهب الآثار[٢].

ولقد كان لشامبليون دور كبير في تصحيح بعض الأخطاء التي وقع بها علماء الحملة مثل مقبرة أوسمندياس التي أسماها باسمها الحقيقي الرامسيوم، وبهذا يتضح أهمية الدراسة التي قام بها شامبليون لفك الغموض الذي كان يحيط بالآثار المصرية، إلى أن جاءت دراسته عن اللغة المصرية القديمة[٣].

● **ويلكنسون Willkinson (١٨٢١م - ١٨٣٣م)**

البريطاني الجنسية والذي قضى معظم وقته في قرية القرنة بالأقصر، ولقد عاش في مقبرة تكسوها النقوش الهيروغليفية، والشيء الذي يدعو للعجب، هو أنه على الرغم من اهتمامه بالآثار، والنقوش التي تحويها جدران المقابر التي شاهدها بطيبة، فإنه كان يتخذ من أخشاب توابيت المومياوات الموجودة بالمقابر كوقود له[٤].

---

(1) Bruce G. Tigger, A History of Archaeological Thaught, Cambridge, 1989, p. 39.

(2) Ibid., p . 40.

(3) Victor Scholcher, L' Egypte en 1845, Paris, 1846, p. 159.

وعن قصة الكشف للغة الهيروغليفية انظر:

- Maurice Pope, The Story of Decipherment from Egyptian Hieroglyphs to Maya Script, London, 1999 .

(٤) دونالد مالكوم ريد، المرجع السابق، ص ٦.

• بلزوني Giovanni Belzoni (١٧٧٨ - ١٨٢٣م)

الذي توجه إلى الإسكندرية في ١٩ مايو ١٨١٥م ليعاون الباشا في مهامه، والتقى مع المكتشف السويدي بوركهارت Jean Lois Burckhardt. عندما وجد رأس للملك رمسيس الثاني في معبد الرامسيوم، وجه سالت Salt إشارة إلى بلزوني Belzoni ليذهب إلى غرب طيبة ويحضر رأس تلك التمثال إلى الإسكندرية ومنها للمتحف البريطاني، ومنها بدأت رحلة Belzoni لمصر العليا(١).

وبدأ بعد نقل التمثال، رحلته إلى «أبو سمبل» حيث بدأ في استكشاف معبد رمسيس الثاني ولكن لنفاذ نقوده فقد عاد إلى طيبة مرة أخرى، وهناك فحص غطاء لتابوت كبير أشار إليه دروفتي بأن يأخذه إذا استطاع أن يخرجه من مكانه، وبعد إزالة الغطاء اتضح وجود الملك في الوضع الأوزيري محاطًا بالآلهة؛ مما أثار غضب دورفتي(٢).

وكان هذا الغطاء خاصًا بالملك رمسيس الثالث والذي أعطاه Belzoni إلى متحف فيتزوليام Fitzwilliam بكامبريدج Cambridge وذلك في عام ١٨٢٣م، والمومياء تم أخذها بواسطة سالت وتقع الآن بمتحف اللوفر(٣).

وأشار Belzoni إلى التماثيل التي أخذها الفرنسيون من الجزء الجنوبي لمعبد الكرنك والتي تقع الآن بالمتحف البريطاني، وحاول هو الاستكشاف في الجزء الغربي للمعبد والذي وجد به ثمانية عشر تمثالاً، ٦ منها بحالة جيدة وأحدها في حجم الإنسان العادي اشتراه من Belzoni المتحف البريطاني أيضًا(٤).

---

(1) Paul Starkey and Jahnet Starkey. Travelers in Egypt, London. 1995, p. 42.

(2) Ibid., p.43.

- Warren R . Dawson. Eric. P. Uphill, op . cit., p. 23.

(3) Ibid., p.43.

- John David Wortham, Op. cit., p. 70.

(4) Dia Abu Ghazi, Op. cit., p. 5.

وجد بلزوني أيضًا لوحة من الحجر الجيري عليها كتابات هيروغليفية ورأى أنها ستساعد الطبيب توماس يانج في تعليقه على اللغة الهيروغليفية. وتمثال الملك تحتمس الثالث نحت عليه اسمه وتاريخ ١٨١٧م وهو في متحف تورين Torin[١].

وعاد بلزوني مرة آخرى إلى أبي سمبل ليفتح المعبد الذي استطاع أن يعرف أن هذا المعبد خاص بالملك رمسيس الثاني وذلك في أغسطس ١٨١٧م، وهناك كشف مهم لبلزوني أيضًا هو كشف مقبرة سيتي الأول بوادي الملوك وذلك في ١٦ أكتوبر ١٨١٧م، ولكن بعدها بأعوام قليلة أجزاء من الحوائط تم نقلها بواسطة شامبليون وروزليني وهي موجودة في باريس وتورين[٢].

وبعد ما قام به Belzoni في وادي الملوك رجع مرة أخرى للقاهرة وذلك في ١٨١٨ بعد أن قام بأخذ عدد كبير من الآثار والقطع الفنية النادرة معه. وباعها إلى عدد من المتاحف. فعلى الرغم من كل الجهود التي وجهها Belzoni للآثار والتي جعلت اسمه محفورًا في علم المصريات إلى الوقت الحاضر، فإنه قد أجرم أيضًا في حق تلك الآثار بما انتزعه منها. وأخذه لشيء ليس من حقه بل هو حق المصريين في التمتع بآثارهم.

جدير بالذكر أن Belzoni عاد مرة أخرى إلى الأقصر بناءً على أوامر Salt بعد استكشافه في منطقة أهرام الجيزة، وواصل استكشافه في منطقة بجوار تمثالَيْ ممنون حيث وجد تمثالاً ضخمًا للملك أمنحتب الثالث، وذهب التمثال إلى سالت بعد أن حفر بلزوني اسمه على قاعدة التمثال، وأيضًا مسلة في فيلة والتي كانت تحمل نقوشًا هيروغليفية توجد الآن في حديقة كينجستون لاسي دورست Kingston Lacy Dorest[٣].

وغادر بلزوني مصر في ١٨١٩ إلى بادوا Padua وأهدى لبلدته تمثالين جالسين للإلهة سخمت.

---

(1) Ibid., p.5 - 6.

(2) Nicholas Reéves, Richard H . Wilkinson, The Complete Valley of The Kings, Cairo, 2002, p. 137.

(3) Paul Starkey and Janet Starkey, Op. cit., p. 46 - 47.

- **إيبوليتو روزليني Rosellini, Ippolito (١٨٠٠م - ١٨٤٣م)**

كان روزليني إيطالي الجنسية وهو مؤسس علم المصريات في إيطاليا وأحد المشاركين مع شامبليون في بعثته على مصر وألّف مجلدًا كبيرًا عن آثار مصر والنوبة. ويعد روزليني أحد المكتشفين والذي يساعد بلزوني أيضًا في عمله الاستكشافي في مصر العليا وأخذ مجموعة من التماثيل الصغيرة والجعارين أيضًا إلى إيطاليا بعد عودته[١].

- **وليم جون بانكس William John Bankes**

الذي كان له رحلتان لمصر العليا الأولى في ١٨١٥ وكانت بمفرده والثانية كان مصاحبا لسالت في ١٨١٨، ولقد كانت لبانكس رسوم عديدة تتعلق بآثار مصر العليا والتي كان بها بعض النقوش التي حاول بانكس أن يقدم ترجمة وتفسيرًا لتلك النقوش الهيروغليفية[٢].

ويبدو أن مصر العليا كانت تستهوي الرحالة لرؤية آثارها. ولقد تعاون كل من Bankes وSalt لاستخراج البرديات المصاحبة للمومياوات والموجودة داخل المقابر بطيبة.

- **كارل ليبسيوس Karl Lepsius (١٨١٠م - ١٨٨٤م)**

كان ليبسيوس في أثناء تواجده بمصر يسجل معابد ومقابر مصر العليا ربما ليستطيع التوصل إلى تقديم صورة تاريخية صحيحة عن مصر وكان أول ظهور للألمان بجانب الفرنسيين والبريطانيين، وكان الهدف من بعثة ليبسيوس إلى مصر هو التنقيب عن الآثار وجمعها، واشترى الأمير البروسي مجموعة من الآثار المصرية[٣].

---

(١) شامبليون في مصر، الرسائل والمذكرات، المرجع السابق، ص٣٩.

(2) Paul Starkey and Janet Starkey, Op. cit., p. 50 - 52.,

- John Bankes, Adventures in Egypt and Nubia, the Travels of William John Bankes (1784 - 1855), London, 2002, p .50.

(3) Bruce Tigger. Op. cit., p. 39.

ورحب محمد علي باشا ببعثة ليبسيوس وقدم لها العون، وشرع ليبسيوس في جمع الآثار واستطاع أن يجمع خمسة عشر ألف قطعة أثرية وكان وراء توسيع متحف برلين لإضافة الآثار المجموعة للجناح المصري به(١).

ولقد كان هناك مسابقة بين كل من ليبسيوس وبريس دافيين حول جمع الآثار المصرية وكان كلاهما يريد لوحة الملوك الموجودة بمعبد الكرنك، لذا فعندما علم بريس دافيين أن ليبسيوس ينوي نقل لوحة الملوك إلى برلين. حتى هُرع إلى هناك وظل يعمل طوال الليل حتى اقتلع اللوحة من مكانها وأخذها؛ فكلاهما كان معنياً بجمع الآثار المصرية(٢).

فكل من دفعه الفضول لرؤية آثار مصر عامة وآثار مصر العليا خاصة، كان يريد أن يخدم بلده، بأن يجمع أكبر قدر من تلك الآثار لمصلحته الخاصة. ليكون صاحب فضل على بلده في تلك النقطة التي اعتمدت عليها تكوين المتاحف الخارجية(٣).

- **جيوفاني إنستازي Anastasi Giovanni (١٧٨٠م - ١٨٥٧م)**

هو قنصل عام السويد والنرويج في مصر ما بين ١٨٢٨م و١٨٥٧م. ولقد كان من تجار الآثار ومن الجامعين لها وخاصة البرديات المستخرجة من المقابر والتي عرفت باسمه "برديات إنستازي" Papyrus Anastasi والتي تفرقت بين لندن وليدن وباريس وبرلين(٤).

ولقد كان هؤلاء القراصنة يتركون أحيانا أسماءهم على بعض المعابد في مصر العليا. مثلما فعل علماء الحملة الفرنسية، فنرى اسم بلزوني محفوراً على بوابة لمعبد الكرنك واسم دروفتي موجوداً بمعبد أبي سمبل(٥).

---

(١) دونالد مالكوم ريد ، المرجع السابق . ص ٧٣.

(٢) نفسه. ص٧٣.

(3) Hatier. The Grand Louvre from the Fortress to the Pyramids. Paris. 1989. p. 148.

(٤) شامبليون في مصر، المرجع السابق. ص ٣٨.

(5) Ronald T . Ridley. op . cit .. p . 66 .

جدير بالذكر أن المتاحف الخارجية تكونت بفضل مساعدات هؤلاء الزائرين، ونحن المصريين لم نشعر أننا قد استفدنا منهم في شيء، فعلماء الحملة قد نشروا أبحاثهم وأعلنوا عن وجود بعض المعابد التي لا نعلم عنها شيئًا، ولكن هؤلاء القناصل والرحالة، لم يفعلوا شيئًا يستفيد به المصريون، باستثناء محاولات شامبليون في فك رموز حجر رشيد.

فكل ما كانوا يفعلونه هو العراك فيما بينهم من أجل الحصول على أكبر عدد من القطع الفنية وخاصة ذات القيمة العالية، بدون رادع أو حاكم لعمليات النهب المستمرة والتي كانت تتعرض لها معابد ومقابر مصر العليا، بصورة تدعو للأسف. فلماذا لم يهتم محمد علي حاكم مصر بهذا الشأن وهو راعٍ للفنون الجميلة، ربما لأن مسئولياته كانت أكثر من ذلك، ولكنه ارتكب جرمًا في شأن تلك الآثار مثل القراصنة، وهو إرساله مسلة لباريس تستقر حاليًا في ميدان الكونكورد.

وظلت تلك المسلسلات من عمليات نهب الآثار مستمرة إلى أن أُنشئت مصلحة الآثار على يد العالم الفرنسي ماريت Marriet في عام ١٨٥٨. ومن هذه السرقات للآثار تكونت المعارض الخارجية على يد جامعي الآثار.

المتاحف الخارجية والمعروضات المصرية

لقد أدى استيلاء بريطانيا على بعض القطع الأثرية وحجر رشيد من علماء الحملة إلى تأخر إنشاء متحف اللوفر بباريس، وأضاع اللوفر بعدها فرصة كبيرة عندما حرضه جومار عام ١٨٢٤م على رفض شراء المجموعة الأولى للآثار والتي عرضها دروفتي وأخذها متحف تورين[١].

وبعدها حصل اللوفر على المجموعة التي أخذها سولت والمجموعة الثانية لدروفتي، وتم تعيين شامبليون أمينًا للجناح المصري وذلك في عام ١٨٢٦[٢].

---

(1) Ronald T . Ridley, op . cit .. p . 250 - 252 .

(2) Ibid., p.254.

أما في برلين والتي كان بها متحف ولكن بعد عودة ليبسيوس من مصر، لم يعد هذا المتحف يسع كَمّ الآثار المصرية التي عاد بها ليبسيوس، لذا تم افتتاح متحف جديد وذلك في عام ١٨٥٠م وتم تصميم صالة العرض على الطراز الفرعوني، الذي أوصى به ليبسيوس ليضفي جمالاً على تلك الآثار(١).

فهناك كنوز مصرية في جميع متاحف العالم الخارجي، وإن كان اللوفر بباريس لديه حكر كبير من تلك الآثار والتي وضعت اللبنة الأولى للجزء المصري به بواسطة سالت ودروفتي في ١٨٢٦م و١٨٢٧م والمحصلة قرابة ٥٥,٠٠٠ قطعة أثرية مصرية، ولقد كان أغلب الناس يعتقدون أن معروضات اللوفر هي نتيجة لحملة بونابرت على مصر، مُغْفلين بذلك الحصار الإنجليزي الذي تعرض له العلماء والذي كلفهم ثمار تجميعهم للقطع الأثرية(٢).

حتى شامبليون المكتشف قدم لمتحف اللوفر ٩٠٠٠ قطعة مصرية في عام ١٨٢٦م و١٠٢ قطعة أخرى في عام ١٨٢٨م، وفي عام ١٨٢٥م أرسل محمد علي في طلب كلوت بك من فرنسا ليساعد في إنشاء مصر الحديثة شأنه شأن باقي القناصل: فقد أعطى للوفر ٢٥٠٠ قطعة فنية(٣).

• محمد علي ومسلة لميدان الكونكورد

لقد كان محمد علي يرغب في إرضاء الدول الكبرى: ففي أبريل عام ١٨٣٠م استقبل محمد علي رسولاً من قبل شارل العاشر ملك فرنسا ولكي يعرب له محمد علي عن امتنانه بفرنسا فقد قرر إعطاءه مسلتَي الأقصر وواحدة

---

(1) Louis Keimer, Le Musée Egyptologique de Berlin, Cahiers d Histoire Egyptienne, Serie 3, Fasc Novmber 1950, p. 31.

(2) Lawrence M . Berman, Bernadette Letellier, Pharaons Treasures of Egyptian Art from the Louvre, Oxford, 1996, p . 155.

- Kenneth Clark, Masterpieces of Fifty Centuries . The Metropolitan Museum of Art, New York, 1970, p. 80 - 107

(3) Ibid., p.17.

بالإسكندرية: ولكنهم اكتفوا بواحدة فقط اختارها شامبليون وهي المسلة اليمنى بمعبد الأقصر[١].

وصُممت سفينة خصيصًا لنقل تلك المسلة لباريس وعرفت السفينة باسم الأقصر ولقد كانت تفصل المسلة عن ساحل النيل ٢٦٠ مترًا، لذا فقد تم التفاوض مع الأهالي لشراء أكواخهم حتى يتم هدمها وتمرير المسلة إلى السفينة التي لم تترك طيبة إلا بعد الفيضان وذلك في ٢٢ أغسطس ١٨٣٢م[٢].

وجدير بالذكر أن مصر العليا وآثارها، ليست الوحيدة التي كان محمد علي ينوي تبديد آثارها ولكنه فكر أيضًا في تفكيك أحد أهرام الجيزة لإقامة السدود[٣].

وامتنع بسبب تحذيرات الأوروبيين له، فالآثار بالنسبة له كما سبق الإشارة لا تعني القومية أو التراث، وإنما هي أداة فقط لكسب الود الأوروبي، وبصفته الحاكم فقد كان يشعر أن تلك الآثار حكر له، وله الحق في إرسالها إلى من يشاء.

ولقد تذرع الأوروبيون بالأسباب التي جعلتهم يحضرون تلك الآثار، فقالوا إنهم أحضروا تلك الآثار إلى بلادهم لحمايتها من جهل وعبث المصريين الذين لا يعرفون قيمة تلك الآثار، ليس المصريون وحدهم بل وحاكمهم أيضًا لا يعرفون قيمتها ويعبثون بها: الأمر الذي تطلب حماية تلك الآثار بواسطة الأجانب[٤].

وإن كان هناك جزء من الصحة في تلك النقطة حيث إن المناطق الأثرية كانت تتعرض لعمليات تخريب واسعة بواسطة المصريين ولكن يوجد طرق أخرى لحماية تلك الآثار، وأن إخراج تلك الآثار من مصر إلى الدول الخارجية لا يمثل أي نوع من أنواع الحماية لتلك الآثار، بل هو أكبر تدمير لها.

---

(١) روبير سوليه، مصر ولع فرنسي، ترجمة لطيف فرج، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٩.

(٢) نفسه، ص٩٢.

(٣) نفسه، ص٩٣.

(4) William H. Stiebing Jr., Op. cit., p. 75.

وإن كان هناك بعض المصريين الذين نما لديهم الوعي الأثري وعلموا بقيمة الكنوز التي تحويها أرضهم مثل رفاعة الطهطاوي، والذي لم يرد ذكر له بين العلماء الذين ارتبط اسمهم بعلم المصريات: إنه ليس مكتشفًا ولا يعرف شيئًا عن اللغة المصرية القديمة ولكنه كان له دور كبير في كشف الحقائق عن مصر القديمة وعرضها على المصريين[1].

ولقد كان الطهطاوي أحد أعضاء البعثة التي أوفدها محمد علي إلى باريس لتلقي العلوم الحديثة وذلك عام ١٨٢٦م، وعاد فى عام ١٨٣١م إلى القاهرة وعمل بعد عودته في مجال التدريس والترجمة وأيضًا في مجال الصحافة، ونشر كتاب سمي تخليص الإبريز في تلخيص باريز، أشار فيه إلى وجود مواقع لحفظ الآثار " اللوفر" بها معروضات من مصر كبرج الفلك الذي جُلب من دندرة[2].

ولقد كان الطهطاوي مستهجنًا لما فعله محمد علي من إهداء المسلة إلى ملك فرنسا، مشيرًا أنه من حق المصريين: لأنها تراث أجدادهم ولا يحق لأحد أن يبدد تراث الأجداد[3].

رحلة محمد علي إلى الصعيد

لقد زاد الاهتمام الأوروبي بمصر العليا بعد الحملة الفرنسية زيادة كبيرة، خاصة بعد نشر مجلدات وصف مصر والتي جذبت أنظار العالم الأوروبي تلك بما يحويه صعيد مصر من كنوز أثرية وخاصة عام ١٨٢٠م. وجدير بالذكر أن محمد علي في رحلته إلى النوبة قام بزيارة منطقة القرنة بالأقصر، وفزع من منظر المومياوات الموجودة هناك[4].

وكانت هذه الرحلة لمحمد علي في ١٨١٩ وتنم هذه الرحلة أن محمد علي كان لديه دافع فضولي لرؤية الآثار الكائنة بمصر العليا والتي تجذب الرحالة لها،

---

(1) Guy Fargette, Mehémet Ali le Fordateur de L' Egypte Moderne, Paris, 1992, p. 88.

(٢) رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٧٠.

(٣) دونالد مالكوم ريد، المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠.

(4) Gaston Wiet, Op. cit., p. 27.

وتشجع الأوروبيين على نهبها، وعلى الرغم من فزعه من رؤية المومياوات الموجودة بها والتي تحتفظ بمظهرها العام رغم مضي آلاف السنين؛ فإنه ترك عمليات النهب مستمرة لتلك الآثار.

إلى أن جاء عام ١٨٣٥م وتحديدًا في ١٥ أغسطس الذي أصدر فيه أمرًا يبرز خطر تصدير الآثار إلى الخارج ويأمر بجمعها لتعرض في القاهرة؛ لأن هذه الأشياء تجذب انتباه من يراها وتعطي قيمة للبلد الكائنة به. وأمر بأن ترسل القطع المجموعة إلى رفاعة الطهطاوي ناظر مدرسة الألسن حتى يتم تكوين المتحف المخصص للقطع(١).

وأسند تجميع آثار الصعيد إلى ضياء أفندي الذي قام بدوره بجولة تفتيشية في الصعيد وعين ممثلين ليتم تجميع ما يتم العثور عليه ويرسل للقاهرة(٢)، ومع أن محاولة محمد علي باءت بالفشل إلا أنها تعد اللبنة الأولى في الاهتمام بعلم المصريات داخل مصر، وهو حجر الأساس لتكوين مصلحة الآثار المصرية والمتحف المصري.

وجاء القنصل البريطاني جلدون ليستنكر هذا الفعل من محمد علي، وطالب بإصدار فرمان عثماني ليجعل القناصل الأوروبيين أمناء على تلك الآثار ويأمر المصريين بإطاعة أمرهم في ذلك الشأن(٣).

وفي هذا الشأن كان جلدون ينظر لمصلحته الشخصية مدعيًا المصلحة العامة، فكان يرى أن هذه الآثار هي حقٌ للأوروبيين وليس للمصريين، وأن مدعي حُماة الآثار هم أنفسهم الذين يجورون عليها من أمثال سالت ودروفتي وحتى شامبليون. وبعد فشل محاولة إقامة المتحف الذي قام بها محمد علي شمت به

---

(1) Ibid., p.28.

(٢) دونالد مالكوم ريد، المرجع السابق، ص ٨٤.

(3) George Gilddon, An Appeal to the Antiquates of Europe on the Destruction of the Monuments of Egypt, London, 1841, p. 131.

هؤلاء القناصل والرحالة وخاصة ليبسيوس الذي أشار أن محمد علي لن ينجح إلا بمساعدتهم، وأن محاولاته في حظر تهريب الآثار للخارج هي إضرار بالحضارة المصرية[١].

وشيء يدعو للعجب أن حظر تهريب الآثار يضر بالحضارة المصرية، لأن هذا الحظر هو السبيل للحفاظ على تلك الآثار، وأن تهريبها للخارج هو أكبر إضرار بالحضارة المصرية.

أما عن الجبرتي فقد سجل فقرة عن نهب الآثار رغم عدم اهتمامه بها، وشعوره بأنها غير مجدية، متعجبًا من تشوق الأوروبيين لتلك الآثار فتحدث عن رحلاتهم إلى الصعيد محضرين معهم الأحجار والموتى المكفنين، وأشار إلى رأس صنم كبير أحضروه (ربما يقصد رأس أمنحتب الثالث الذى أحضره Belzoni) ومشيرًا أن كل ذلك كان يرسل إلى بلاد الأوروبيين ليتكسبوا من تلك الآثار من خلال بلادهم التي يأخذونها إليها[٢].

ولقد كان الجبرتي متشوقًا لرؤية ما أحضره الأوروبيون من مومياوات ليرى عجائب الزمن الفانية. لذا فهو ذهب إلى بيت القنصل الكائن بدرب البرابرة حتى يرى هذه العجائب[٣].

وليس معنى ذلك اهتمام الجبرتي بآثار الصعيد وما تم إحضاره منه!! ولكن ما كان يعنيه هو رؤية شيء بدافع الفضول فقط، فهو لا يستنكر أخذ الأوروبيين لتلك الآثار إلى بلادهم.

أسباب مجيء الأوروبيين إلى مصر في عهد محمد علي

لقد كان للحملة الفرنسية دور في قدوم الأوروبيين إلى مصر بعد الجلاء، وذلك من خلال الصورة التي قدمتها عن مصر، ولقد كان محمد علي يشجع

---

(١) دونالد مالكوم ريد والمرجع السابق، ص ٨٦.
(٢) الجبرتي، ج ٤، ص ٤٣٩ - ٤٤١.
(٣) نفسه، ص٤٤١.

قدوم الأوروبيين إلى مصر ويوفر لهم التسهيلات المختلفة من استراحات وخيول وعربات: بل حتى الطعام كان يقوم بتوفيره لهم(١).

وتم إنشاء طريق بري ليساعد السائحين في تنقلاتهم داخل مصر، وقد كان السائحون يقيمون بمصر مدة قصيرة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أيام. فيما يعرف بسياحة الترانزيت. ويبدو أن أسباب قدوم الأجانب إلى مصر في عهد محمد علي كانت لرؤية الآثار القديمة والموزعة على أنحاء الجمهورية وخاصة آثار مصر العليا(٢).

وأقام محمد علي لهؤلاء الأجانب دورًا للضيافة، جدير بالذكر أن الطبقات العليا فقط من الأوروبيين، هم الذين كانوا يتوجهون لزيارة مصر، أما الطبقات الوسطى، فلم تتوجه للزيارة، لعدم انتشار السياحة إبان ذلك العصر بطريقة واسعة.

وللأسف لم تكن هناك ضوابط على تحركات هؤلاء الأجانب، بل كان هناك أوامر بمساعدتهم وتيسير الإقامة لهم ولهم الحق في حرية التنقل داخل البلد، فمثلاً كان هناك مجموعة من البريطانيين هم تِمْبل وتايلور وبُلفور Bolfour & Tailor & Temple يريدون التنقل في الوجه القبلي لرؤية آثار الصعيد، وسمح لهم محمد علي بذلك دون أية ضوابط على رحلتهم إلى الصعيد لحماية الآثار الموجودة من العبث بها(٣).

ولعل حرص الأوروبيين الشديد على رؤية آثار الصعيد التي كتب عنها علماء الحملة هو أكبر دليل على الدور الذي قام به علماء الحملة تجاه تلك الآثار وذلك بتوعيتهم بقيمة تلك الآثار. وبهذا يكون لعلماء الحملة الفضل في وضع اللبنة الأولى للسياحة في مصر.

---

(١) محمد فهمي لهيطة. المرجع السابق . ص ١٤٦.

(٢) السيد السيد أحمد توفيق دياب. السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر. دراسة في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي. القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢١.

(٣) نفسه، ص٢٣.

ولقد حاول إبراهيم باشا ابن محمد علي، تعيين رجل تركي للتنقيب عن آثار الأقصر بمصر العليا. وطرد المنقبين الأوروبيين، وتم تجميع الناتج عن التنقيب ووضع في قصر إبراهيم، وأسفرت عمليات التنقيب عن مجموعات قليلة من المومياوات المحطمة والتوابيت وبعض اللوحات الناقصة، ومجموعة أثرية متنوعة ومحطمة(١).

ولقد كانت محاولة محمد علي الأولى في بناء المتحف مهمة: لأنها وضعت ضوابط على كل من الفلاحين والأوروبيين على حد سواء، فمنعت الاستكشافات الفردية، وأمرت بأن تحفظ الآثار التي تجمع بواسطة الفلاحين ويتم إرسالها إلى القاهرة لتحفظ في مدرسة الألسن بالأزبكية وتحت إشراف رفاعة الطهطاوي، وظلت تلك الآثار بالأزبكية إلى أكتوبر ١٨٤٩م(٢).

واستعان محمد علي في ذلك الأمر بأحد الأرمن وهو يوسف حككيان لوضع التخطيط العام للمتحف، وتعلم حككيان بلندن وتقرب من الأوروبيين بصورة كبيرة وعاد إلى مصر عندما دعاه محمد علي وذلك عام ١٨٣٠م، جدير بالذكر أنه قبل مجيء حككيان إلى مصر كانت الآثار المصرية لا تعني له شيئًا بل وكتب بضرورة انتزاع أحجار الأهرام لبناء الجسور. ولكن بعد قدومه غيَّر نظرته لها تمامًا بل وأصبح من أكثر المحافظين على تلك الآثار(٣).

ولقد كان لحككيان جولة بين ربوع معابد مصر العليا وانبهر بها. واستاء من سكان إدفو الذين يقيمون أكواخهم فوق المعبد. مما يضر به مشيرًا أن ذلك المعبد لو كان في بلد أوروبي لقاموا بحمايته وترميمه، وهذا يدل على شدة إعجابه بذلك المعبد بل وسائر معابد مصر العليا(٤).

---

(١) دونالد مالكوم ريد. المرجع السابق. ص ٨٧.

(2) Dia Abu Ghazi, Op . cit., p. 9.

(٣) دونالد مالكوم ريد. المرجع السابق. ص ٩٠.

(٤) نفسه. ص٩١.

عباس الأول واهتمامه بآثار الصعيد

تولى عباس الأول حكم مصر بعد محمد علي (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) واهتم بالآثار، فأمر بالتفتيش على المواقع الأثرية بمصر، وعين مهندسين ليقوما بالتفتيش على المواقع الأثرية بالصعيد، ومجموعة الآثار التي تم تجميعها في عصر محمد علي والتي كانت موضوعة بالأزبكية، وأمر عباس الأول بجمعها ونقلها إلى السيدة زينب وذلك في أكتوبر ١٨٤٩م[١].

ولكن عباس، شأنه في ذلك شأن سابقه محمد علي، كان يشعر أن تلك المجموعة التي استقرت ببولاق[٢]، هي أداة من أدوات الدولة لكسب الود الأوروبي، وتنمية العلاقات الدبلوماسية، فأهدى مجموعة كبيرة من تلك الآثار إلى السلطان عبد العزيز، واستمر في العطاء من تلك الآثار التي تم جمعها للقناصل الأوروبيين[٣].

وبقى مجموعة في متحف بولاق أخذها ماكسمليان "أرشيدوق النمسا" في عهد الخديو سعيد عام ١٨٥٥م وهي تستقر الآن بفيينا، وكانت هذه المجموعة هي آخر ما تبقى في متحف بولاق[٤].

ويبدو أن أبناء محمد علي لم يفهموا أمره جيداً بتأسيس متحف للآثار المصرية، لأنهم لو فهموا ما كان يعنيه هذا الأمر بالتأسيس لحافظوا على تلك المجموعة التي تم جمعها ولما تم الاستغناء عنها للأجانب أو للحكام.

---

(1) Robert Hunter, Egypt under the Successors of Muhammed Ali, In Cambridge History vol II,p 183 - 184.

- Dia Abu Ghazi, Op. cit., p. 9.

(٢) نتيجة لضيق المكان في مدرسة المبتديان بالناصرية ثم نقل القطع الأثرية إلى مدرسة المهندسخانة ببولاق.

(3) Dia Abu Ghazi, Op. cit., p. 9.

(٤) دونالد مالكوم ريد، المرجع السابق، ص ٨٧.

ولكن هناك أسماء لا نستطيع أن ننسى دورها في تأسيس المتحف، وهم:

- **رفاعة الطهطاوي:** والذي كان مسئولاً عن تسلم القطع الفنية كما سبق الإشارة.

- **يوسف حككيان:** والذي كان مسئولاً عن وضع تصور للمتحف.

- **بوغاز يوسفيان بيك (١٧٦٨-١٨٤٤):** والذي كان مسئولاً عن تبليغ القناصل الأوروبيين بأمر محمد علي ومنعهم من أخذ الآثار[١].

- **يوسف ضياء أفندي:** والذي كان مسئولاً عن تجميع القطع الأثرية وسمى بناظر المتحف، وهناك أمر من محمد على إلى مختار بك، والذي سبق الإشارة له وجزء منه كالتالي لضرورة الإشارة إلى أهميته "صدر أمر منه إلى رئيس المجلس في ٢١ ربيع الثاني بأنه علم نشر وإعلان الخلاصة الصادرة من المجلس بشأن عدم إخراج الأحجار القديمة وما يماثلها من الآثار وعدم هدم المباني العتيقة الكائنة بالأقاليم الصعيدية من الآن فصاعداً وإحالة دقة النظر والالتفات لهذا الخصوص على النظار والمديرين والتقرير بإعطاء ذهبية إلى ضياء أفندي للمرور بها في السنة دفعة واحدة للتفتيش ولكون أن التفتيش دفعة واحدة في السنة لا يكفي ولاسيما أن بعض الأهالي جاروا على الآثار القديمة وقاموا باستخراج الأحجار القديمة والتوابيت وما يشابهها من المباني العتيقة وجاري إرسالها من قبلهم إلى الإسكندرية وبيعها على الإفرنج وإنهم بذلك يتلفون الأشياء القديمة وأن هذا الخصوص مما يجب الاعتناء به بمزيد الالتفات، وينبه عليه شفهيًا بتعيين ذات بصفة مفتش للتفتيش على أعمال المأمورين في ذلك: فعليه يلزم على المفتش السعي والاجتهاد في منع إخراج تلك الآثار وعدم هدم المباني القديمة والمرور دائمًا للحصول على المنفعة ولا بأس من مرور السواحين فقط بدون مس شيء"[٢].

---

(1) Dia Abu Ghazi, Op. cit., p. 11.

(٢) هذه الترجمة منشورة في Dia Abu Ghazi, Op. cit., p. 11.

منه يتضح أفعال أهالي الصعيد من بيع للقطع الأثرية للإفرنج وإن كان هذا التصرف فيه شيء من الإضرار الكبير بآثار البلاد، إلا أنني أرى أنها بداية وعيهم بقيمة الآثار التي تحويها بلادهم، فلولا شعورهم بأهميتها لما باعوها ولكنهم نظروا إليها نظرة اقتصادية على أنها تدر دخلاً لهم ولكن بطريقتهم الخاصة.

ولو قُدِّر لهذه الخطة المصرية أن تنجح لما أصبح هناك متاحف أوروبية تعرض آثارًا مصرية بصورة كبيرة وضخمة بتلك الطريقة. بل وهناك قطع أثرية مهمة للغاية لا تملك مصر منها شبيهًا ومعروضة في تلك المتاحف: مثل رأس الملكة نفرتيتي الشهير والمعروض في متحف برلين.

وانتهت تلك الممارسات من نهب وتدمير للآثار عندما أتى العالم الفرنسي ماريت إلى مصر، وتم تجميع عدد من القطع الأثرية المختلفة من الأقاليم المصرية بأكملها وتم افتتاح متحف بولاق على يد الخديو إسماعيل في ١٩ يونيه ١٨٦٣م: وبهذا المتحف تم وضع حد للممارسات الخاطئة تجاه الآثار[1].

وإن كان ماريت قد أخذ عددًا كبيرًا من القطع الفنية وأعطاها إلى متحف اللوفر بباريس:إلا أننا لا نستطيع أن ننكر دوره في كشف النقاب عن العديد من الآثار المصرية في صعيد مصر وأيضًا في مصر السفلى، فقد كشف عن مقبرة اع - حتب بذراع أبو النجا بالأقصر، وله اكتشافات بالكرنك وأبيدوس وتانيس ومنطقة الجيزة وسقارة.

ولقد قام ماريت باكتشافات مهمة عن مقابر منطقة سقارة، وعن ترتيب الأسر المصرية القديمة من خلال الحفائر التي أجراها، وعاش ماريت ٢٥ عامًا ليقوم بتلك الحفائر، إلى أن مات ودفن وجاء خليفته ماسبيرو ليكمل ما قام به ماريت.

---

(١) روبير سوليه، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

(2) Dia Abu Ghazi, Op. cit., p. 15.

فعُيِّن ماسبيرو مأمورًا للآثار المصرية وكشف من يقومون بسرقة الآثار في صعيد مصر، وكشف عن سرقات بقرية القرنة وذهب بنفسه للتحقق من تلك السرقات وقبض على شقيقين حيث قاما بتبليغه عن مكان للمومياوات وجد به العديد من المومياوات التي ترجع للعصور المختلفة. ومنها بدأت حماية الآثار المصرية في جميع أجزاء مصر(١).

وصف آثار الصعيد من كتابات الرحالة في القرن التاسع عشر

اتسمت كتابات الرحالة في القرن التاسع عشر بالوصف الدقيق والمدعم بالشواهد والدلائل، فيما يتعلق بالمناطق الأثرية، فدراسة علماء الحملة لتلك الآثار في القرن الثامن عشر جعلت الرحالة على خلفية تاريخية راسخة بتلك المناطق الأثرية الكائنة بمصر العليا دون غيرها.

وعلى الرغم من تنوع وظائف رحالة القرن التاسع عشر، فإن كثيرًا منهم كانوا أثريين من أمثال ريفو وبريس دافين وشامبليون. ولقد قام هؤلاء العلماء بتصحيح كثير من الأخطاء التي وقع فيها علماء الحملة وكشفوا عن عدد من الآثار: مثل كشف شامبليون لآثار الشلالين الأول والثاني.

ولقد كان هناك تنافس بين علماء الآثار الفرنسيين وغيرهم من الجنسيات الأخرى أمثال بلزوني الإيطالي وليسيوس الألماني، وإن كان الفرنسيون قد تفوقوا على غيرهم في هذا المجال، ويكفي شامبليون الفرنسي أنه استطاع أن يحل لغز الحضارة المصرية والذي أرسى دعائم علم الآثار على أسس علمية. ولقد كان شامبليون عاشقًا للحضارة المصرية ويرى أنها أعرق وأفضل الحضارات(٢).

ولقد استفدنا كثيرًا مما كتبه الرحالة. وإن كنا نشير إليهم على أنهم علماء مصريات وذلك للدور الذي قاموا به من جهود استكشافية لتلك الآثار والتي كانت

---

(١) روبير سوليه، المرجع السابق. ص ٢٣٩.

(٢) إلهام محمد علي ذهني. المرجع السابق. ص ٤٣٩.

مدفوعة بالفضول والعشق لتلك الآثار، مما جعلهم يكشفون عن آثار جديدة على الرغم من الجهود الكبيرة لعلماء الحملة الفرنسية قبلهم تجاه تلك الآثار.

● أخميم

لقد كان أهم الآثار التي جذبت إليها الرحالة بأخميم هو المعبد الذي شيده بطليموس فيلوباتور، فكل الرحالة الذين توجهوا لزيارة آثار مصر العليا كانوا يمرون بذلك المعبد مدونين ملاحظاتهم عليه وإعجابهم به.

أما أهم الأجزاء الجديدة التي تم كشفها في ذلك المعبد هو كتلتان من الحجر ملقاتان على الأرض في الجهة الشمالية للمعبد وجدهما شامبليون، الذى استطاع أن يحدد هويتهما وأنهما بقايا باب شُيِّد في عهد الإمبراطور تراجان Trajan[١].

ولقد كان بعض الرحالة يستهجنون سلوك الأهالي، فمثلاً الرحالة الفرنسي كادلفين الذي شعر بالحزن عند زيارته لذلك المعبد والذي تنتزع أحجاره لإقامة المنشآت الحديثة بواسطة الأهالي، فقد رأى كادلفين أن هذا المعبد الرائع والذي يحمل عناصر العمارة المصرية واليونانية على حد سواء لا يجوز أن تنتزع أحجاره بتلك الطريقة المدمرة[٢].

والرحالة بريس دافين الذي مر على أخميم وشاهد معبدها وأعجب بما يحمله المعبد من عناصر معمارية وفنية رائعة وقدم وصفًا له مشابهًا لوصف سابقيه، وشعر أن هذا المعبد البطلمي أكبر دليل على المزج بين الفنين المصري واليوناني[٣].

---

(١) شامبليون في مصر: الرسائل والمذكرات ، المرجع السابق، ص ٧٠.

(2) Clément, les Francais d' Egypte au XVII et XVIII Siecles, Cairo, IFAO, 1960, p.150.

(٣) إدريس أفندي، إدريس أفندي في مصر. مذكرات الفنان والمستشرق الفرنسي بريس دافين في مصر (١٨٠٧ ـ ١٨١٩)، ترجمة أنور لوقا، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢١.

وأشار كادلفين أنه على بعد من أخميم توجد مدينة تسمى طهطا تحوي عددًا من المقابر القديمة، وأشار إلى أبحاث علماء الحملة في ذلك الشأن، ولكنه رأى أن المقابر أجمل من الوصف الذي قدم في موسوعة وصف مصر، وأشار أيضًا إلى نزلة الشيخ هريدي التي قام Lapie برسمها وتقديم تعليق على تلك المنطقة الرائعة من طهطا(١).

● دندرة

لقد جذب هذا المعبد أنظار كل من رآه سواء قبل الحملة على مصر أم بعدها، فالمعبد الذي جذب أنظار رحالة القرن الثامن عشر واستهوى جنود الحملة وعلماءَها استهوى أيضًا رحالة القرن التاسع عشر، وبدءوا في البحث والتنقيب داخل ذلك المعبد ربما يعثرون على شيء جديد.

وأشاد الرحالة الفرنسي Poitov بعظمة البناء داخل ذلك المعبد والذي يعطي صورة رائعة عن الفن الفرعوني والعمارة المصرية القديمة، واعتبر Poitov أن هذا المعبد من أروع المعابد المصرية التي رآها، بل إنه أروع من الوصف الذي قرأ عنه قبل مجيئه إلى مصر(٢).

وظل البحث والتنقيب داخل المعبد، إلى أن عثر الرحالة كادلڤين Cadalvene على هيكل يرجع للعصر البطلمي ولقد خصص هذا الهيكل لعبادة الإلهة إيزيس، ووجد معبدًا صغيرًا للإلهة حتحور(٣).

أما عن أمبير الذي زار مصر في القرن التاسع عشر، فقد زار المعبد أيضًا وكتب عنه الكثير وأشار إلى روعة البناء الذي استحق الدراسة القيِّمة التي قام بها شامبليون عن ذلك المعبد(٤).

---

(1) M . Cadalvene, F . De Breveny, L' Egypte et La Nubie, Paris, 1841, Tome I, p. 296.

(2) Eugene Poitou, Un Hiver en Egypte, Paris, 1860, p. 395 - 396.

(3) adalvene, Op. cit., Tome I, p. 304.

(4) J. J. Ampére, Voyage en Egypte et en Nubie, Paris, 1868, P. 355 - 356.

أما عن شامبليون الذي قدم دراسة عن ذلك المعبد، فقد أشاد بروعة البناء داخل هذا المعبد، ولكنه رأى أن اللغة الهيروغليفية رديئة وغير واضحة المعالم وأرجع السبب في ذلك: إلى أن المعبد ينتمي للعصر البطلمي حيث أن اللغة المصرية القديمة لم تعد في ذروتها كما كانت فيما قبل، والعجيب أن شامبليون تعجب بل واستنكر نقل برج الفلك إلى باريس لأن ذلك يهدد المعبد بالهدم[١].

وقام شامبليون بالتنقيب في قفط التي عثر فيها على أنقاض معبد فرعوني تم هدمه بواسطة الأقباط، واستنكر شامبليون هذا الفعل من الأقباط حيث أن تلك المعابد التي تم هدمها كانت ستفيده بكل تأكيد في دراساته عن اللغة المصرية القديمة[٢].

• الأقصر

تلك المدينة التي حظيت بطابَع خاص في الدراسات التي كانت قائمة في القرن التاسع عشر وحظيت أيضًا بالتنقيب ونسبة كبيرة من سرقة الآثار التي استفحلت إبان ذلك القرون، فقد ذهب إلى الأقصر وأقام بها فترة طويلة كل الأسماء تقريبًا التي سبقت الإشارة لها أمثال بريس دافين وسولت ويلكنسون وبلزوني وشامبليون ولبسيوس ومونتوليه وجميعهم شعروا بقيمة آثار تلك المدينة.

ومن الشخصيات المهمة التي كانت تعيش بالأقصر يوناني يدعى ترياندافيلو الذى كان يقيم بين مقابر القرنة بالأقصر. وينقب عن الآثار ويقوم ببيعها ويتكسب من تلك التجارة، ووصل إلى خبرة جعلته يحدد أماكن الآثار التي بيعت في أوروبا منذ أربعين عامًا[٣].

وعلى الرغم من أن هؤلاء الرحالة كانوا يأخذون من تلك الآثار كما سبق الإشارة فإن بعضهم كان يستنكر أن تتعرض آثار الأقصر للنهب الشديد بواسطة

---

(١) شامبليون في مصر، المرجع السابق. ص ١٧٢.

(٢) نفسه. ص ١٧٢.

(٣) إلهام محمد علي ذهني. المرجع السابق. ص ٢٩١.

الأوروبيين أمثال الرحالة الفرنسي مونتوليه Montule الذي أشار إلى نهب المقابر بواسطة الأهالي المقيمين بالأقصر وبمساعدة كل من فرنسا وبريطانيا بواسطة قناصلهم؛ مما أدى إلى نهب معظم المقابر الكائنة بالأقصر مما يهدد آثار تلك المنطقة بالفناء بسبب معاونة الأهالي الشديدة للأوروبيين في ذلك الشأن[١].

لقد كتب شامبليون العديد من الدراسات عن تلك المنطقة، فكتب عن وادي الملوك، وحاول شامبليون من دراسته لتلك المنطقة أن يتطرق إلى أصحاب المقابر بعيدًا عن التصميم المعماري أو العناصر الزخرفية لتلك المقابر التي توجد بوادي الملوك والتي سبق أن قدم العالم Costaz دراسة عنها في وادي الملوك.

فدراسة شامبليون جاءت بعدد من النتائج عن تلك المنطقة، أولها أن تلك المقابر خاصة بملوك طيبة دون غيرها وبالتحديد ملوك الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين، وأشار إلى عثوره على مقابر كُلٌّ من رمسيس الأول ومرنمبتاح الأول ورمسيس الأكبر ومرنبتاح الثاني ورعميري[٢].

وتوصل إلى أن الملك هو الذي يقوم بحفر مقبرته بنفسه قبل موته، لأنه يعدُّها مثواه الأخير وأن هذا الشأن يتطلب جهودا كبيرة من الملوك؛ وأيضًا وقتًا طويلاً ليخرج في تكوين المقبرة بمنظر رائع[٣].

وفي حديث شامبليون عن الرامسيوم أشار إلى أخطاء السابقين كما أشرنا سابقًا، فقال أن هذا الأثر الذي يعرف الآن بالرامسيوم كان الرحالة يشيرون إليه باسم قصر ممنون وأسماه الفرنسيون مقبرة أوسيمندياس ولكنه من خلال ترجمته للنصوص التي يحويها المعبد، استطاع أن يعرف اسم المعبد المنتمي لرمسيس والمعروف باسم الرامسيوم[٤].

---

(١) نفسه، ص٣٩١.

(٢) شامبليون في مصر، المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(٣) نفسه، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٤) نفسه، ص٢٩٧.

وفي منطقة وادي العساسيف بطيبة والتي أشار إليها جولوا وفيلير Jollois &Villiers باسم الأنقاض الواقعة إلى شمال مقبرة أوسيمندياس، أراد شامبليون تحديد تاريخ تلك المنطقة التي لم تُثِر انتباه الرحالة وذلك لتهدمها الشديد واستطاع شامبليون أن يقرأ اسم الملك تحتمس الثالث على تلك الأنقاض، الأمر الذي ساعده في تحديد تاريخ للأثر وهو الأسرة الثامنة عشرة(١).

كما قدم شامبليون وصفًا لكل من تمثالي ممنون وقصر ممنون ومعبد إيزيس، وكل هذا مستعينًا بدراسات علماء الحملة عن تلك المناطق الأثرية.

وفي إشارة رائعة لمدينة هابو وآثارها قال شامبليون إن تلك المنطقة هي لوحة موجزة للآثار المصرية: لأن بها معبدًا يرجع للملوك الأوائل للأسرة الثامنة عشرة، وقصرًا يرجع للأبطال الفاتحين، وبناءً يعود إلى الاضمحلال الأول إبان الغزو الإثيوبي، وبابًا يعود للأسرة اليونانية وأروقة من العصر الروماني وبقايا كنيسة قبطية تستند على أعمدة معبد(٢).

وفي وصف معبد الكرنك أطلق كلوت بك عليه أنه أكبر أثر في العالم وأكبر آثار القطر المصري على الإطلاق، وأشار إلى أن ملوك الأسرة الثامنة عشرة هم الذين أنشَئُوا ذلك الأثر، ثم أضيفت إليه أجزاء أخرى لاحقة لوقت الإنشاء، ولكن هناك إشارة غريبة من كلوت بك وهو أن الملكة أمينة هي التي بَنَت المسلتين(٣).

وفي زيارة شامبليون لمنطقة الكرنك شاهد المنطقة التي انتزع منها وليم بانكس السبع عشرة كتلة حجرية التي تصور القائمة العددية، والتي دخلت ضمن مجموعة سالت وأرسلت إلى اللوفر تحت رعاية شامبليون ذاته، وأيضًا على صالة الأجداد الخاصة بالملك تحتمس الثالث والتي نقلت أيضًا إلى اللوفر(٤).

---

(١) نفسه، ص٣١٥.

(٢) شامبليون في مصر، المرجع السابق، ص ٣٣١.

(٣) أ. ب. كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، ج٢، القاهرة، ص ٨٠٢.

(٤) شامبليون في مصر، المرجع السابق، ص ٣٧٧.

لقد ركزت الباحثة في ذلك الجزء على كتابات شامبليون؛ لأن كتاباته كانت مختلفة عن غيره في تضمنها معلومات تاريخية ناتجة من ترجمته للغة الهيروغليفية ويتم عرضها لأول مرة.

ومن أهم أجزاء المعبد التي كانت تثير اهتمام الرحالة في القرن التاسع عشر هي المسلات التي يعدُّونها كأنها تصل للشمس من شدة الارتفاع، وأنها أروع أجزاء المعبد وتحوي رموزًا دينية مختلفة جديرة بالدراسة(١).

ولقد كان هؤلاء الرحالة يتخذون من مقابر وادي الملوك بطيبة مناطق للإقامة وتخزين المعدات؛ لدرجة جعلت شامبليون يحتفل بعيد ميلاد ابنته في مقبرة سيتي الأول التي كشفها بلزوني(٢).

وفي إسنا؛ تم تقديم وصف للمعبد مشابه لما تم وصفه في أبحاث علماء الحملة والتي بها معبد يرجع للعصر الروماني خصص لعبادة الإله خنوم وشيد بواسطة الإمبراطور تراجان، وأيضًا معبد شيده بطليموس ولكنهم أشاروا أن هذا المعبد تحول إلى مخزن للقطن(٣).

وفي إدفو، أُعجب الرحالة بمعبد إدفو وخاصة بواباته الضخمة وهي السمة المميزة للمعابد المصرية القديمة، وأن معبد إدفو به عناصر من الفن الفرعوني والبطلمي على حد سواء مشابهة للآثار الرائعة الموجودة بدندرة والتي بهرت الجميع بجمالها(٤).

- **كوم أمبو**

كشف شامبليون عن وجود معبد كان مبنيًا تحت المبنى الحالي وربما كان هذا المعبد كرس لعبادة الإله سبك ويرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة فى عهد الملك

---

(1) Le Comte De Forbin,Voyage dans le Levant en 1817 et 1818, Paris, 1818, p . 88.

(٢) إلهام محمد علي ذهنى، المرجع السابق، ص ٢١٤.

(3) Cadalvéne, Op. cit., Tome II, p. 414.

(4) Montulé, Voyage en Amerique en Italie Sicille et en Egypt, Pendant les Annes 1816 - 1817 - 1818 - 1819, Paris, Tome I, 1821, p : 228

تحتمس الثالث، وعرف ذلك نتيجة لعثوره عند المعبد على بقايا باب يحمل اسم الملك تحتمس الثالث[١].

وأشار شامبليون بأن دراسة علماء الحملة لتلك المنطقة كان كافيًا للغاية للإحاطة بكل ما تحمله المنطقة من عناصر أثرية.

• **جزيرة إلفنتين**

التي تحوي معبدين أحدهما تم تدميره واستطاع أمبير أن يكشف فيه بقايا باب عليه اسم الإسكندر الأكبر. لذا أشار أن مُشيد هذا المعبد هو الإسكندر الأكبر، وتم العثور على آثار لمقياس النيل الذي كان يبحث عنه علماء الحملة: لأنه كان موجودًا في كتابات الجغرافي إسترابون[٢].

• **فيلة**

أشار شامبليون أنها تحوي خليطًا من الآثار المصرية القديمة والآثار اليونانية والآثار الرومانية، وعثر شامبليون على لوحات ترجع للدولة الحديثة تمثل انتصارات الملك تحتمس الرابع على الليبيين، وأيضًا لوحة تمثل انتصار الملك أمنحتب الثالث[٣].

بيت الوالي

الذي قال عنه شامبليون إنه آخر الآثار الرائعة بين طيبة وكلابشة، وعثر فيه شامبليون على عدد من اللوحات خاصة بالملك سيزوستريس، وتمثل انتصارات عسكرية لهذا الملك على الليبيين والإثيوبيين[٤].

---

(١) شامبليون في مصر. المرجع السابق. ص ١٨٧.

(2) Ampére. Op. cit.. p. 458 - 459.

- Cadalvéne. Op. cit.. Tome I. p. 366.

(٣) شامبليون في مصر. المرجع السابق. ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٤) نفسه. ص ٢٤٠. يقصد بالإثيوبين الكوشيين (السودانيين القدماء).

كلابشة

التي عثر فيها شامبليون على معبدين يرجعان لعصر الملك أمنحتب الثاني من الأسرة الثامنة عشرة وبه إضافات ترجع لعهد البطالمة والرومان وخُصص لعبادة آمون إله الخلق في طيبة القديمة(١).

كما ذكر شامبليون الآثار الواقعة بين أبي سمبل وكلابشة والتي معظمها في حالة سيئة والكائنة بـ دندور ودكا ووادي السبوع وعمدا وجرف حسين ودراو وإبريم وكورسكو، وجميعها في عداد المدن النوبية وبها بقايا معابد مصرية وتماثيل صغيرة.

- **معبد «أبو سمبل»**

الذي به معبد أنشأه الملك رمسيس الثاني ويعد من أروع المعابد المصرية، وأشار شامبليون إلى روعته التي تستحق الذهاب إلى النوبة لمجرد الاستمتاع بهذا المعبد الرائع. وقد أزال شامبليون الرمال من أمام المعبد حتى يستطيع الدخول، وواجهة المعبد أمامها أربعة تماثيل خاصة بالملك رمسيس الثاني(٢).

ويوجد معبد آخر يرجع للدولة الحديثة وأيضًا عصر الملك رمسيس الثاني أو رمسيس الأكبر كما أطلق عليه، وهذا المعبد بنى بواسطة الملكة نفرتاري زوجة الملك رمسيس الثاني وكُرِّس هذا المعبد لعبادة الإلهة حتحور(٣).

وعلى الرغم من أن بلزوني كتب عن معبد أبي سمبل وقدم وصفًا له، فإن شامبليون جاءت كتاباته أشمل وأدق فقد قدم وصفًا لكل لوحات المعبد، وأشار أن رمسيس الأكبر قد حول الجبل إلى قصر رائع ووضع أمامه أربعة تماثيل ضخمة(٤).

---

(١) نفسه، ص٢٣٣.

(٢) نفسه، ص ٢١.

(٣) نفسه، ص١٨٨.

(٤) نفسه، ص٢١-٢٢.

جدير بالذكر أن علماء الحملة الفرنسية لم يتطرقوا للآثار بعد فيلة؛ لذا فلا نجد في أبحاثهم تلك الآثار التي قام شامبليون بوصفها وتقديمها وخاصة معبد أبي سمبل الذي يحظى حاليًا بمكانة كبيرة بين الآثار المصرية.

وإذا قارنًا بين كتابات شامبليون وأبحاث علماء الحملة عن آثار مصر العليا سنرى أن وجهة النظر في الرؤية لتلك الآثار مختلفة. فشامبليون استطاع معرفة أصحاب تلك المعابد وأسمائهم والعصر الذي ينتمون إليه، وهو الشيء الذي حاول علماء الحملة التوصل إليه ولكنهم فشلوا نتيجة لعدم درايتهم باللغة المصرية القديمة.

وعلى الرغم من أهمية ما كتبه شامبليون عن آثار مصر العليا، فإنه وقع في بعض الأخطاء حيث أن علم المصريات كان لا يزال في مهده. فاعتقد أن الدير البحري ودير المدينة والرامسيوم والقرنة كانت قصورًا وبيوتًا سكنية ولم يُشِرْ إلى أنها معابد[١].

وغادرت بعثة شامبليون الكرنك في الرابع من سبتمبر ١٨٢٩م وقدم مذكرة بعد عودته إلى محمد علي باشا، موضحًا فيها كافة المناطق الأثرية التي كانت قائمة في عام ١٨٢٩م / ١٨٣٠م ولقد تميزت جهود شامبليون عن جهود واضعي موسوعة وصف مصر في أنه أضاف إقليمًا جديدًا، ألا وهو إقليم النوبة[٢].

وقد ذكر شامبليون في تلك المذكرة الآثار التي كانت قائمة وذكرت في مؤلفات الرحالة السابقين والعلماء ولكنها غير قائمة، وهي كالتالي:

١ ـ معبد يقع شمال مدينة إسنا.

٢ ـ معبد يقع على الضفة اليمنى للنهر في مواجهة إسنا.

٣ ـ ثلاثة معابد في الكاب[٣].

---

(١) ثروت عكاشة، مصر في عيون الرحالة والفنانين والأدباء فى القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٧٨.

(٢) نفسه، ص١٧٩.

(٣) شامبليون في مصر، المرجع السابق، ص ٤١٧.

ووجه شامبليون نداءً لمحمد علي مطالبًا إياه بإصدار أمر بعدم اقتلاع أحجار من مبانٍ أثرية قديمة معددًا فيه المناطق الأثرية الموجودة في مصر والنوبة؛ لأن تلك الآثار تقع فيها عمليات تخريب وتدمير يقوم بها الفلاحون إما لحسابهم الخاص أو لتجار العاديات، وأن المقابر التي يتم كشفها في العرابة المدفونة والقرنة سرعان ما تتدمر بسبب جشع المكتشفين، لذا فلابد من تنظيم عمليات تلك الحفائر وليس منعها، وذلك حتى يستطيع حماية تلك الآثار العظيمة من أيدي المخربين[1].

وفي رسالة من شامبليون إلى الفيكونت "سوستان دي لاروشفوكو" مدير قسم الفنون الجميلة في البلاط الملكي والمؤرخة في ٢٦ ديسمبر ١٨٢٩، يشير فيها أنه أخرج نقش بارزًا ضخمًا محتفظًا بألوانه من داخل مقبرة والد الملك سيزوستريس بطيبة بالإضافة إلى عدد من التوابيت[2].

وأيضًا في رسالة موجهة منه إلى ديبوا صديقه في ٢٧ ديسمبر ١٨٢٩م يشير أنه لخدمة الفنون، فقد استعمل منشارًا في نزع نقش بارز من جدران مقبرة أوزيرى التي تعد أروع مقبرة ملكية في طيبة. بالإضافة إلى حصوله على عدد من المومياوات والقطع الفنية الفريدة وتمثال من البرونز يرجع إلى الأسرة الـ ٢٢ ومُطعَّم بالذهب الخالص[3].

وهذه الأفعال من شامبليون مناقضة لما سبق وأن ذكر من اهتمامه وحرصه على المقابر وضرورة حمايتها ممن يقومون بأعمال الحفائر، فهو بنفسه استخدم المنشار داخل إحدى تلك المقابر وادعى أنه يفعل ذلك لخدمة الفنون، ولكنه كان يفعل ذلك لمصلحته الخاصة حتى يحظى بحب ملك فرنسا وليس لحماية الفنون المصرية!

---

(١) نفسه، ص٤٢٠.
(٢) شامبليون في مصر، المرجع السابق، ص ٤٢٠.
(٣) نفسه، ص ٤٢٦.

واستمر شامبليون ينقب ويأخذ عدداً من الآثار لصالح اللوفر إلى أن سافر وعُين أستاذاً للتاريخ والأركيولوجية المصرية بالكوليج ده فرانس عام ١٨٣١م، ووضع عدة مؤلَّفات عن اللغة القديمة وعن آثار مصر والنوبة إلى أن توفى في ٤ مارس عام ١٨٣٢م وهو لا يزال فى الثانية والأربعين من عمره. وتسلم مارييت منه الشعلة التي أنارت علم المصريات(١).

ومما سبق يتضح لنا أن هناك أسماء لأثريين ذُكرت في الفترة ما بين ١٨٠٠م - ١٨٥٠م لا نستطيع أن ننساها، سواء بدورها السلبي أو الإيجابي، أما عن الدور السلبي فهو السرقات التي سبقت الإشارة لها، والدور الإيجابي هو العملية الاستكشافية لآثار مصر العليا ووضع العديد من الحقائق تجاه تلك الآثار(٢).

وإن مجيء شامبليون إلى مصر لم يمنع تلك الممارسات السيئة تجاه الآثار فقد كان المندوبون الأوروبيون يأتون لمصر للبحث عن آثارها، وقد كان المصريون يجهلون التاريخ فلا يهتمون إلا بكسب الأموال من الأوروبيين فقط، وأن إنشاء متحف الشيخ رفاعة بالأزبكية لم يمنع تلك الممارسات السيئة تجاه الآثار(٣).

حتى أنشأ مارييت مُتحفاً للآثار في ١٨٥٨م وخلفه ماسبيرو كمدير(٤) للمتحف، ومن الملاحظ مما سبق أن الالتحاق بكل ما هو مرتبط بالآثار سواء من منقبين أو كمديرين بمصلحة الآثار كان حكراً على الأجانب فقط، ولكن بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون بطيبة تم استدعاء عشرة تلاميذ لتعليم فن الآثار المصرية، ففكر يحيى إبراهيم باشا وزير المعارف حينئذ في إنشاء مديرية لتعليم هؤلاء التلاميذ وتم استدعاء كمال باشا(٥).

---

(١) ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(2) John David Wortham, Op. cit., p .60.

(٣) الهلال ٣ نوفمبر، ١٩٢٣، ص ١٢٥، بقلم توفيق حبيب.

(٤) لمزيد من المعلومات عن هذا المتحف انظر:

- Dia Abu Ghazi, Op. cit., p. 15.

(٥) الهلال، نفسه، ص ١٤٠.

على أن يضمن للخريجين الالتحاق بمصلحة الآثار المصرية سواء في المتحف أم فروعه. وقد ألحَّ كمال باشا في وقت سابق لذلك على ماسبيرو مدير المتحف ليُنشئ مدرسة مجاورة للمتحف لتعليم اللغة المصرية[1].

ولقد عُني الخديو اسماعيل كثيرًا بالآثار المصرية عمن سبقوه، فلم يكتفِ بإنشاء المتحف بل أسس مدرسة لتعليم اللغة المصرية القديمة ببولاق وعين الأستاذ بروكش باشا مديرًا لها بمرسوم أصدره في أغسطس سنة ١٨٦٩م. وأراد بروكش أن يلحق طلبة هذه المدرسة بالمتحف المصري ولكن مارييت رفض ما عدا كمال باشا الذى عُين في وظيفة أمين مساعد للمتحف[2].

وكان كمال باشا أستاذًا للحضارة القديمة في الجامعة المصرية، وتوالى بعدها ظهور عدد من الأثريين المصريين الذين تتلمذوا على يد أحمد كمال باشا، وهم سليم حسن ومحمود عبد الوهاب ومحمد فهيم والدكتور حسن كمال ورياض جندي مالطي ورمسيس شافعي وأحمد البدري، وسافروا للوجه القبلي لدراسة آثار مصر العليا[3].

وبدأ المصريون يشعرون بانتماء تجاه تلك الآثار وجرمت تجارة الآثار تجريمًا تامًا؛ بل وأصبحت الصحف المصرية تهتم بأمور تلك الآثار وتكتب عن الاكتشافات الحديثة والمهمة مثل الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون[4].

ومما لا شك فيه أن استحداث علم المصريات ليشمل علماء آثار مصريين مَدِين بالكثير لأحمد كمال باشا في ذلك الشأن[5].

---

(١) نفسه، ص١٣٨.
(٢) نفسه، ص١٣٦ ـ ١٣٧.
(٣) نفسه، ص١٣٩.
(٤) المقتطف، العدد ٦٣ ـ نوفمبر عام ١٩٢٣، ص ١٩:.
(٥) لترجمة حياة أحمد كمال باشا، انظر: المقتطف، المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٧٧.

وبدأ الوعي الأثري ينتشر وسَعَت الحكومة في العصور الحديثة إلى الآثار المبعثرة في المتاحف الخارجية للحصول على بعضها، بل وحاليًا تستخدم بعض القطع الأثرية في متاحف حول العالم لتنشيط حركة السياحة(١).

ومما لا شك فيه أن دراسة علماء الحملة للآثار كانت فاتحة شهية لعدد من لصوص الآثار الأوروبيين للسطو على تلك الآثار التي قرءوا عنها؛ وبهذا يكون هناك آثار إيجابية وآثار سلبية للحملة الفرنسية في مصر تجاه الآثار.

جدير بالذكر أن شراء القطع الأثرية في مصر في القرن التاسع عشر كان أمرًا مباحًا ويسمح به القانون. وبجانب تلك التجارة استمر التهريب، ثم بدأ اتخاذ الإجراءات الرادعة ضده حتى زال تمامًا ولقد تقرر بشكل قاطع إغلاق مَحالِّ بيع الآثار في مصر(٢).

وسواء وصلت تلك القطع الفنية بطريق مشروع أم غير مشروع فإنها تروج في العالم قيم الحضارة المصرية، وتترك بصمة عند كل من يراها وتزرع بداخله رغبة عارمة في زيارة تلك المناطق الأثرية التي كانت تحوي تلك القطع الفنية الرائعة.

ووصل الأمر في تلك الممارسات تجاه آثار مصر العليا أنه كانت تُؤخذ أجزاء كاملة من معابد ويتم تجميعها بالخارج؛ مثل غرفة الأسلاف والمصطبة التي كانت توجد بمعبد الكرنك والتي تم أخذها وتجميعها في متحف اللوفر(٣).

وبذلك أصبح هناك أقسام للدراسات المصرية القديمة داخل المتاحف: مثل اللوفر وبرلين وتورين والمتحف البريطاني ومتروبوليتان وبوسطن(٤).

وحاول ورثة محمد علي من الحدام الضهور بمظهر حُماة للآثار. فقد زار الخديو توفيق الصعيد في عام ١٨٨٠م في موكب ضخم وزار دندرة وإسنا وجزيرة

---

(١) البيان. الأربعاء ٨ جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ - ١٦ أغسطس ٢٠٠٣، العدد ١٩٦.

(٢) دومينيك فاليل وعلم المصريات. ترجمة لويس بقطر القاهرة ، ١٩١٤، ص ١٥١.

(3) Ibid. p . 154.

(4) Ibid .. p . 125.

فيلة والأقصر والكرنك، ثم زارها بصحبة عدد من الأمريكان مرة أخرى في عام ١٨٩٠م فرأى دندرة والكرنك ووادي الملوك والرامسيوم وإسنا وإدفو وكوم أمبو وأسوان وفيلة[١].

وبهذا تكون الحملة الفرنسية بمثابة فاتحة خير للاهتمام بالصعيد وآثاره عن طريق تسليط الضوء عليه، وفى المقابل كان الصعيد بمثابة الكنز الذي استغله الفرنسيون أسوأ استغلال للاستفادة من تلك الكنوز وحملها معهم إلى بلادهم. وستبقي مصر خالدة بتراثها وآثارها وحضارتها رغم أنف كل محتل أو حاقد.

---

(١) دونالد مالكوم ريد، المرجع السابق، ص ٢٩٤.

الخاتمة

من خلال العرض الذى قدم فى فصول هذه الدراسة نستطيع أن نقف على عدد من الحقائق المهمة والتي لا يجب أن يغفل عنها أي دارس لتاريخ مصر وحضارتها: وهى كالتالى:

١ ـ لقد كان الشائع بالنسبة إلى دارسي التاريخ المصري الحديث أن الحملة الفرنسية هى التى كشفت النقاب عن آثار مصر وهى أول من تحدث عن وصف تلك الآثار. ولكن من خلال الدراسة نستطيع أن نجزم أن رحالة القرن السابع عشر والثامن عشر لهم السبق فى الحديث عن تلك الآثار.

٢ ـ يبدو أن العرب قُبيل الحملة لم تكن الآثار القديمة تعنى شيئا لهم. لذا فلم نجد مصادر عربية سابقة للحملة تتحدث عن تلك الآثار إلا قليلاً جداً؛ سواء من المقريزى أم المسعودى أم أبى عبيد البكرى.

٣ ـ كل من الحكام والمحكومين قبيل الحملة لم يهتموا بالآثار المصرية. ولم يعرفوا قيمتها. بل كانوا يستخدمون المقابر كاستراحات شخصية ويعبثون بالآثار وهذا بشهادة الرحالة السابقين للحملة.

٤ ـ إن الآثار المصرية القديمة (الفرعونية) هى التى جذبت أنظار الرحالة وعلماء الحملة عما دونها من الآثار القبطية والإسلامية، ربما لعدم وجود نظائر لتلك الآثار القديمة فى بلادهم.

٥ - على الرغم من أن علماء الحملة الفرنسية ليس لهم السبق فى الاتجاه لآثار مصر العليا وأن فنان الحملة دينون لم يكن أول من وضع رسومًا عن مقابر ومعابد مصر العليا فإنهم قاموا بالعديد من الجهود تجاه تلك الآثار قسمتها الباحثة إلى:

(أ) جهود وصفية استكشافية؛

(ب) جهود تحليلية.

فلقد قدموا وصفًا ودراسة شاملة كاملة الأركان عن تلك المعابد وكشفوا النقاب عن معابد لم يكتشفها الرحالة، وقاموا بتحليل العناصر المعمارية والفنية التى تحويها تلك المعابد والمقابر بصورة جعلتهم يتحدثون بدقة عن أغلب حياة المصرى القديم: باستثناء نقطة الديانة التى كانت محيرة بالنسبة للعلماء نتيجة لجهلهم باللغة المصرية القديمة.

٦ - إن علماء الحملة أنفسهم لم يتجاهلوا كتابات الرحالة السابقين بل هى التى حفزتهم للمجىء لمصر وصعيدها لدراسة تلك الآثار.

٧ - لقد قامت تلك الجهود السالف ذكرها على أكتاف عدد من العلماء الذين لا نستطيع أن ننساهم فى دراستنا للمناطق الأثرية لمصر العليا، وهم:

(أ) الفنان فيفيان دينون

(ب) المهندسان جولوا وديفيليه

(ج) المهندس جومار

(د) المهندس سانت جينس

(هـ) كوستاز

(و) شابرول

(ز) ميشيل إنج لانكريه.

كان هؤلاء هم الأعمدة التى تأسس فوقها علم المصريات كلٌ بدوره بالإضافة لعدد آخر من الفنانين والضباط؛ وإن كانت جهودهم أقل من السابق ذكر أسمائهم.

٨ - يرجع الفضل فى تأسيس علم المصريات إلى التواجد الفرنسى بمصر؛ وذلك لأنهم قدموا آثار مصر القديمة إلى العالم الأوروبى فى ضوء موسوعة وصف مصر بصورة حفزت العديد من الرحالة للقدوم إلى مصر ودراسة آثارها.

٩ - من هؤلاء الرحالة من أطلقنا عليهم قراصنة الآثار نتيجة لعمليات النهب المستمرة التى قاموا بها بصورة جعلت متاحف العالم ممتلئة بالآثار المصرية.

(أ) الآثار الإيجابية

لقد كان لأبحاث علماء الحملة على آثار مصر العليا، دور كبير فى الحفاظ على ملامح هذه الآثار، فقد كانت جهودهم الوصفية لها دور كبير للدارسين فى توضيح أماكن المناطق الأثرية، أما جهودهم التحليلية، فقد ظهرت نظريات كثيرة بعد قيام العالم الفرنسي شامبليون بفك رموز حجر رشيد مما أضاف الكثير للجهود التحليلية التى قام بها علماء الحملة؛ فمثلا بأخميم وفى البحث الذى سبق ذكره تم شرح معبدين موجودين بأخميم، وأحدهما مهدم تمامًا ولكنهم وصفوا بعض النقوش على الأحجار المهدمة والتى لا نجدها الآن ربما أخذ هذه الأحجار سكان المنطقة، جدير بالذكر أنهم أوضحوا أن المعبد الأول مهدى للإله بان وهذه المعلومة كانت صحيحة، وهو إله الخصوبة اليوناني والمقابل له الإله المصرى (مين)[1].

وفى أبيدوس إشارة فى هذا البحث أن هناك مقابر موجودة فى مدينة أبيدوس، وبالتحديد داخل المعبد من الطرف الجنوبى لأنقاض المدينة إلى الشمال

(1) Richard Willkinson, Op. cit., p. 142.

الغربى. وهو الشىء الذى لا نراه الآن فى الأبحاث المتعلقة بدراسة هذه المنطقة، ولقد ذكر فى هذا البحث أن ممنون هو الذى بنى مدينة أبيدوس. وهو أمر غير صحيح[1].

وفى معبد دندرة الذى قدم له علماء الحملة دراسة وافية وتم وصف لبرج الفلك الكائن بداخل المعبد وهو غير موجود الآن حيث انتزع بواسطتهم ويقع الآن بمتحف اللوفر، ولكننا علمنا مكانه من خلال أبحاثهم حيث إنه غير موجود الآن[2].

وفى قفط، قدم علماء الحملة وصفًا لأنقاض معبدين أرجعوهما إلى العصر اليوناني على الرغم من أن أحدهما مبنى على الطراز الفرعونى، وأشاروا إلى وجود بقايا مواد من الجرانيت تقع فى الجهة الشمالية. وهى غير موجودة الآن حيث إنها فى متحف بوسطن Boston للفنون الجميلة، ومن وصفهم استطعنا أن نعرف أين تقع هذه البوابة تحديدًا[3].

وبقوص التى لا يوجد بها الآن سوى بقايا لبوابتين لمعبد بطلمى أشار علماء الحملة أنهم وجدوا مقصورة من الجرانيت الأسود والتى توضع داخل قدس الأقداس، وهى موجودة على مقربة من صهريج وتحمل نقوشًا هيروغليفية وهى غير موجود منها الآن بالمعبد[4].

وبالكرنك فى طيبة والذى وصف بأنه أروع المعابد المصرية على الإطلاق وحظى بمكانة كبيرة فى الدراسة الوصفية والتحليلية، تم إعطاء صورة واضحة عن معالم جميع أجزاء المعبد ومسلاته. والوصف الذى تم تقديمه مطابق للوصف

---

(1) Ibid., p. 144.

(٢) وهى تحسب لهم وعليهم فى ذات الوقت فوصفهم أعطانا فكرة كاملة عن برج الفلك، ولكنهم أيضًا انتزعوه من مكانه وأخذوه لهم وهو شىء غير مقبول.

(3) Ibid., p. 150.

(4) Ibid , p., 15.

الحالى باختلاف النتائج والصفة التحليلية التى قدمت عن المعبد. وعلى اعتبار أن بعض أجزاء المعبد كانت مغطاة بالرديم وتم إزالة الرديم منها[1].

وفى غرب طيبة، أولا مدينة هابو لم يختلف وصف علماء الحملة لكل أجزاء مدينة هابو الأثرية عن وضعها الحالى. فالقارئ الذى يطَّلع على الأجزاء المكونة لها سواء المعبد الكبير أم الصغير أم ملحقات المعبدين سيشعر بأنه داخل المعبد الحالى، هذا لدقة الوصف على الرغم من عدم معرفتهم لصاحب الأثر. ولكن حدث هناك خلط للأوراق فى وصف ما أطلق الفرنسيون عليه معبد رمسيس الثانى وأسماه الرحالة قصر ممنون. فقد كان تعبير الرحالة أدق وأوقع من ذلك الوصف المطابق لمعبد أمنحتب الثالث الجنائزى وهو بعيد كل البعد عن معبد رمسيس الثانى.

لذا: على القارئ أن ينظر إلى الوصف الحالى للأثر ويقارنه بالموجود فى وصف مصر: حتى يستطيع تحديد هوية الأثر لوجود بعض الأخطاء كالتى سبقت الإشارة لها، ووصفوه أيضا باسم مقبرة أوسيمندياس. مع أن هذا الاسم يرجع إلى رمسيس الثانى (اليونانى للاسم).

وفى مقبرة أوسيمندياس والتى جاء وصفها مطابقا لمعبد الرامسيوم نجد أنهم استعانوا بكتابات كُلٍّ من هيرودوت وديودورس الصقلى على أن هذا المعبد ينتمى لأوسيمندياس أو رمسيس الثانى، وجاء وصفهم لتمثال أوسيمندياس وصفًا دقيقًا على الرغم من أنه مجرد بقايا ولا يزال على وضعه.

وحاليا يوجد العديد من المعابد بالمنطقة الغربية لطيبة والتى لم تذكر فى أبحاث علماء الحملة، ربما أنها تم الكشف عنها فى عصر لاحق لأبحاث الحملة مثل معبد تحتمس الثالث ومعبدَى منتوحتب وحتشبسوت بالدير البحرى ومعبد رمسيس الرابع ومعبد مرنبتاح.

---

(1) Jill kamil op.cit.,p.59-63.

وليس معنى ذلك أن نقلل من دور علماء الحملة فى كشف النقاب عن العديد من آثار تلك المنطقة، بل ونقدر لهم جهودهم التحليلية لهذه المنطقة على الرغم من عدم درايتهم الكاملة باللغة الهيروغليفية وإن كل ما أشاروا إليه كان مبنيًا على التفكير والاستعانة بكتابات المؤرخين فقط.

وهناك بعض المعابد حالتها الآن أفضل مما وصفها علماء الحملة فى أبحاثهم. وقد يتعجب القارئ من هذا فالمعروف أنه بمرور الوقت تتدهور الحالة التى عليها الأثر، ولكن نتيجة لعمليات الترميم المستمرة والتى تقوم بها الحكومة حيال هذه الآثار قد ساعد على تحسين وضعها، وأيضًا نتيجة لوضع حدود فاصلة بين السكان والمناطق الأثرية.

(ب) الآثار السلبية

على الرغم من الجهود العظيمة التى قام بها علماء الحملة تجاه الآثار المصرية: فإن ذلك لم يمنع بعض الآثار السلبية التى نتجت عن ذلك الاهتمام والمتمثلة فى مجموع الآثار التى تم أخذها بواسطة علماء الحملة. على الرغم من أن الإنجليز عند جلاء الحملة أخذوا عددًا من القطع الفنية التى استولى عليها العلماء.

وفى دندرة التى حظيت بجانب كبير من الدراسة بواسطة علماء الحملة أخذ العلماء منها جزءًا مُهمًا جدًا محفوظ الآن بمتحف اللوفر. ألا وهو برج الفلك والذى يعد علامة مهمة تبين علم الفلك فى مصر القديمة، وفقدانه بكل تأكيد كان إضرارًا بالأثر.

وفى طيبة وخاصة عند المقابر، تم العثور على آلاف المومياوات والتمائم والتماثيل سهلة الحمل ومعظمها فى حالة سليمة وأجود من التى عثر عليها فى مصر السفلى. قام علماء الحملة بجمع كل تلك الأشياء، بالإضافة إلى أجزاء من الحوائط التى كانت تحويها المقابر.

ولقد تم تدمير العديد من المومياوات عند فحص تلك المقابر. فقد أشار چومار Jomard فى بحثه أنه حاول أن يأخذ مومياء لتكون مثالاً لما يتم وصفه

ولكنه فصل الذراع وحملها إلى القاهرة. بالإضافة لإحضاره عددًا من الأقمشة التى تم العثور عليها داخل إحدى المقابر.

ولقد قام العديد من أعضاء البعثتين بإحضار تماثيل نصفية بالحجم الطبيعى ومصنوعة من مواد قيِّمة، فكل من كان يتجول ويعثر على شىء يأخذه معه بدافع الاحتفاظ بتلك الأشياء الغريبة.

جدير بالذكر أن أول من تعرض لمومياوات طيبة هم علماء الحملة الذين كانوا يحضرون أحيانًا بقايا المومياوات المحطمة والتى كانوا يمرون عليها أثناء دخولهم المقابر ويشعلون فيها النيران؛ مما جعلنا نفقد عددًا كبيرًا من المومياوات التى ربما نبحث عنها حتى الآن.

وبالإضافة إلى بعض الأقنعة التى كانت تغطى المومياوات والتى أخذ منها العلماء عددًا كبيرًا سواء المصنوعة من الخشب أم المصنوعة من المواد النفيسة كالذهب والفضة؛بالإضافة إلى عدد من التماثيل المرصعة بالذهب والمصنوعة من الخشب والخاصة ببعض الطيور المقدسة فى مصر القديمة: بالإضافة إلى تماثيل ابن آوى ومجموعة من الصناديق التى كان المصريون القدماء يعتقدون بأن المتوفى يحتاجها فى الحياة الأخرى، بالإضافة إلى عدد كبير من الجعارين المصنوعة من الحجر أو الفَخَّار. وقد أحضر فيلوتو المصاحب للبعثة العلمية للصعيد جعرانا كبيرًا مصنوعًا من الجرانيت.

بالإضافة إلى عدد كبير من البرديات المهمة. ومما لا شك فيه أن تقديم الحملة الفرنسية للحضارة المصرية القديمة إلى العالم الأوروبى نتج عنه زيادة فى اعداد المقبلين على مصر بغرض السياحة، ونتج عنه ظهور العديد من العلماء الذين درسوا علم المصريات. وإن كانت هذه إشارة إيجابية لجهود الحملة، ولكنها أيضًا تحمل طابعًا سلبيًا حيث إن قراصنة الآثار والسابق الإشارة لهم، قد أتوا إلى مصر بعدما قدمته الحملة الفرنسية من وصف ينم عن روعة تلك الآثار. بالإضافة إلى عمليات نهب الآثار التى كانت فى وقت لاحق للحملة والتى أشرنا إليها.

وإن كانت مصر مدينة للحملة بالدعاية التى قدمتها الحملة عنها للعالم الأوروبى، إلا أن الحملة مدينة لمصر بهذا الكَمِّ الهائل من الآثار المهمة التى فقدتها مصر، نتيجة لتلك الدعاية. ولتكن تلك الدراسة خطوة على طريق الباحثين لتكملة باقى جهود الحملة وآثارها تجاه آثار مصر السفلى والوسطى. حتى يستطيع قارئ التاريخ الحديث معرفة كافة الاهتمامات بالمناطق الأثرية المصرية أثناء التواجد الفرنسى بمصر.

الوثائق والمصادر والمراجع

وثائق منشورة

عربية

- صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت في مصر، لاديكاد إيجبسين، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٧١.
- مختارات من وثائق الحملة الفرنسية ١٧٩٨ ـ ١٨٠١، مراجعة مديحة دوس، القاهرة، ٢٠٠٤.

أجنبية

- E. Devilliers Du Terrage, Journal et Souvenir sur L'expedition D'Egypte 1798 – 1801, Paris, 1899.
- Kléber en Egypte 1798 – 1800, Tome III, par IFAO.
- La Jonquiere, L'expedition de'Egypte, Tome III, Paris, 1899.
- Les Francaise en Egypte ou Souvenirs des Campaigns D'Egypte, De Syrie, par un officcier de L'expedition, en order par J.J.E.Roy, Paris, 1872.
- Louis Reybaud, Histoire scientifique et Militaire de L'expedition Francaise en Egypte, Paris, 1830 – 1836.

- Memoires presentes a l' institute D' Egypte, Tome Troisieme, Paris, 1922.
- Memoirs Relative to Egypt, written in that country during the campaign of general Bonaparte in the years 1798 and 1799, by the learned and scientific men who accompanied the French expedition, London, 1800.

المصادر العربية

- أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، حققه أدريان ڤان ليوڤن وأندري فيري، الجزء الثاني، تونس، ١٩٩٢.
- الجبرتي، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، الجزء الأول، تحقيق عبد الرازق عيسي وعماد أحمد هلال، القاهرة، ١٩٩٨.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق د/ مفيد محمد قميحة، الجزء الأول، لبنان، ١٩٨٦.
- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والمعروف بالخطط المقريزية، الجزء الأول، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، ١٩٩٨.
- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، القاهرة، ١٩٩٤.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، الجزء الأول، ١٩٩٥.

المصادر الأجنبية

- Chabrol, Essai sur les Moeurs des Habitans Modernes de L'Egypte, Description de L'Egypte, Tome 18, Paris, 1826.
- Chabrol et Jomard, Description de Kom ombo, Description de L'Egypte, Tome 12, Paris, 1827.
- Costaz, Description des Tombeaux des Rois, Description de L'Egypte . Tome troisieme, Paris, 1824.

- Costaz, Description de Tod á Armant, Description de L'Egypte, Tome 4, Paris, 1826.
- De Roziere, Description Des Carrieres qui – ont fourni les materiaux des monuments Anciences Avec des observations sur la Natures et LEmploi De au materiaux, Description de L'Egypt , tome Deuzieme, Paris,1825.
- Estéve, Mémoires sur les Finances de L'Egypte Depuis sa conquete par le Sultan Selym Fertusqu á celle du General en chef Bonaparte , Description de L'Egypte, Tome 12, Paris, 1823.
- Girard, Memoire sur L'agriculture L'industrie et le Commerce De L'Egypt , Description de L'Egypt , Tome 17, Paris, 1824.
- Jollois et De Villiers, Description General De Thebes, Tome Douxieme, Paris, 1824.
- ------------------------------, Notice sur le Ruines De Qeft et De Qous, Description de L'Egypte, Tome troisieme, Paris, 1824.
- ------------------------------, Description General des Colosses de la Plaine de Thebes et des Ruines que les Environment et Recherches sur le Monuments don't ills Faisaient partie, Description de L'Egypt section Deuxieme, Paris, 1825.
- ---------------------------------, Antiqutés De Dendara, Description de L'Egypte, Tome troisieme, Paris, 1826.
- Jomard, Description des Antiquities D'Abydos, Description de L'Egypte, TomeQuatrieéme, Paris,1824.
- ---------, Description de Armant, Description de L'Egypte, tome 4, Paris, 1827.
- ---------, La ville de Edfou, Description de L'Egypte, Tome 5, Paris, 1827.
- --------, Observation Historiques sur le Hypogées, coup d'oeil general, Description de L Egypt , Tome troisieme, Paris, 1825.
- Michel Ange Lancert, Description de la island de Philae, Description de L'Egypt , Tome Deuzieme, Paris, 1822 .

- Saint Genise. Description des Antiquites D'Akhmim Description de L'Egypt . Tome quatriéme. Paris. 1825.
- -------------. Description de El kab, Description de L'Egypte. Tome 5. Paris, 1825.

الدوريات

أولا: الدوريات الأجنبية

- Dia Abu Ghazi , The First Egyptian Museum in Annals Du Service Des Antiquités De L'Egypte. Tome XVII,Cairo,1988.
- Grafton Milne, Greek and Roman Tourists in Egypt ,The Journal Of Egyptian Archeology,vol.III,London,1916.
- La Decáde Egyptienne,3vols.
- Le Courrier de L'Egypte.

ثانيا: الدوريات العربية

- البيان، الأربعاء ٨ جمادي الآخرة ١٤٢٤هـ - ١٦ أغسطس ٢٠٠٣، العدد ١٩٦.
- المقتطف، العدد ٦٢، نوفمبر ١٩٢٢.
- الهلال، ٣ نوفمبر١٩٢٢.

المذكرات الشخصية

- Berthier. Mémoires du Maréchal Berthier Campaigne d'Egypte. Paris,1827.
- Desvernois, Mémoires du general Desvernois, publiés sous les de sa niéce Mme Boussu. Desvernois, Paris, 1898.
- Mémoires sur L'Egypte publiés pendant les campagnes du general Bonaparte dans les années VI et VII, avec la relation de ses campagnes en Egypte et en syrie, Paris, Fructidor an IX.

- Nicolas Turc. Chronique D'Egypte 1798 – 1804, Gaston Wiet (editor). Cairo.1960.

رحلات وأسفار .

رحالة أجانب

- C.S, Sinnoni. Voyage dans la Haute et Basse Egypt, Tome III. Paris An 7 De la Republique.
- Edward Browne,Voyage en Egypt (1673 - 1674), par IFAO. 1971.
- Frederick Lewis Norden, Travels in Egypt and Nubia, London, vol -II, MDCCVII.
- J. J. Ampére, Voyage en Egypte et en Nubie, Paris, 1868.
- John Bankes, Adventures in Egypt and Nubia, The Travels of William John Bankes (1798 - 1855), London, 2002.
- Le Comte De Forbin, Voyage dans le Levant en 1817 et 1818, Paris 1818.
- Lucas, Voyage de Sieur Lucas, Tome III, Paris. 1724.
- M. Cadalvene, J.De Brevery. L'Egypte et la Nubie. Paris. Tome I, 1841.
- Montulé, Voyage en Amerique et en Italie sici et en Egypte pendant les années 1816 – 1817, 1818, 1819, Paris, 1821.
- Richard Pococke, A Description of the East and Some other Countries, voll, Observations on Egypt, London, MDCCXLIII (1743).
- Savary, Letters sur L'Egypte, Paris, 1798.
- Vivant Denon, Voyage dans la Basse et La Haute Egypte, Tome I,II IFAO, Cairo,1989.
- Voleny, Voyage en Egypte et en Syrie, Paris, 1959.
- W.G.Browne, Nouveau Voyage dans la Haute et Basse Egypte la syrie, le Darfour (1792 - 1798), Tome premier, Paris, 1800.

رحالة عرب

- ابن بطوطة. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. لبنان. ١٩٩١.
- ابن جبير، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، لبنان، ٥٨٢هـ - ١١٨٦ م.
- عبد الغني إسماعيل النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة، ١٩٨٦.
- كارستن نيبور، رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ ـ ١٧٦٧، الجزء الأول: رحلة إلى مصر، تقديم مصطفى ماهر، القاهرة، بدون تاريخ.

المراجع الأجنبية

- Afaf Lutfi Alsayed, A Short History of Modern Egypt, Cambridge, 1985.
- ----------------------, Egypt in the Reign of Muhammad Ali, Cambridge, 1984.
- Arthur Golschmidt JR, Biographical Dictionary of Modern Egypt , Cairo, 2000.
- --------------------------, Modern Egypt the Formarion of a Nation State, London, 1985.
- Benoist Méchin, Bonaparte en Egypte ou le Réve Inassouvi, Switzerland, 1966.
- Bruce Tigger. A History of Archeological Thought, Cambridge, 1989.
- Claude Traunecker, Jean Claude Golvin, Karnak Résurrection d'un site, Paris, 1984.
- Clément, les Français d'Egypt au XVII et XVIII siecles, Cairo, IFAO, 1960.

- Commandant Guirty. L'Armée de Bonaparte en Egypte 1798 – 1799, Paris, 1927.

- Daniel Crecelius, Egypt in the eighteenth century, in Cambridge History of Egypt .vol II, Cambridge, 1998.

- Darell Dykstra. The French Occupation of Egypt 1798 – 1801. in Cambridge History of Egypt . Vol II, Cambridge,1998.

- Edward William Lane. Description of Egypt , Cairo, 2000.

- Eugene Poitou, Un Hiver D'Egypte, Paris, 1868.

- F. Charles Roux, Bonaparte Governeur d'Egypte, Paris, 1928.

- Fernard Beaucouriyves Laissus, Chantal Orgogoze, The Discovery of Egypt . London, 1997.

- G. Legrain, Institute De France. Inscriptions Francaises de Haute Egypte (Thebes – Esnah – Edfou – Assouan - Philah), Paris, 1911.

- Gaston Weit, Mohammed Ali et les Beaux Arts, Sociéte Royale D'Etudes Historique, 1950.

- Gay Fargette, Mehemet Ali le Fondateur de L'Egypte Moderne, Paris, 1992.

- George Gilddon, An Appeal to the Antiquites of Europe on the Destruction of the Monuments of Egypt , London, 1841.

- George Younge, Egypt , London, 1930.

- Gonzague Saint Bris, Desaix le Sultan De Bonaparte , Perlin, 1995.

- H. William, JR Stebing, Uncovering the Past A History of Archeological Thought, New York, 1993.

- Hathawy. Egypt in the Seventeenth Century, in Cambridge History of Egypt , vol II, Cambridge, 1998.

- Hatier, The Grand Louvre from the Fortress to the Pyramids, Paris, 1989.

- Henry D'Estre, Bonaparte Le Mirage Oriental D' Egypte (1798 - 1799), Paris, 1946.

- Ian Show and Paul Nicholson, British Museum, Cairo, 1996.

- Jean Joël Bregeon, L'Egypte de Bonaparte, Canada, 1999.

-Jean Marie Carée, Voyageurs et Ecrivains Francaise en Egypte, Tome quartriéme (1517 - 1840), Paris, 1932.

- Jill Kamil, Upper Egypt and Nubia. The Antiquities From Amarna to Abu Simbel, Cairo, 1996.

- Jo. Forty, Ancient Egyptian Pharaohs, USA, 1998.

- John David Wortham, British Egyptology 1549 – 1906, London, 1971.

- John Marlowe,Four Aspects of Egypt , Britain, 1966.

- Khaled Fahmy, The Era of Muhammad Ali Pasha 1805 – 1848, in Cambridge History of Egypt, vol II, Cambridge, 1998.

- Kenneth Clark, Metropoliton Museum of Art, New York, 1970.

- Laure Murat et Nicolas Weill, l'Expedition D'Egypte le Réve Oriental De Bonaparte , Gallimard, 1998.

- Lawrence M.Beman, Bernadette Letellier, Pharaohs Treasures of Egyptian Art from the Louvre, Oxford, 1996.

- Louis Keimer, Le Musée Àgyptologique de Berlin, Cahiers d'histoire egyptienne, series 3 Fasc 1 , November, 1950.

- M. A. Rifaat Bey, the Awakening of Modern Egypt, London, 1984.

- M. Cadalvene, Je De Brevery, L'Egypte, et la Nubia, Paris, Tome I, 1841.

- Maurci Pope, The History of Decipherment from Egyptian Hieroglyphs to Maya script, London, 1999.

- Nelly Hanna, culture in Ottamn Egypt, in Cambridge History vo. II, Cambridge, 1998.

- Nicolas Grimal, A History Of Ancient Egypt . USA, 1994.

- Nicholas Reeves, Richard Willkinson, The Complete Vally of the kings, Cairo, 2002.

- --, The Complete Valley Of The Kings, Tombs And Treasures Of Egypt's Greatest Pharaohs, Cairo, 2005.
- P. E. H. Conquetes Des Francaise en Egypte . Paris, in VII.
- P. J. Vatikiois, The Modern History of Egypt , London, 1969.
- Paul Starkey and Janet Starkey, Travellers in Egypt, London, 1995.
- Robert Hunter, Egypt under the Successors of Muhammad Ali in Cambridge History vol II. Cambridge, 1998.
- Ronald T. Ridley, Napoleon's Proconsul in Egypt. The life and times of Bernardino Drovetti, London, 1991.
- Richard Wilkinson, The Complete Gods And Goddesses Of Ancient Egypt, Cairo, 2003.
- ------------------, The Complete Temples Of Ancient Egypt , London, 2000.
- Victor Scholcher, L'Egypte en 1845, Paris, 1846.
- Warren R.Dawson and Eric p.Uphills, who was who in Egyptology, London, 1972.

المراجع العربية

● إبراهيم المويلحي، الأرض والفلاح في العصر العثماني في "الأرض والفلاح في مصر علي مر العصور"، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٧٤.

● إبراهيم زكي، الحالة المالية والتطور الحكومي والاجتماعي في عهدي الحملة الفرنسية ومحمد علي، القاهرة، بدون تاريخ.

● أحمد حافظ عوض، فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت في مصر. القاهرة، بدون تاريخ.

● أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر. الجزء الثالث، القاهرة، بدون تاريخ.

- أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٣٨.
- أحمد يوسف، الولع الفرنسي بمصر من الحلم إلى المشروع مع المخطوط السري لغزو مصر، النص غير المنشور الذي قدمه ليبتنز للويس الرابع عشر. ترجمة أمل الصبان. القاهرة، ٢٠٠٣.
- السيد السيد أحمد توفيق دياب، السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر. دراسة في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٩٤.
- إلهام محمد علي ذهني. مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر. القاهرة، ١٩٩١.
- ------------------ ، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر. القاهرة، ١٩٩٢.
- ------------------، مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٩٥.
- ثروت عكاشة. مصر في عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء (القرن التاسع عشر)، القاهرة، ١٩٨٤.
- جاد طه. معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة، بدون تاريخ.
- جلال يحيى، المجمل في تاريخ مصر الحديث، الإسكندرية. ١٩٨٤.
- جيلان عباس. آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب. الآثار الفرعونية، الآثار اليونانية الرومانية، الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٩٢.
- حسين أفندي، ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، تحقيق محمد شفيق غربال، مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ _ ١٨٠١. منشورة بكلية الآداب، مج.جـ ١، القاهرة. ١٩٣٦.
- حلمي نمنم، المصريون وحملة بونابرت، مطبوعات أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠٠٠.

- زينب عبد العزيز، مائتا عام علي حملة المنافقين الفرنسيين. الإسكندرية، ١٩٩٨.
- سيد أحمد علي الناصري، مذكرات رحالة عن المصريين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون أنتيس (١٧٧٠ - ١٧٨٢)، القاهرة. ١٩٩٧.
- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق، معالم تاريخ مصر الحديث، القاهرة، ١٩٩٦.
- صلاح أحمد هريدي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة. ٢٠٠٢.
- ----------------، دور الصعيد في مصر العثمانية، القاهرة، ١٩٨٤.
- عبد العزيز سليمان نوار وعبد الله عزباوي، مشروع وثائق تاريخ العرب الحديث، وثائق تاريخ الحملة الفرنسية علي مصر والشام. أولا: الحكم الذاتي لمراد بك لصعيد مصر تحت المظلة الفرنسية، القاهرة، بدون تاريخ.
- عبد العزيز محمود عبد الدايم، مصر في عصري المماليك والعثمانيين، القاهرة، ١٩٩٦.
- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم في مصر، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦١.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر،القاهرة، ١٩٧٤.
- عبد اللطيف البغدادي،وصف مصر قرابة سنة ١٢٠٠ م، القاهرة، ١٢٠٠.
- عصام محمد شبارو،المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، القاهرة، بدون تاريخ.
- عراقى يوسف محمد، الوجود العثماني في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر،القاهرة،١٩٩٦.

- علي سلطان. تاريخ الدولة العثمانية. القاهرة، ١٩٢٩.
- كمال الدين حسان أوغلي.الدولة العثمانية تاريخ وحضارة. إستانبول،١٩٩٩.
- لويس جرجس. يوميات من التاريخ المصري الحديث ١٧٧٥ ـ ١٩٥٢، القاهرة، ٢٠٠٢.
- لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من الحملة الفرنسية إلى عصر إسماعيل. الخلفية التاريخية ـ الفكر السياسي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٨٧.
- ليلي عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة،١٩٧٨.
- ليلي عنان. الحملة الفرنسية بين الأسطورة والحقيقة. العدد ٥٠٠، صفر أغسطس ـ دار الهلال، ١٩٩٢.
- محمد بن محمد بن حامد المراغي الجرجاوي، تاريخ ولاية الصعيد في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة. ١٨٦٩.
- محمد حسين عبد الرحمن. نضال شعب مصر ١٧٩٨ ـ ١٩٥٦. الإسكندرية. ١٩٧٠.
- محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥. الجزء الرابع. القاهرة، ١٩٩٤.
- محمد سعيد العشماوي، مصر والحملة الفرنسية. القاهرة، ١٩٩٩.
- محمد عبد المنعم السيد الراقة، الغزو العثماني لمصر ونتائجه علي الوطن العربي. القاهرة، ١٩٧٢.
- محمد فهمي لهيطة، تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة، القاهرة. ١٩٤٤.
- محمد فؤاد شكري، عبد الله چاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر. القاهرة، ١٩٥٢.

- محمد محمد السيد، مصر في القرن ١٦، القاهرة، ١٩٩٧.
- محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها.القاهرة.١٩٩٩.
- محمود الشرقاوي، مصر في القرن الثامن عشر، القاهرة، ١٩٥٦.
- ممدوح عبد الرحمن الريطي، دور القبائل العربية في صعيد مصر، القاهرة، ١٩٩٦.
- ناصر أحمد إبراهيم، الفرنسيون في صعيد مصر، المواجهة المالية ١٧٩٨ - ١٨٠١، القاهرة، ٢٠٠٥.
- نبيل السيد الطوخي، صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨ - ١٨٠١، القاهرة،١٩٩٧.
- --------------، المقاومة الشعبية فى صعيد مصر ضد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١م)، مجلة التاريخ والمستقبل، المقاومة الشعبية فى مصر ضد الاحتلال الأجنبى عبر العصور، ١٠ مايو ٢٠٠٤.

المراجع الأجنبية المترجمة

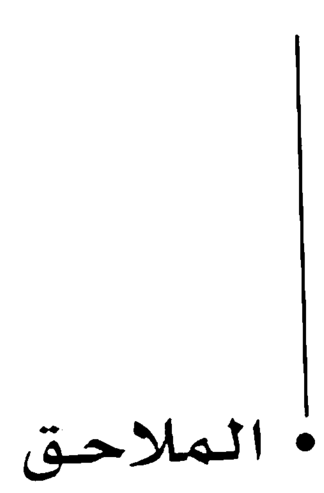
- إدريس أفندي، إدريس أفندي في مصر،مذكرات الفنان والمستشرق الفرنسي بريس دافين في مصر (١٨٠٧ - ١٨٧٩)، ترجمة أنور لوقا،القاهرة،١٩٩١.
- أندريه ريمون، المصريون والفرنسيون في القاهرة، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ٢٠٠١.
- أوليا چلبى، سياحتنامة، ترجمة محمد علي عوض، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ج .بير، دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة، ترجمة عبد الخالق لاشين، القاهرة، ١٩٧٦.
- شامبليون في مصر: الرسائل والمذكرات، ترجمة عماد عدلي، القاهرة، ١٩٩١.

- دومينيك ڤالبيل، علم المصريات، ترجمة لويس بقطر، القاهرة، ١٩٩٢.
- دونالد مالكوم ريد، فراعنة من. ترجمة رءوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.
- روبير سولييه، مصر ولع فرنسي، ترجمة لطيف فرج، القاهرة، ١٩٩٩.
- ريمون فلاور، مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر، ترجمة سيد أحمد علي الناصري، القاهرة، ٢٠٠٠.
- كرستوفر هيرولد، بونابرت في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس، القاهرة، ١٩٩٨.
- كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الثاني، القاهرة، بدون تاريخ.
- مايكل ونتر، المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، القاهرة، ٢٠٠١.
- هنري لورنس، الحملة الفرنسية في مصر. بونابرت والإسلام، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ١٩٩٥.

رسائل جامعية

- حلمي محروس إسماعيل، دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن ١٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم التاريخ - جامعة القاهرة، ١٩٨٩.
- صالح رمضان محمود، الجاليات الأجنبية في مصر في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٧٠.
- فاطمة الحمراوي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مصر في عهد الحملة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٨.

- كامل محمد فودة غزي، المؤسسات التعليمية في مصر إبان العصر العثماني ودورها في الحياة السياسية والفكرية (١٥١٧ - ١٧٩٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، سوهاج - جامعة جنوب الوادي، ١٩٩٥.
- محمد صلاح الدين حلمي، حياة الأتراك الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن ١٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، ١٩٦٠.



الملاحق

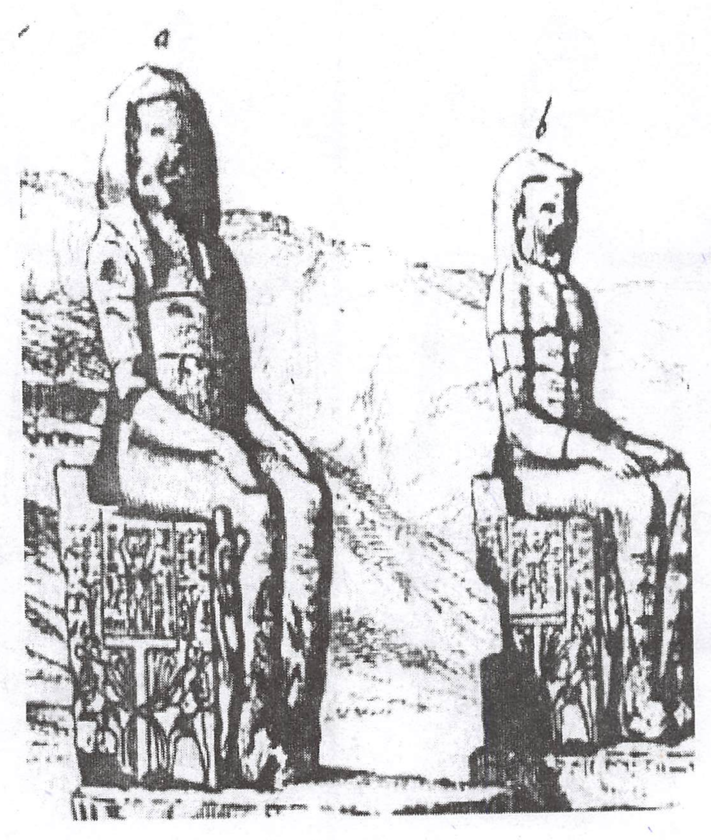


شكل (١): ويمثل السلوك السلبي للمصريين تجاه الآثار الصورة من داخل معبد الكرنك
Source: Claude Traunecker, Jean Claude Golvin, Karnak Resurrection d'un Site, Paris, 1984, p.37.



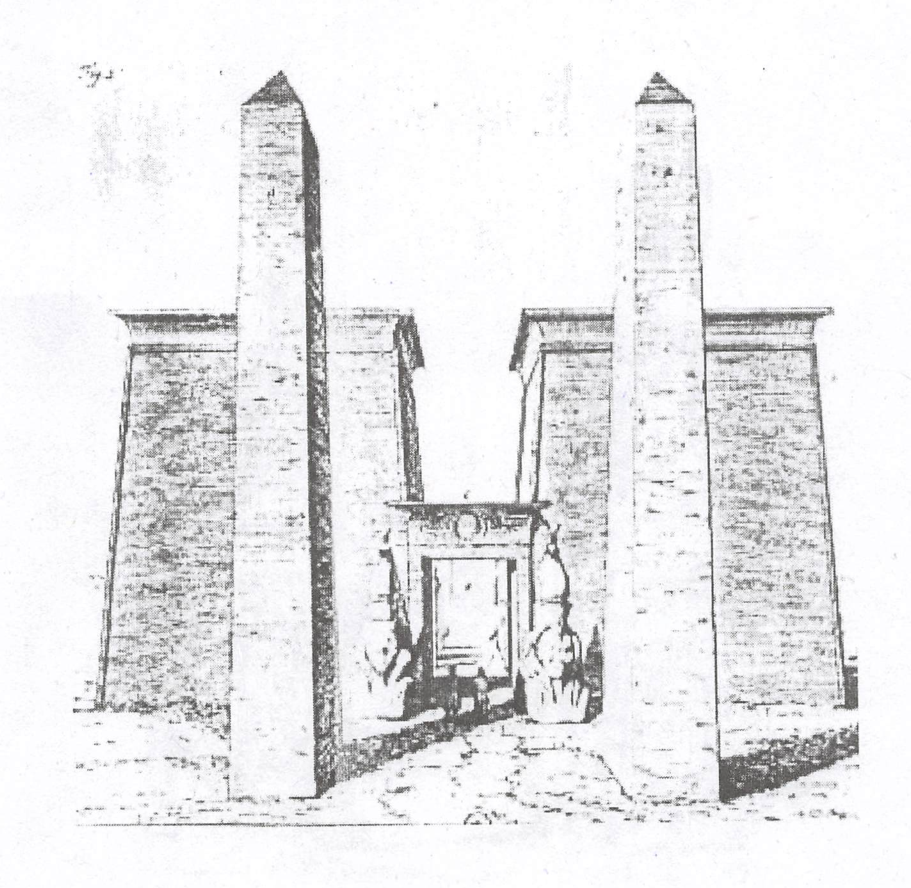
شكل (٢): خريطة بوكوك عن وادي الملوك بالأقصر قُبيل الحملة

Source: Richard Wilkinson, The Complete Valley of the Kings, Cairo, 2002, P.52.



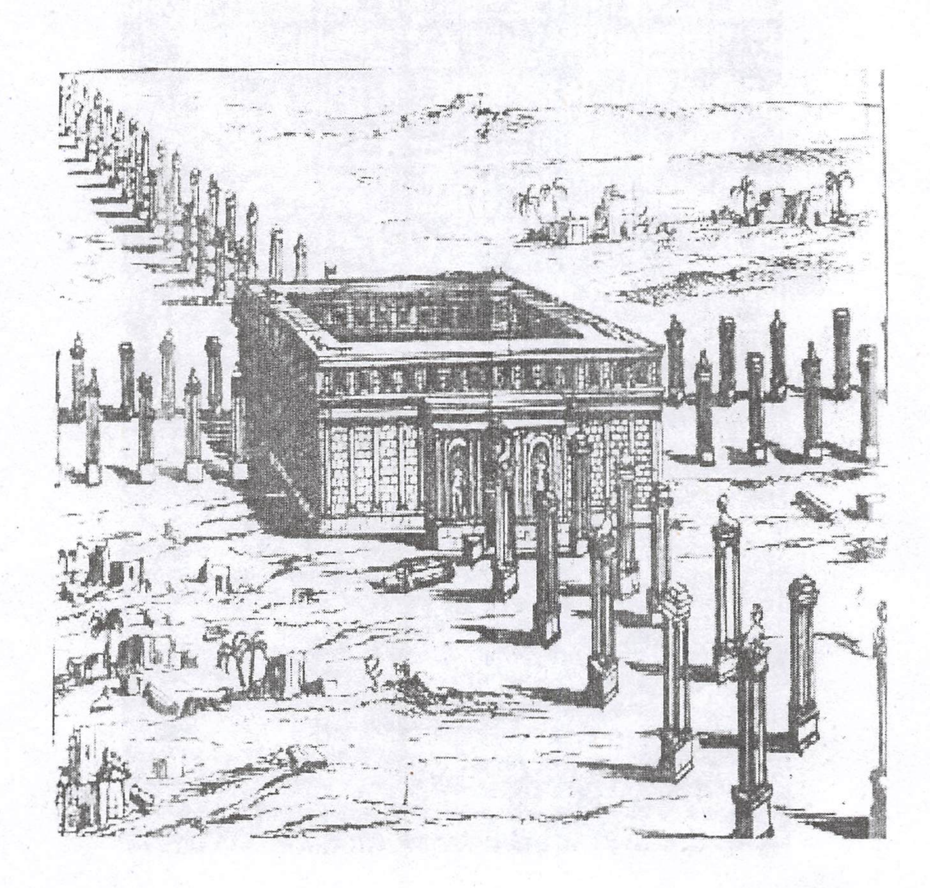
شكل (٣): رسوم نوردن لتمثالي ممنون بالأقصر

Source: Claude Traunecker, Jean Claude Golvin, Op.cit., p.59.



شكل (٤): واجهة معبد الأقصر بواسطة نوردن

Source: Edward William Lane, Description of Egypt, Cairo, 2000, p. 144.



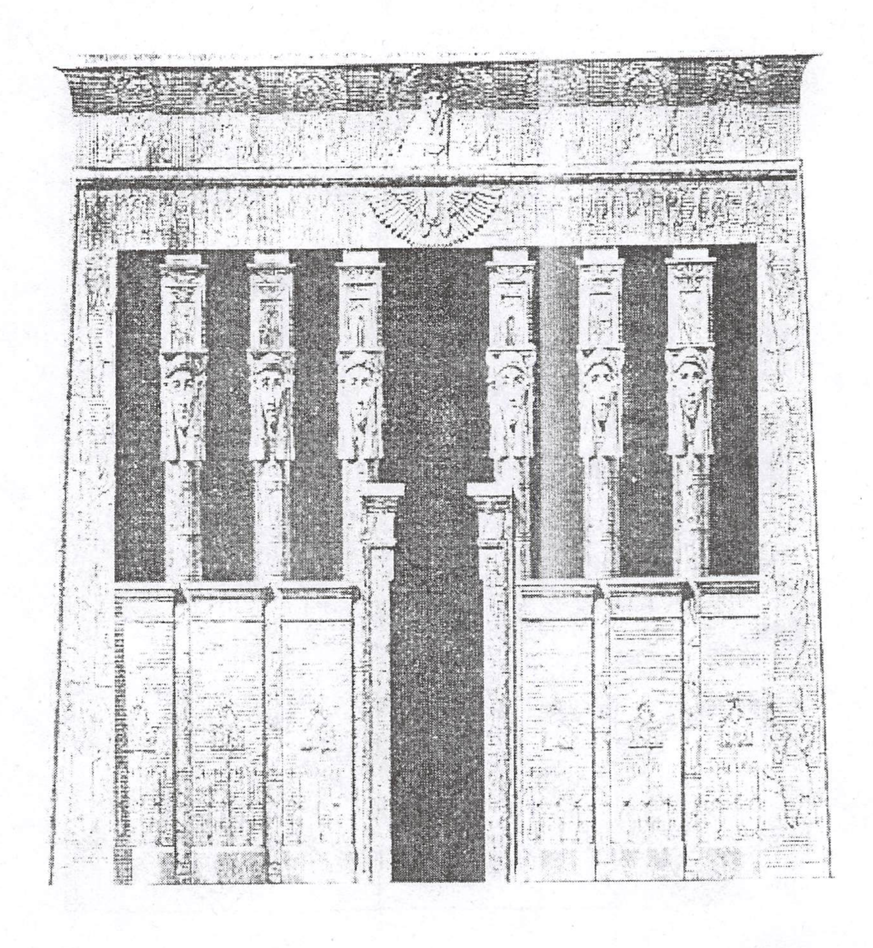
شكل (٥): خريطة لوقا عن معبد الأقصر

Source: Claude Traunecker, Jean Claude Golvin, Op.cit., p.78.



شكل (٦): حجر رشيد

Source: Edward William Lane, Op.cit., p. 174.



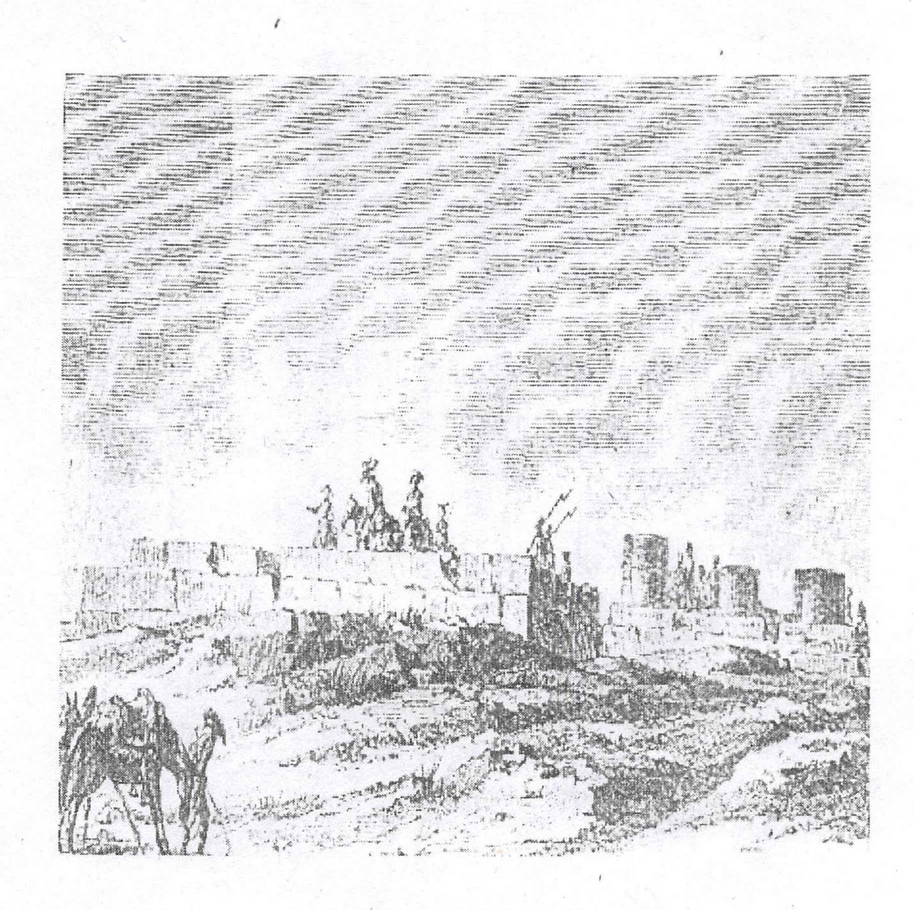
شكل (٧): رسم دينون لواجهة معبد دندرة

Source: Vivant Denon, Voyage dans la Basse et la Haute Egypte, Tome II, IFAO, Cairo, 1989, pl.no.39.



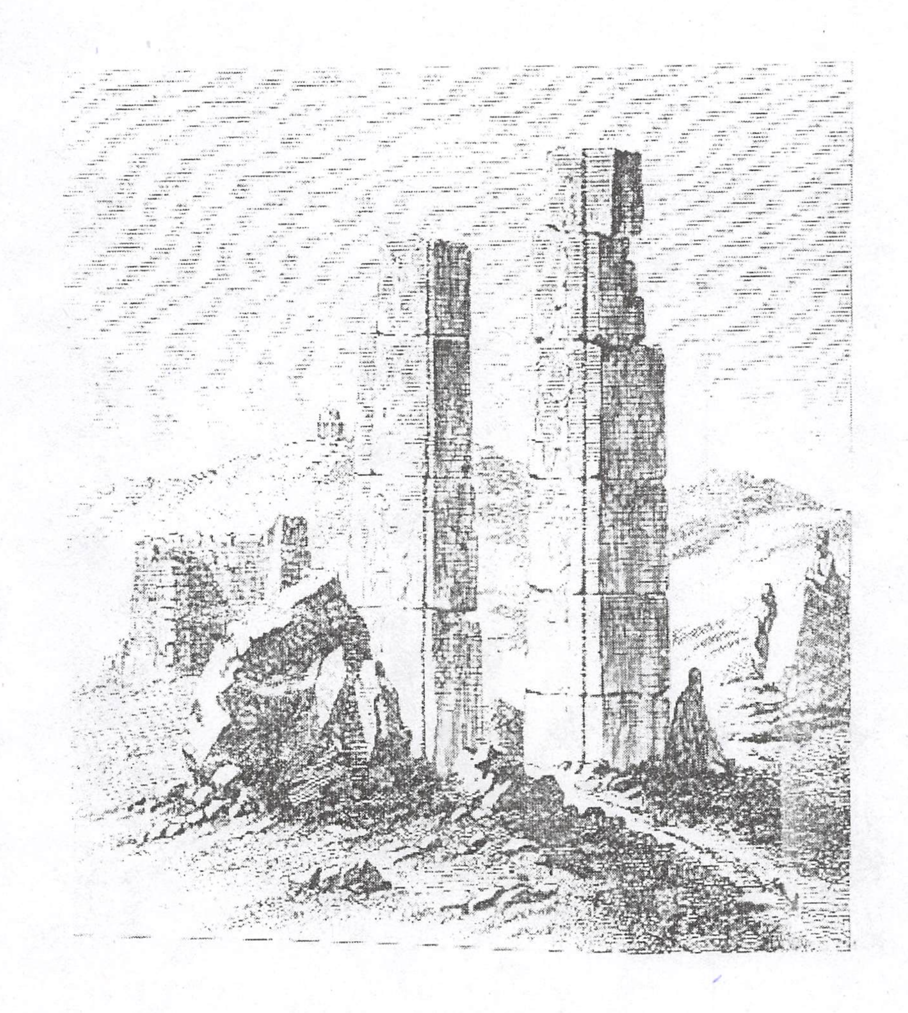
شكل (٨): برج الفلك الذي تم أخذه من معبد دندرة ويعرض الآن في متحف اللوفر بباريس

Source: Edward William Lane, Op.cit., p.167.



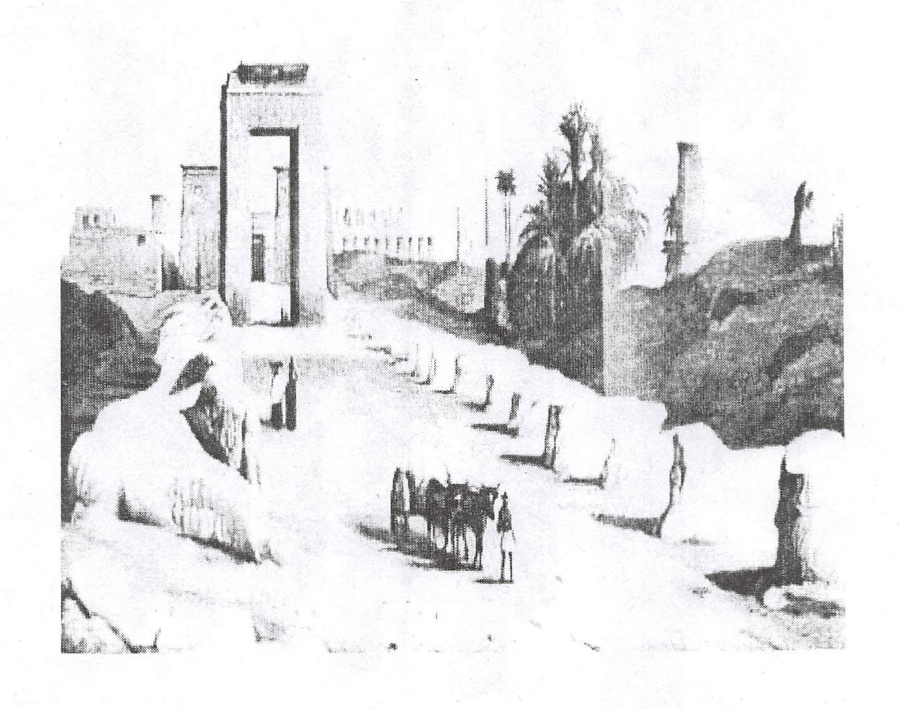
شكل (٩): أطلال قوص الأثرية

Source: Vivant Denon, Op.cit., pl. no. 5.



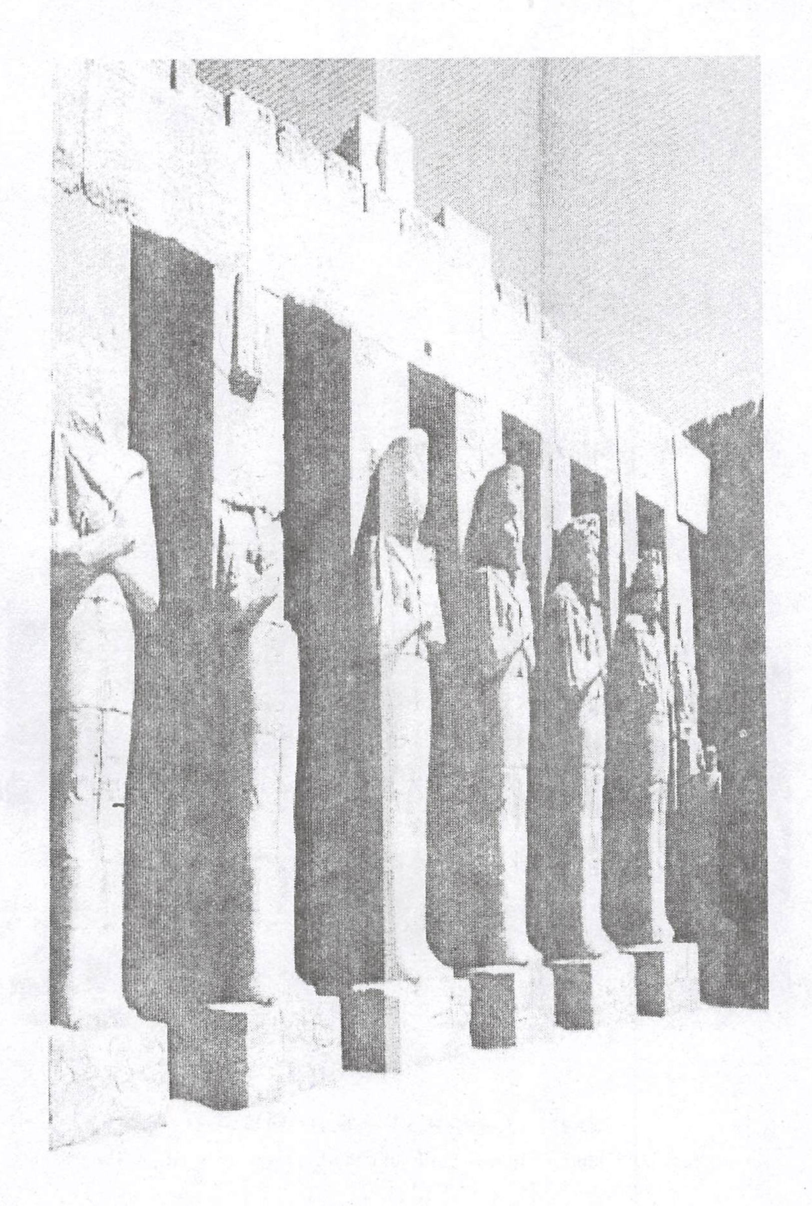
شكل (١٠): معبد الكرنك بالأقصر أثناء الحملة الفرنسية

Source: Edward William Lane, Op.cit., p.118.



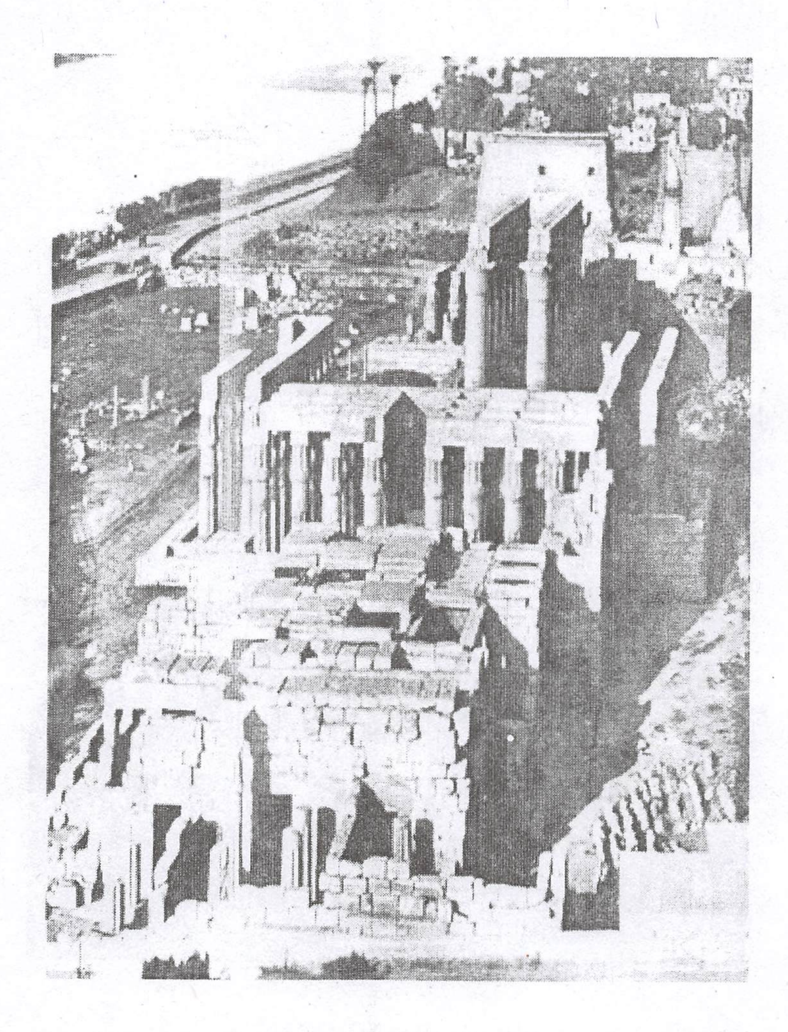
شكل (١١): طريق الكباش بالأقصر رسم دينون

Source: Claude Traunecker. Jean Claude Golvin. Op.cit., p.61.



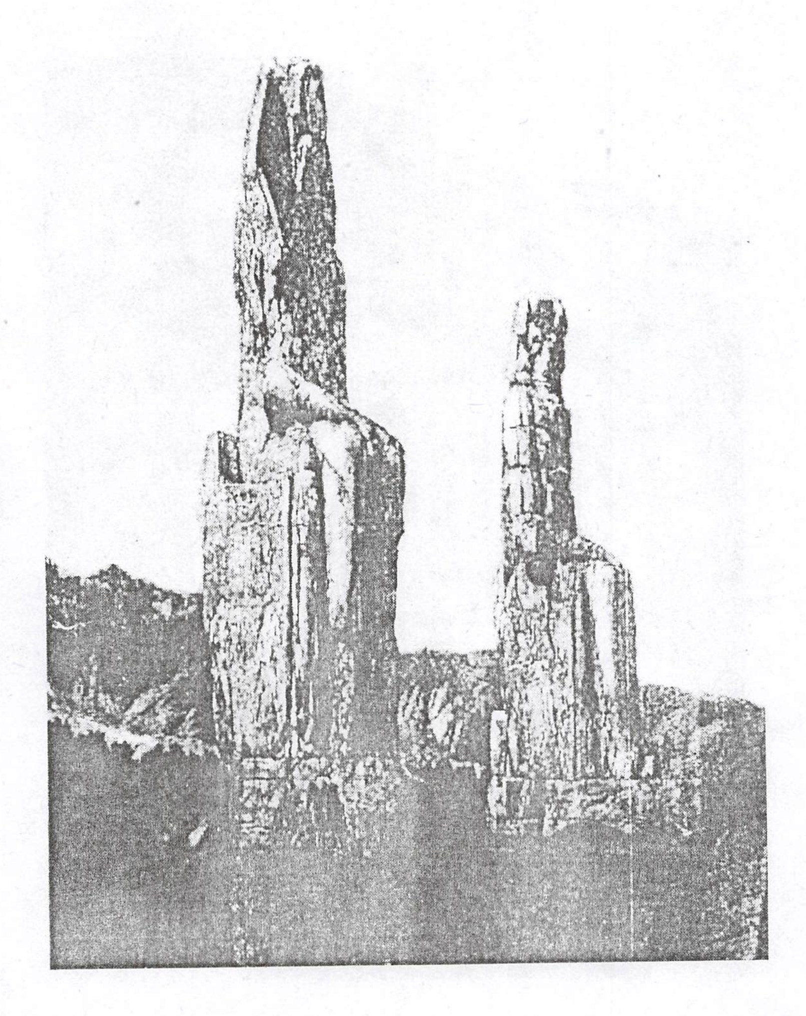
شكل (١٢): معبد الكرنك حديثا

Source: Richard Wilkinson, Op.cit., p.156.



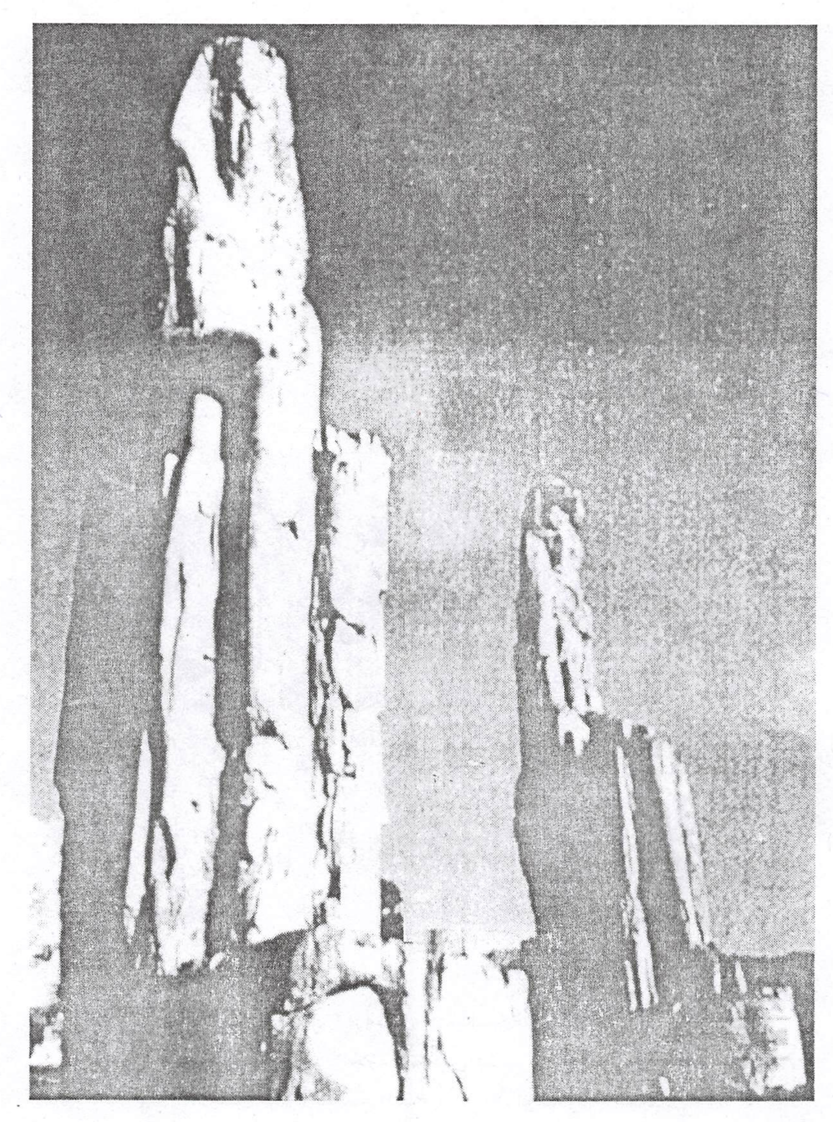
شكل (١٣): معبد الأقصر

Source: Richard Wilkinson, Op.cit., p.166.



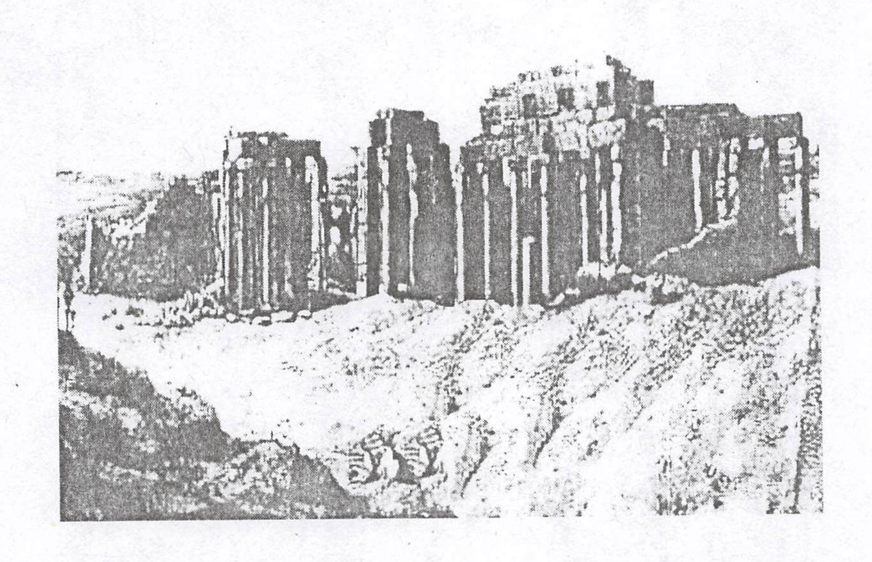
شكل (١٤): تمثالا ممنون رسم دينون

Source: Edward William Lane. Op.cit.. p.154.



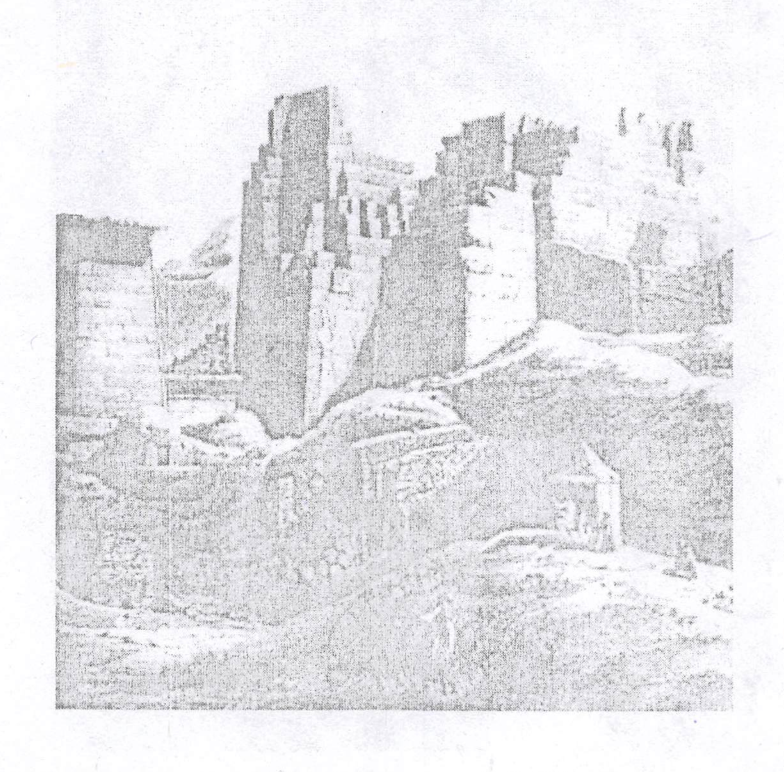
شكل (١٥): تمثالا ممنون حديثا

Source: Richard Wilkinson, Op.cit., P.188.



شكل (١٦): مقبرة أوسيمندياس بقفط

المصدر: موسوعة وصف مصر، الجزء السادس عشر، لوحات الدولة القديمة، ترجمة منى زهير الشايب، القاهرة، ٢٠٠٣، لوحة رقم (٢٣).

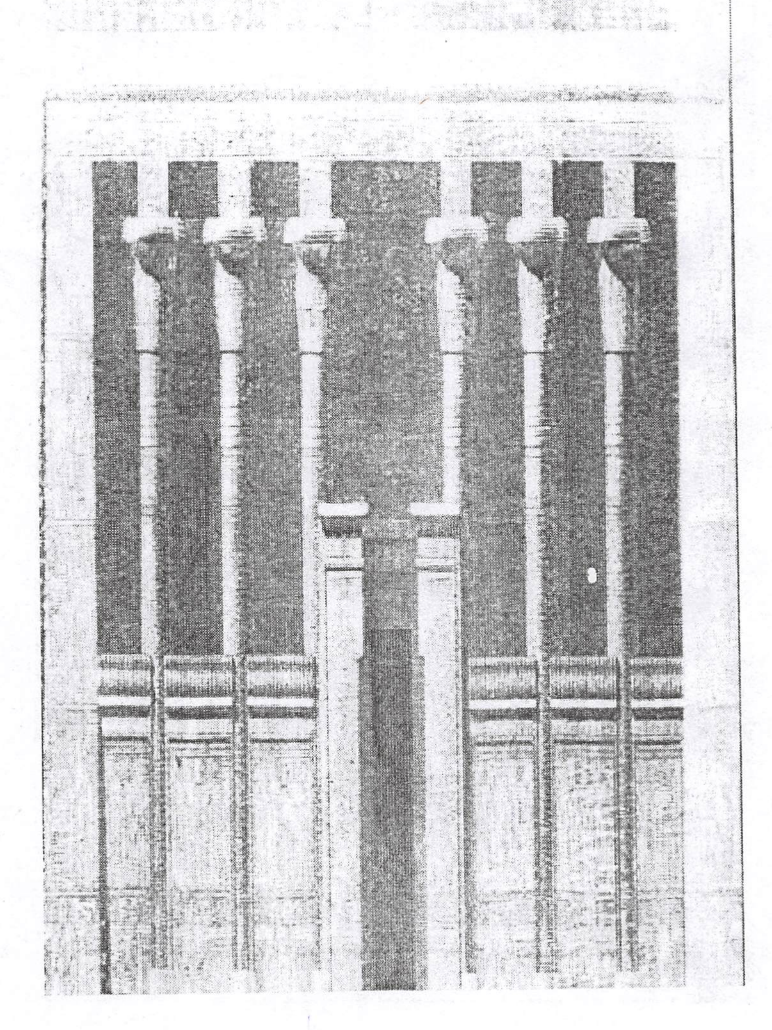


شكل (١٧): معبد مدينة هابو بالأقصر

المصدر: موسوعة وصف مصر. لوحة رقم (٣).

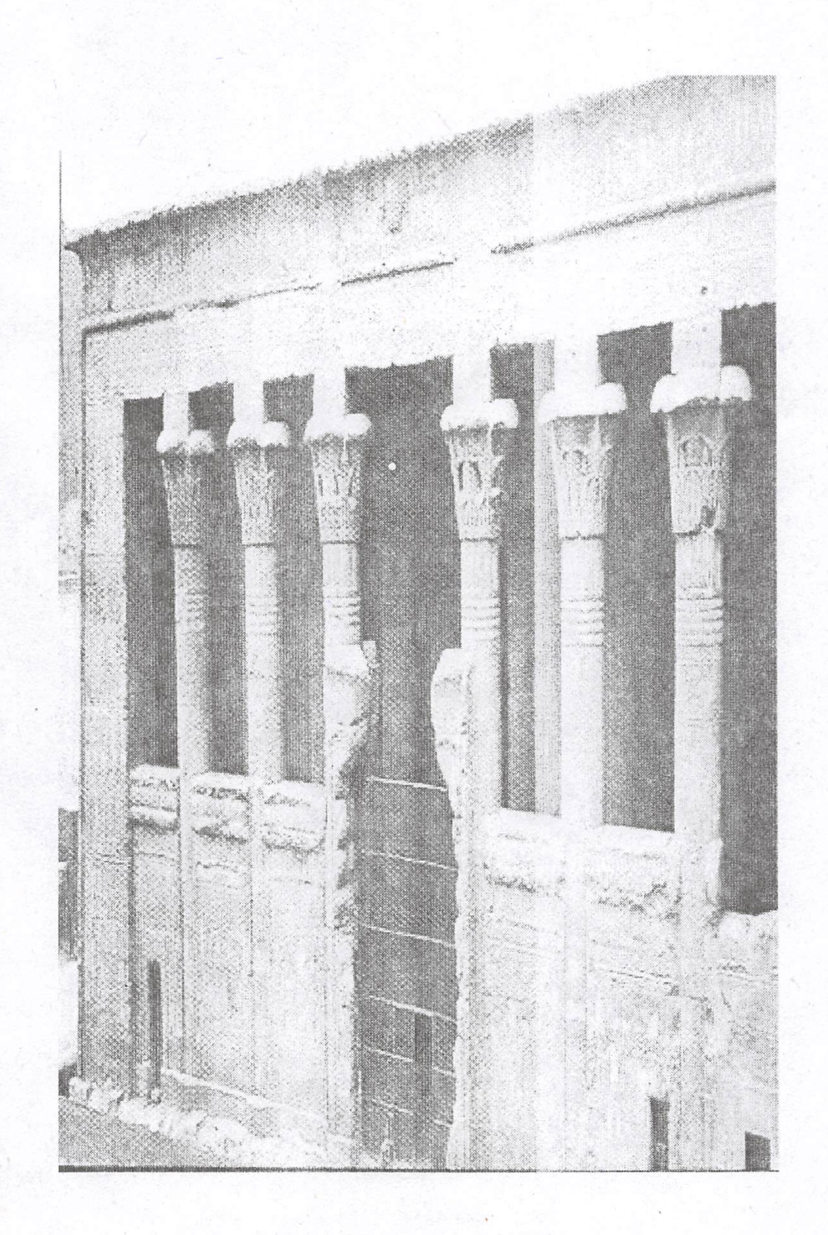


شكل (١٨) :خريطة علماء الحملة لمقابر وادي الملوك بالأقصر
Source: Richard Wilkinson, Op.cit., P.55.



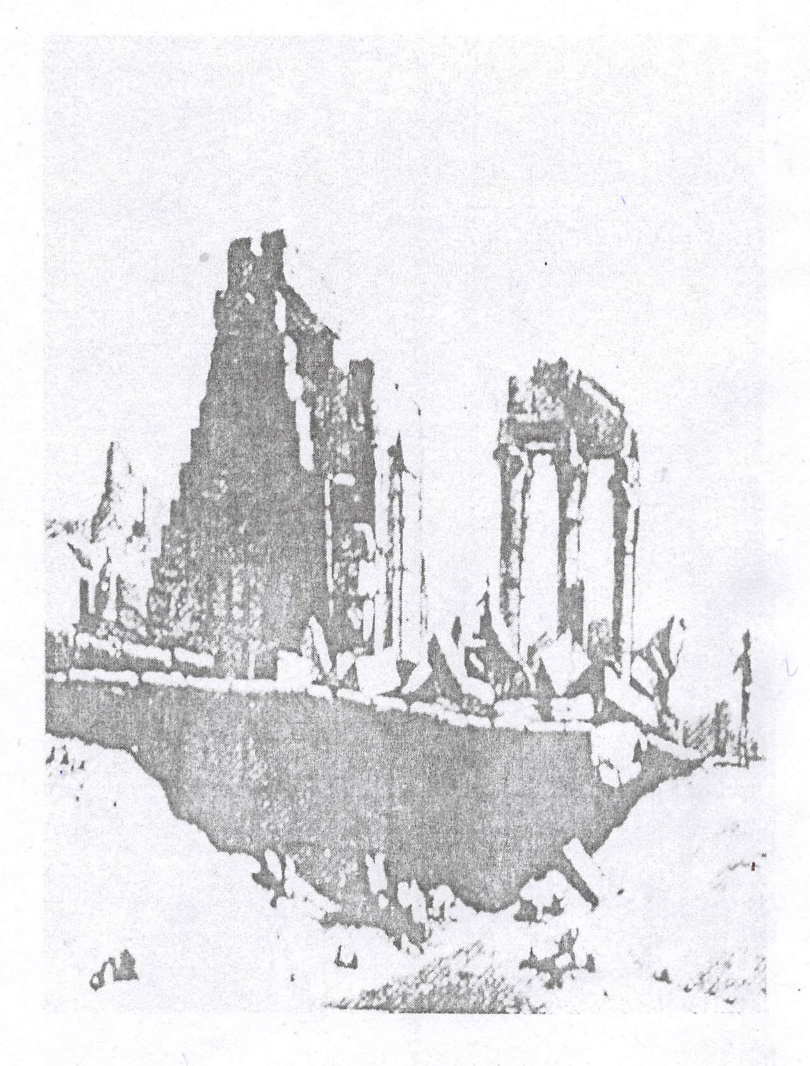
شكل (١٩): واجهة معبد إسنا

زهير الشايب، المرجع السابق، المجلد الأول، لوحة رقم ٧٣ :Source



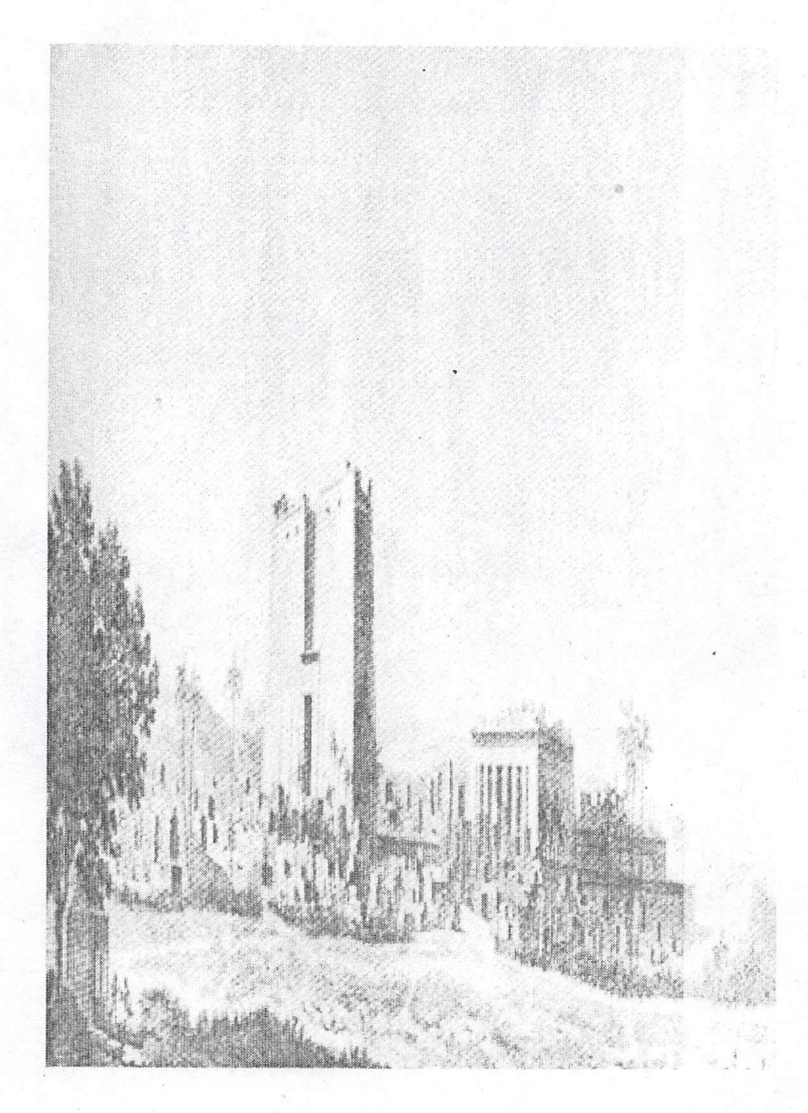
شكل (٢٠): معبد إسنا حديثا

Source: Richard Wilkinson, Op.cit., p.201.



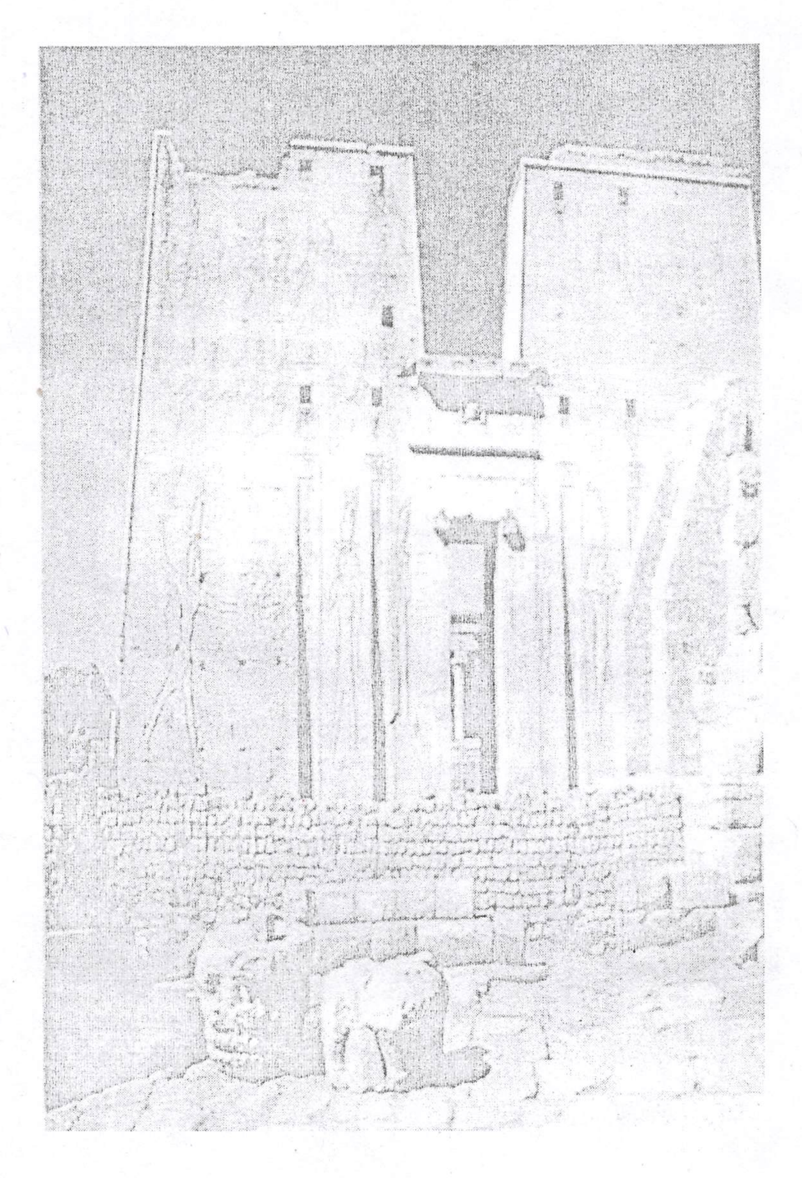
شكل (٢١): آثار منطقة الكاب

Source: زهير الشايب، المرجع السابق، لوحة رقم ٦٦



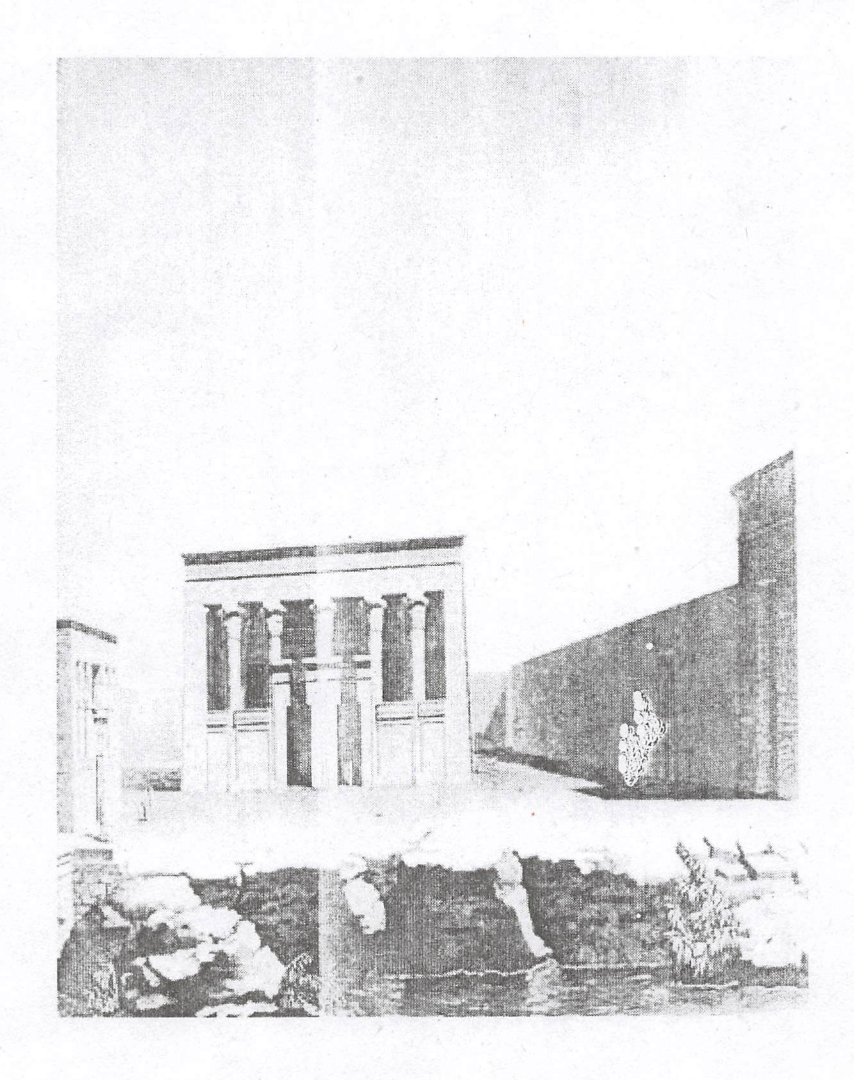
شكل (٢٢): معبد إدفو

Source: زهير الشايب ، المرجع السابق، لوحة رقم ٤٨



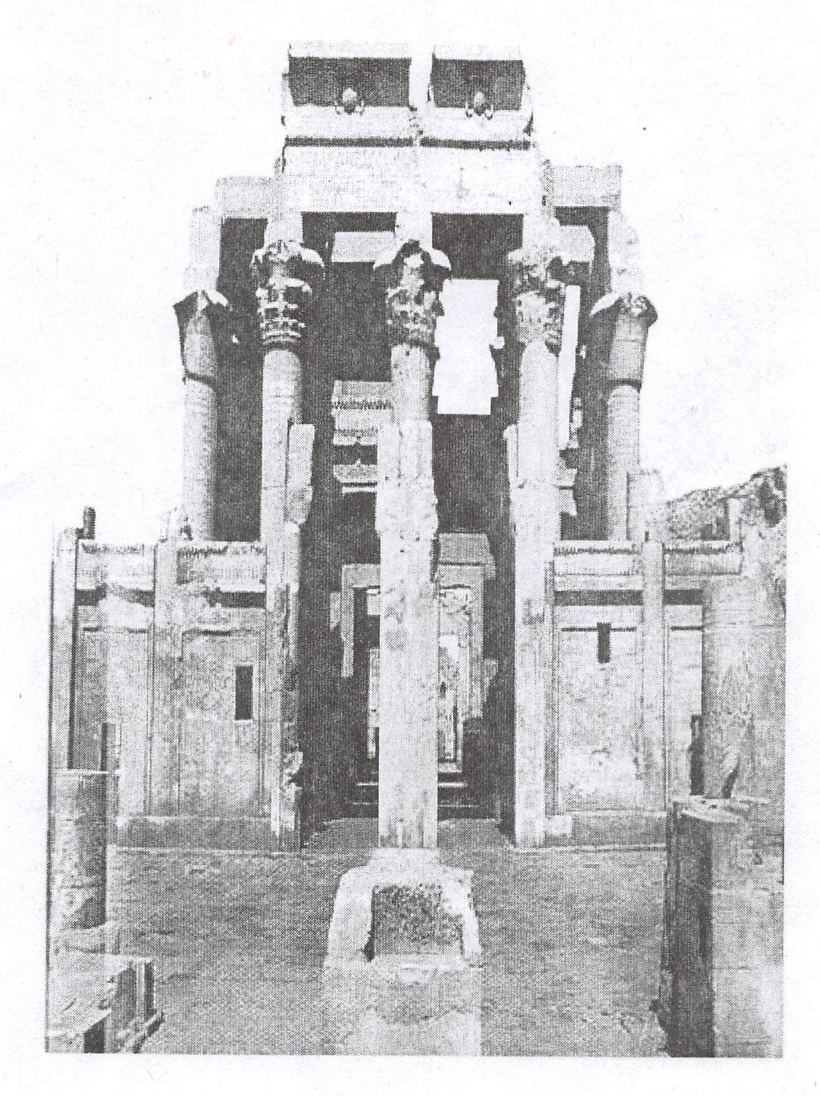
شكل (٢٣): معبد إدفو حديثاً

Source: Richard Wilkinson, Op.cit., p.204.

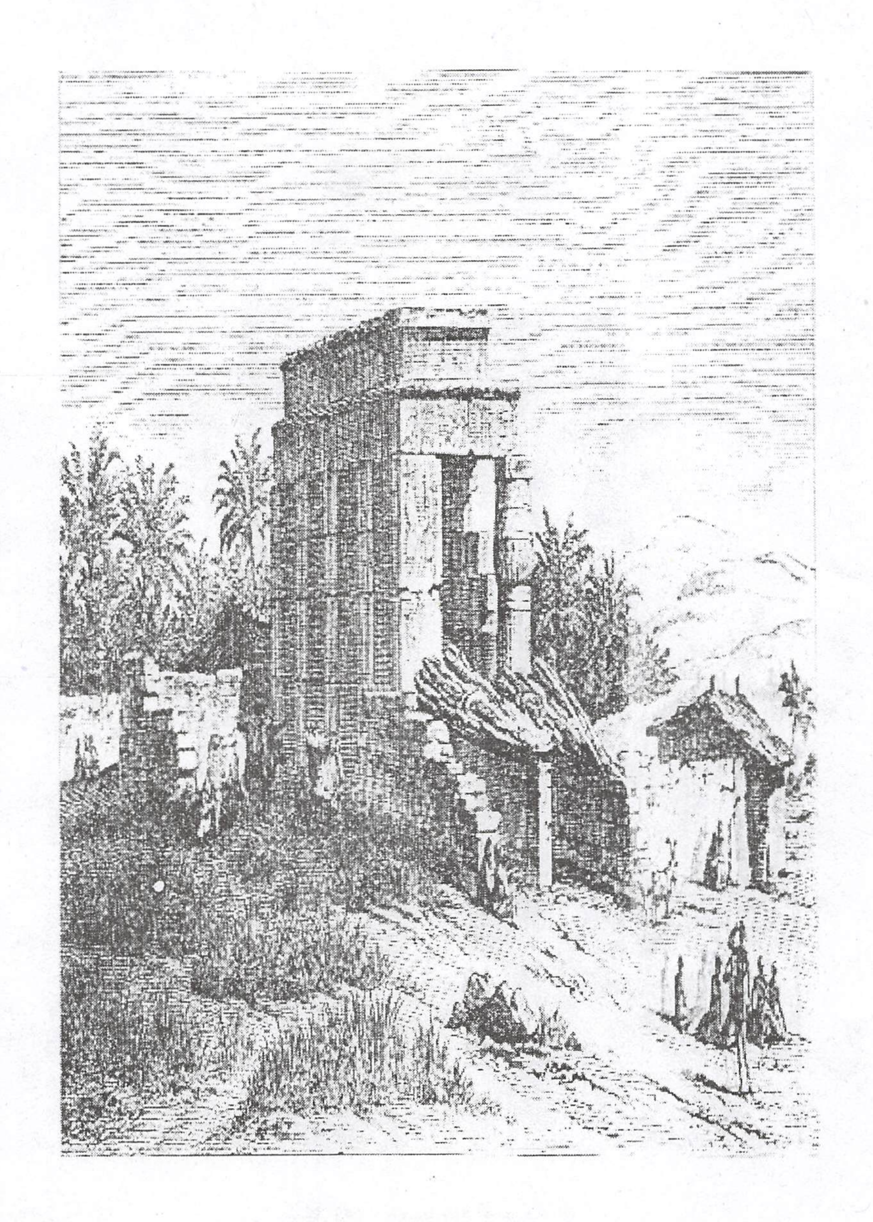


شكل (٢٤): معبد كوم أمبو

Source: زهير الشايب، المرجع السابق، لوحة رقم ٤٦

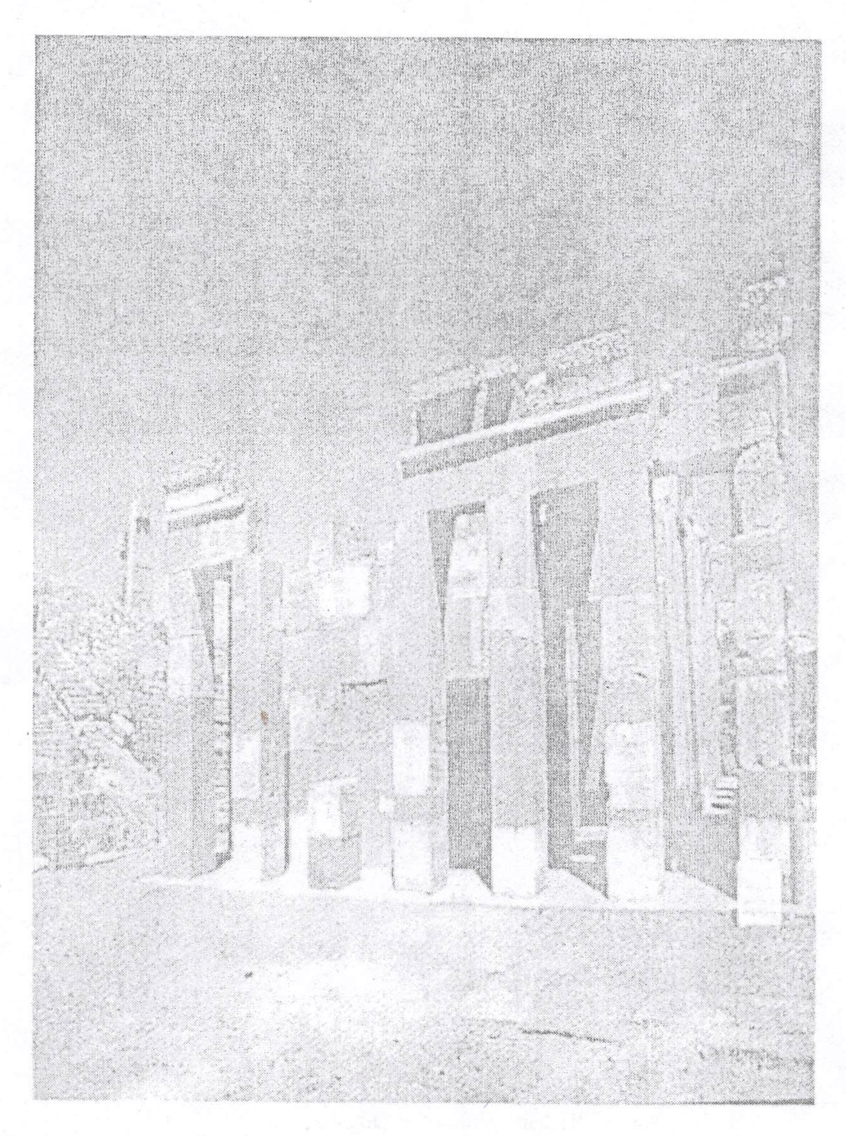


شكل (٢٥): معبد كوم أمبو حديثاً
Source: Richard Wilkinson, Op.cit., p.209.



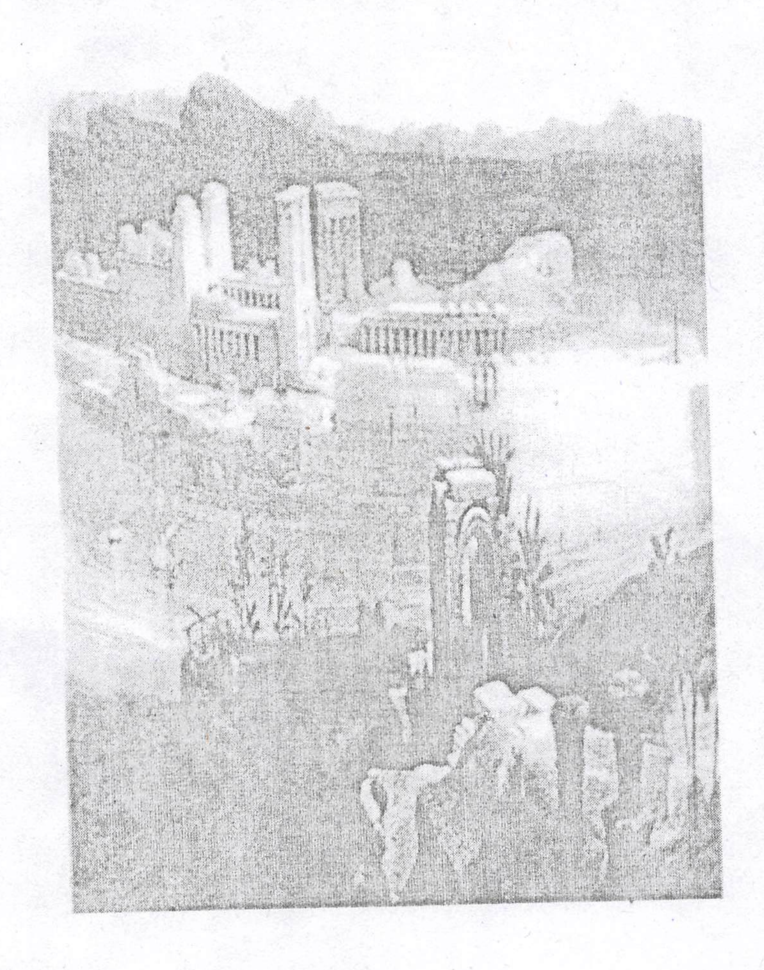
شكل (٢٦): معبد إلفنتين

Source: Vivant Denon, Op.cit., pl.no.120.



شكل (٢٧) معبد إلفنتين حديثاً

Source: Richard Wilkinson, Op.cit., p.212.

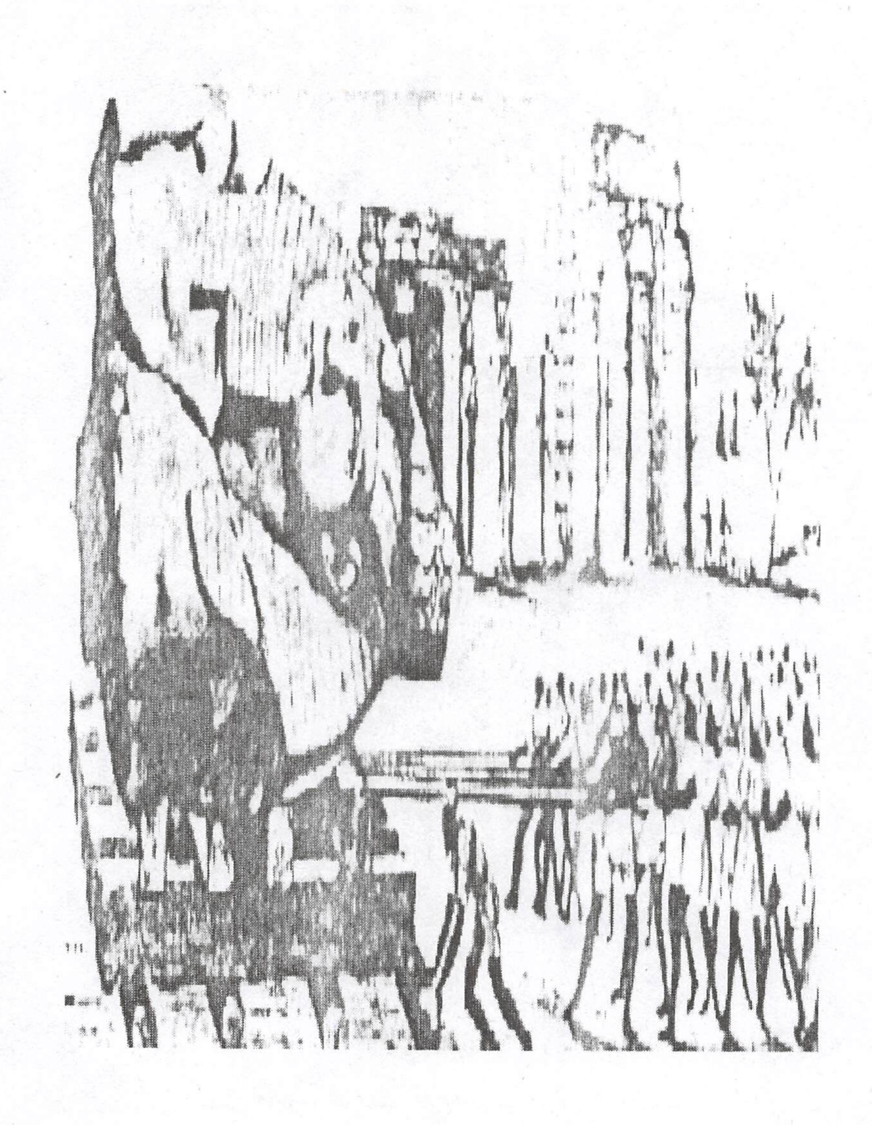


شكل (٢٨): جزيرة فيلة عام ١٨٣٨
Source: Richard Wilkinson, Op.cit., p.213.



شكل (٢٩): من قراصنة الآثار دروفتي في مدينة الأقصر

Source: Edward William Lane, Op. cit., p.227.



شكل (٣٠): الأثري بلزوني أثناء عمليات التنقيب

Paul Starkey, Janet Starkey, Travelers in Egypt, London, 1995, p.71.



شكل (٣١): بلزوني داخل «أبو سمبل»

Source: Paul Starkey, Janet Starkey, Op.cit., p.70.

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

٢٥٧٧٥٠٠٠

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤

٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبـــات ووكـــلاء

البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة- بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣

ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى - الحمراء - راس بيروت - بناية سنتر ماريا

ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢

فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع - سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر- ٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض

(ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة - هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية - شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت: ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية - الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع

ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١

فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين

ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ -

تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ -

ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.


مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب